مطبوعات المجمع العلمي العراقي

خطط البصرة ومنطقتها

دراسة في أحوالها العمرانية والمالية
في العهود الاسلامية الاولى

تأليف
الدكتور صالح احمد العلي
رئيس المجمع العلمي العراقي



مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م

تقـــديم

للمدن أهمية متميزة في مجرى تاريخ الانسانية وتطور حضارتها ، فان استقرار عدد كبير فيها ينمي بينهم علاقات خاصة ويؤدي الى ظهور مؤسسات اجتماعية واقتصادية وادارية تنظم الحياة فيها بما يحقق الامن والطمأنينـة وييسر النمو الاقتصادي والفكري والحضاري ، وبذلك تتسم بمـا يميزهـا عن حياة الفلاحين من أهل القرى والأرياف والرساتيق ، وعن البدو من أهل البوادي وقد ظلت المدن منذ بدايات نشـوئها الموئل المكين لازدهار ونمو الحضارة الانسانية التي يكوّن القسط الاكبر من دراساتها مايتصل بالمدن، ولا تتوضح معالمه واسسه وتطوراته الا بمعرفة ما كان قائما في هذه المدن .

ان السمات المميزة لأية مدينة لا تقطعها كليـا عما حولها ، اذ أنها تظل محتفظة بعلاقات وثيقة مع المقيمين حولها من الفلاحين والبدو ، كما انها تتأثر بالنظم والاحوال السائدة في الدول التي تكون هذه المـدن جزءا منهـا ، ان الاتصال الوثيق للمدن بما حولها يعرضها لتطورات من النمو أو الانكماش، وأحيانا الى الزوال تبعا لقوة هذه المؤثرات ، ومع ان كافة المدن تعرضت لمثل هذه التطورات ، الا ان قليلا منها صمدت وظلت قائمة ومحتفظة بأهميتها عبر أزمنة طويلة .

ان التنظيمات التي تسـود في المدن تسـتهدف تأمين الاستقرار وهي تختلف تبعا لاحوال السكان واهتماماتهم والاوضاع السائدة في الدول التي تتبعها المدن ، وهذه التنظيمات لا تبقى ثابتة وانما تتعرض لتطورات وتبدلات قد تكون محدودة وبطيئة ، وقد تكون واسعة وسريعة ، ولكنها تبقى دائما سمة مميزة للمدينة عما حولها .

يرجع نشوء المدن في بلاد الشرق الاوسط عامة ، والعراق خاصة ، الى أزمنة سحيقة في القدم ؛ وقد ظلت قائمة رغم كل التطورات والاحداث التي مرت على تلك البلاد ؛ غير ان النظام الساساني الذي هيمن على العراق في القرون الاربعة السابقة لفتح الاسلامي ركز على تثبيت سلطان الاسرة الحاكمة وما حولها ، وعني بجباية الاموال من أهل الريف ، ولم يحرص على تيسير الحرية أو تنشيط التجارة والفكر التي هي عماد الحياة في المدن ، وأدى ذلك الى جمود الحياة وتدني الحضارة وتقلص المدن •

وكانت في شبه جزيرة العرب منذ أزمنة قديمة مراكز حضرية ومدن غير قليلة تمارس فيها نشاطات صناعية وتجارية ؛ وتزدهر فيها نظم مدنية وحضارية، سواء كان ذلك في الموانىء التي على السواحل الطويلة المحيطة بشبه الجزيرة ، أو في داخلها ، وفي القرآن الكريم تعابير كثيرة تظهر بعض ما كان سائدا فيها من النظم ؛ ومنها « المدينة » و « القرى » و « أم القرى » و « الحاضر » و « حاضرة البحر » •

والواقع ان الدعوة الاسلامية بدأت في مكة وهي « أم القرى » ومركز تجارة نشطة ؛ ولها نظم مدنية ، ثم انتقلت الى « المدينة » ؛ وهي مركز مستقر لعدد كبير من السكان ، وكان أكثر المسلمين الاولين في هذين المركزين الحضريين ؛ وقد اعتمدت عليهم الدولة الاسلامية في سنيها الاولى ، واشترط الرسول (ص) على من يسلم ان « يهاجر » ويستقر في المدينة ، فلما تم فتح مكة أبطل شرط الهجرة ، غير انه ظل اهتمام الاسلام اكثر توجها الى العناية بأهل الحضر ؛ ونزلت عدة آيات في ذم موقف الاعراب من أهل البوادي « الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله » ، « جاءك المخلفون من الاعراب » •

وعندما تم القضاء على حركات الردة والانشقاق ، وتم تثبيت دولة

الاسلام في الجزيرة ، توجهت لتوسيع هذه الدولة الجيوش العربية التي ضمت مقاتلة من مختلف أرجاء الجزيرة العربية بما فيها أهل المدن والارياف والبوادي، غير ان كثيرا منهم كانوا من الاعراب والبدو ، أما القيادات فكانت أغلبها بيد « أهل المدر » من سكان المدن ، وقد حرص الخلفاء الاولون على تثبيت الحياة الحضرية وانماء المدن ، ومما أثر في ذلك عنايتهم بعامة السكان دون الاقتصار على طبقة خاصة محدودة ، وتوفيرهم حرية الانتقال والعمل والتفكير ، فنشطت الصناعة والتجارة وما يتصل بها من الحياة الاقتصادية ، وترعرت الحركة الفكرية في ظلال الاسلام الرحب ، وباللغة العربية .

وقد أدرك الخليفة عمر بن الخطاب الذي تمت في عهده أعظم الانتصارات الاولى في الفتوح ، أهمية الاستقرار ، فأمر في السنوات الاولى من خلافته وبُعَيد الانتصارات الاولى بتأسيس «أمصار» يستقر فيها المقاتلة وعوائلهم ، وتكون قواعد للادارة ولتحركات الجيوش العربية : ومع ان الغالبية العظمى لسكان هذه الامصار هم من « المقاتلة » الا ان الغرض الاساس من تأسيسها هو تأمين الاستقرار ، وتثبيت نظم ادارية ، وتيسير الحياة المدنية ، والواقع ان كلا من هذه الامصار كان غالبية سكانه من المقاتلة العرب الذين عليهم واجب توسيع الدولة وتثبيت الامن والاستقرار فيها ، الا انها سرعان ما نمت حياة اقتصادية وفكرية عميقة واسعة طغت بمرور الزمن ، على السمة العسكرية ، وأصبحت من أعظم المراكز الحضرية لا في دولة الاسلام فحسب ، وانما في العالم المتحضر عموما .

وانفرد العراق باقامة مركزين فيه هما الكوفة والبصرة ، وقد تأسستا في زمن متقارب مبكر « ١٧ هـ » واشتركتا في سمات عامة تميزتا بها ، منها ان غالبية سكانهما من المقاتلة العرب الذين قدموا من شبه الجزيرة ، وهم يدينون بالاسلام ويعملون على اعلاء كلمته وتوسيع دولته ، وتنطبق عليهم الشروط التي وضعها عمر ، وهي ألا يفصلهما عن الجزيرة حاجز مائي ، وان

يكون مناخهما ملائما لاهل الصحراء ومواشيهم والواقع ان كثيرا من أهلهما العرب ، كانوا من نفس العشائر ، تميم ، وبكر ، وعبدالقيس ، وعشائر الحجاز ؛ وتوزع رجالها بين هاتين المدينتين واكسباهما عناصر متشابهة بالاضافة الى الدين الاسلامي واللغة العربية والتراث الثقافي الذي قدموا به من شبه جزيرة العرب ، ووضعت لكل من المدينتين تنظيمات ادارية متشابهة : زاد من تثبيتها ان في العصر الاموي خاصة كان يليهما وال واحد (زياد وابنه عبيدالله، ومصعب بن الزبير ، والحجاج بن يوسف) : وقد قوى ذلك السمات العامة المشتركة بين المدينتين ، وخاصة في النظم الادارية وكثير من جوانب ومظاهر الحركة الفكرية .

غير ان تعدد مظاهر التشابه بين المدينتين لم يصل حد تطابقهما وكان الاختلاف بينهما قائما منذ بداية تأسيسهما ، ثم توسع بتطور الاحوال في كل منهما عبر الزمن ، وأصبحت للحياة في كل منهما سمة تتميز عن الحياة في الاخرى ، وتجلى ذلك في « المفاخرات » التي روت الكتب بعضها ، وكذلك في اختلاف اهتماماتهما الفكرية واتجاهاتهما و « مدارسهما » .

فالكوفة عند بدء تأسيسها كان عدد المقاتلة الذين أسسوها كبيرا ، وكانوا قد أتموا دحر الجيوش الساسانية في معارك القادسية وجلولاء ، ودخلوا المدائن بعد أن فر منها كسرى ، وشاركوا في فتح الجزيرة الفراتية ، كما انتصروا في معركة نهاوند الحاسمة ووسعوا دولة الاسلام في شمالي الهضبة الايرانية ومدوها الى الري وأطراف قزوين شمالا ، والى أصفهان جنوبا .

أما مقاتلة البصرة فكان عددهم في بدء الفتوح قليلا ، لايتجاوز الالف ولم يواجهوا قوات عسكرية فارسية كبيرة ، ثم تزايد عددهم وتغلبوا على مرزباد دستميسان وعلى قوات الهرمزان في الاحواز ، وتابعوا توسعهم في زمن

خلافة عثمان بن عفان ، فضموا الى الدولة الاسلامية اقليم فارس وكرمان ، فهيمنوا على كل جوانب الخليج العربي ، ثم فتحوا سجستان وخراسان ، ومن ناقلتهم المقاتلة العرب في خراسان تابعوا فتوحهم في ما وراء النهر •

ان هذا التوسع رافقه ، وربما كان من ثماره ، تزايد عدد المقاتلة بتتابع الهجرة الى البصرة ، وخاصة من العشائر العربية التي ديارها الاصلية في الحجاز (أهل العالية) ، وأواسط نجد (تميم وبني عامر) ، والعشائر التي ديارها في الاطراف الشرقية من شبه الجزيرة (بكر ، وعبدالقيس ، وحنيفة ، وازد عمان) وكثير من هؤلاء كانوا يمارسون الزراعة والملاحة ، فهم أقل تشبعا بروح البداوة ، وأوسع اطلاعا على حياة الامم الاخرى ونظمها •

ولا ريب في ان استقرار عرب الخليج في البصرة أسهم في نمو النشاط التجاري والملاحي مع بلاد المحيط الهندي والشرق الاقصى ، غير ان عوامل اخرى ساعدت على انماء أهميتها التجارية ، حيث صارت ثغر العراق الذي تمر به التجارة الى هذا الاقليم الغني ، ولاريب في ان هذا الازدهار التجاري كان له أثر في نمو وتوجيه الحياة الاقتصادية فيها ، ومكنها من الاحتفاظ بمكانتهما حتى قيام الخلافة العباسية ، في حين ان الكوفة أصابها بعد قيام تلك الخلافة التدهور والضمور •

وكان عدد من استوطن البصرة من الصحابة الاولين أقل من عدد من استوطن منهم الكوفة ، ولكن ذلك لم يقف حائلا دون ازدهار الدراسات الدينية فيها ، وخاصة مايتصل بالقرآن الكريم وقراءته وتفسيره ، وكذلك الحديث ، بالاضافة الى النحو الذي بدأت دراساته في البصرة التي كان منها أبرز أعلامهم الاولين •

يظهر مما وصلتنا من المعلومات ان النشاط الفكري في البصرة اهتم منذ المراحل الاولى من تأسيسها بدراسة القضايا العامة التي تهم العرب دون

التركيز على الاهتمام الاقليمي الضيق المقصور على المدينة وحدها ، فالذين ظهروا في البصرة من العلماء نظروا الى العلوم التي درسوها نظرة عامة فعرضوا مظاهرها ، وحللوا عناصرها العامة ، وقلما أفردوا البصرة في بحثهم ، فعلم النحو درس قضايا هذا العلم عموما ، ولم يخصص دراسته في أحوال اللغة في البصرة : وفي الفقه بحثت أحكام عامة في قضايا تتعلق بالفقه دون ذكر لما كان قائما منها في البصرة أو للاحوال الخاصة بها ، فالمعلومات التي وصلتنا عن الحركة الفكرية في البصرة في العهود الاسلامية الاولى واسعة ، غير ان المعلومات عن البصرة وأحوالها قليلة ، وتتطلب دراسة هذه الاحوال جمع نصوص متفرقة في مصادر متنوعة ، ثم تنسيقها للوصول الى صورة عما كانت عليه في البصرة .

ان سعة الحياة في المدن يتطلب أن تشمل دراسة تاريخ أي منها الاحوال والنظم والتطورات في مختلف جوانب الحياة السكانية والعمرانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية ، غير ذا الاحاطة بوصف أوضاع وتطورات كافه هذه الجوانب عبر مدة طويلة من الزمن هو أمر مثالي ليس من اليسير تحقيقه في بحث واحد يشملها جميعا عن مدينة كالبصرة : خاصة وان المعلومات عنها متفرقة ، ولم يؤلف عنها مثل هذا البحث الشامل الذي قد يكون رائداً ييسر للباحثين التالين عملهم : والواقع انه فيما عدا المقال القيم المقتضب الذي كتبه عنها الاستاذ شارل بيللا في دائرة المعارف الاسلامية فان كافة الابحاث الحديثة التي كتبت عنها تناول كل منها جانبا من جوانب الحياة ، وخاصة الادبية والفكرية في القرون الثلاثة الاولى من قيامها .

ان البحث الذي نقدمه هو دراسة المعالم الخططية في البصرة ومنطقتها ، وما يتصل بذلك من المعالم الارضية ومواقع الاسكان والمنشآت العمرانية ، ابان العهود الاسلامية الاولى ، فهو يشمل توزيع السكان على خططها ، والمعالم العمرانية في كل خطة وفي المدينة ، وكذلك تحديد مواقع الانهار

والمزارع في الجانب الغربي من نهر شط العرب في العهود الاسلامية الأولى ، وألحقناه بدراسة عن كور دجلة المتصلة بالبصرة جغرافياً وادارياً ، وكذلك دراسة عامة عن تطور مقدار جباية هذه المناطق ، ونرجو ان تفيد من يريد الاستزادة في المعرفة عن هذه المدينة التي احلها اسهام أهلها في الفكر والحضارة مكانة مرموقة في تاريخ الحضارة العربية والعالمية ، وهي تقف اليوم قلعة صامدة أمام الاخطار المهددة لتبقى مركز ازدهار حضاري واشعاع فكري .

ومن الله التوفيق ..

الفصل الأول

مصادر البحث

لقيت احوال البصرة والحوادث التي جرت فيها اهتمام الاخباريين والرواة الأولين[1] ، وورد ذكر عدد من الكتب المؤلفة الاولى عن البصرة وحوادثها ورجالها . وأقدم من ورد ذكر تأليفه كتاباً خاصاً بالبصرة هو أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠) ، فقد ذكر ابن النديم من مؤلفاته الكثيرة « كتاب البصرة » و « قضاة البصرة »[2] ، غير ان هذين الكتابين ، وكتب اخرى لأبي عبيدة ، لم تصلنا كاملة وانما من ما نقله عنها عدد من المؤلفين من بعده ، وخاصة البلاذري والطبري والمبرد والجاحظ ، ولعل كثيراً مما نقلوه هو مما جاء في أحد هذين الكتابين .

وذكر ابن النديم ان علي بن محمد المدائني (ت ٢٥٣) له « كتاب خبر

---

(١) في الكتب التالية عرض واسع للمؤلفات التاريخية عند العرب :
١ ـ بروكلمان : تاريخ الادب العربي ، بالالمانية ، . ونشرت ترجمة ثلثه الاول بالعربية .
٢ ـ فؤاد سزكين « تاريخ التراث العربي » (بالالمانية) وترجمت بعض أقسامه ، ومنها ما يتعلق بالتاريخ .
٣ ـ « علم التاريخ عند المسلمين » للاستاذ فرانز روزنثال (بالانكليزية) وقد ترجمته الى العربية واضفت اليه فصلا عن ما ورد في فهرست ابن النديم من كتب التاريخ .
٤ ـ « العراق بعد الفتح العربي » للاستاذ موروني (بالانكليزية) وفيه قائمة شاملة للمصادر القديمة والابحاث الحديثة عن احوال العراق وسكانه في العهود الاسلامية الاولى .
٥ ـ « مؤرخو الشرق الاوسط » الذي أشرف على نشره الاستاذ هولت.

(٢) الفهرست ٥٩ .

البصرة » يحتوي على دستميسان ، ولاية المغيرة بن شعبة ، ولاية أبي موسى ، خبر الاهواز . خبر مناذر ، خبر نهر تيري ، خبر السوس ، خبر تستر ، خبر القلعة ، خبر الهرمزان ، خبر حية بن محصن ، خبر جنديسابور ، خبر مهرتاج قرية العبدي ، خبر سُرّق ، خبر مهرجانقذق ، خبر ماسبذان ، خبر قلعة سُرّق ، خبر رامهرمز ، خبر السهال »[٣] ، وذكر ابن النديم للمدائني أيضاً « قضاة أهل البصرة » و « مفاخرة أهل البصرة وأهل الكوفة »[٤] ، كما ذكر له كتباً عن ابن سيرين ، واياس بن معاوية ، وخالد بن صفوان ، وعبدالله بن عامر الحضرمي ، وزياد بن عمرو العتكي ، وأخبار الحجاج[٥] . ولابد ان في كل هذه الكتب معلومات عن البصرة وأهلها وعمرانها . ويجدر ان نذكر ان المدائني ألف كتباً كثيرة عن الرسول وسيرته ، وعن الحوادث في خراسان والمشرق ؛ ولم يصلنا أي من هذه الكتب ، ولكن نقل عنه بكثرة عدد من أبرز المؤرخين الاولين ، وخاصة خليفة بن خياط ، والبلاذري ، والطبري ، كما نقل عنه الجاحظ كثيراً ، ولابد ان كثيراً مما نقلوه من هذه الكتب ، رغم انهم لم يشيروا الى أسماء كتب المدائن التي نقلوا عنها ، ولا مقدار ما أغفلوه .

ويتلو المدائني في الزمن والاهمية عمر بن شَبّة النمري (ت ٢٦٢) الذي نقل الطبري عن طريقه معظم ما رواه عن المدائني . وذكر ابن النديم ان ابن شبّة ألف كتاباً عن البصرة ، وعن امراء البصرة[٦] ؛ وقد وصف الكتاب الاول ابن حوقل بقوله « للبصرة كتاب يعرف بكتاب البصرة ألفه عمر بن شبة قبل كتاب الكوفة ومكة يغني عن ذكر شيء من أوصافها »[٧] ، وذكر ابن حزم كتاب البصرة واحداً من الكتب القليلة التي يعرفها عن أخبار

---

(٣) الفهرست ١١٥ .
(٤) الفهرست ١١٦ .
(٥) الفهرست ١١٧ .
(٦) الفهرست ١٢٥ .
(٧) صورة الارض ٢١٤ .

البصرة[8] . وقد فقد كتاب البصرة ، غير ان بعض المؤلفين نص على نقله منه ، ومنهم ياقوت الحموي في كتابه « معجم البلدان »[9] وابن خلكان في كتابه « وفيات الاعيان »[10] وابن حجر في كتاب « لسان الميزان »[11] . ولعل مقداراً غير قليل من المعلومات عن البصرة ورجالها نقلها عن هذا الكتاب كل من الطبري في تاريخه ، والذهبي في كتاب « سير أعلام النبلاء » . وقد نقل وكيع في كتابه « أخبار القضاة » نصوصاً كثيرة عن قضاة البصرة ، أشار الى انه أخذها من النمري ؛ ولابد انه يقصد بذلك عمر بن شبّة وان لم يصرح من أي كتبه استقاها .

ذكر ابن حزم (ت حوالي ٤٣٠) « ولا أعلم في أخبار البصرة غير كتاب عمر بن شبّة وكتاب لرجل من ولد الربيع بن زياد المنسوب الى أبي سفيان في خطط البصرة وقطائعها ، وكتابين لرجلين من أهلها ؛ يسمى أحدهما عبدالقاهر ، كريزي النسب ؛ وذكرا أسواقها ، ومحالها ، وشوارعها » ؛ لم أجد في المصادر ذكراً لعبدالقاهر الكريزي النسب ، ولا لكتابه أو كتاب الرجل الثاني من أهل البصرة .

لم يذكر ابن حزم اسم الرجل من ولد الربيع بن زياد الذي ألف في خطط البصرة وقطائعها . ولكن المصادر ذكرت أسماء عدد ممن نسب الى الزيادي ، من أهل البصرة ، وأقرب من ذكروا انطباقاً عليه هذا الاسم هو أبو عبدالله محمد بن زياد بن عبيدالله بن الربيع بن زياد بن أبيه الزيادي البصري[12] ، وقد ترجم له الذهبي فقال « ولد في حدود سنة ١٦٠ ؛ وسمع

---

(٨) نفح الطيب ٤/١٦٠ (طبعة محي‌الدين عبدالحميد) .
(٩) انظر فهرست معجم البلدان لتحديد الصفحات .
(١٠) ٢/١٥٤ ، ٣٢٢ ؛ ٤/١٨٢ ؛ ٦/١٠٥/١٣٩/٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٧/١٠٧ .
(١١) ١/٩٢ ، ١٢٧ .
(١٢) ذكر ابن ماكولا من البصريين الذين نسبوا للزيادي : محمد بن زياد ؛
=

من حماد بن زيد ، ويزيد بن زريع ، وعبدالوارث التنوري ، وابراهيم بن أبي يحيى المدني ، ومسلم بن خالد الزنجي ، ومعتمر بن سليمان ، وفضيل ابن عياض ، وفضيل بن سليمان ، وطبقتهم . وكان يقال له البؤبؤ[١٣] ، حدّث عنه البخاري ، وابن ماجه ، وابن خزيمة ، وابن صاعد ، وعبدالله ابن اسحاق المدائني ، وأبو عروبة الحراني ، ومحمد بن حصن الالوسي ، ومحمد بن هارون الروياني ، ومحمد بن احمد بن سليمان الهروي ، وعبدالله ابن عروة الهروي ، وعدد كثير . وكان اسند من بقي بالبصرة مع أبي الاشعث ، ذكره ابن حبّان في الثقات ، وقال ربما أخطأ[١٤] ولعله هو الذي ذكر ابن النديم ان « ابن دريد قرأ على الزيادي »[١٥] .

لم تذكر المصادر ، غير ابن حزم ، كتاباً ألفه أبو عبدالله الزيادي ، غير ان الرازي نقل في كتابه « تاريخ صنعاء » عن « ابي عبدالله مؤلف كتاب مناقب البصرة » نصاً عن عدد مساجد البصرة ، في أيام القاضي يحيى بن أكثم ، وعدد الحاكة والمساكين بها وأنهارها[١٦] . ولعله نفس الكتاب الذي أشار

=

وابراهيم بن سفيان (صاحب الاصمعي) ، وأبو حسان ، قاضي البصرة ، وجعفر بن محمد بن الليث . الاكمال ٤/٢١٢ .

وذكر السمعاني هؤلاء الاربعة واضاف اليهم ابا طاهر محمد بن محمد بن جحمش ، وابا عون محمد بن عون المنسوب ولاءاً الى زياد بن ابيه : الانساب ، مادة زيادي ، اللباب ١/٥١٥ . وذكر الذهبي محمد بن عون ، وابا حسان ، ومحمد بن زياد بن عبدالله ، ومحمد بن زياد بن الربيع ، وهما شيخا ابن صاعد) المشتبه ٣٤٠ .

(١٣) يبدو ان الصفدي أخذ عن الذهبي « البؤبؤ محمد بن زياد بن عبيدالله يقال له البؤبؤ ، كان معمراً من أبناء التسعين ، روى عنه البخاري ، وابن ماجه توفي سنة ٢٦٠ (الوافي بالوفيات ٣/٨٠) .

(١٤) سير اعلام النبلاء ١١/١٥٤ ــ ١٥٥ ، انظر تهذيب التهذيب ٩ (٣٢٣ ــ ٤)

(١٥) الفهرست ٣٧ .

(١٦) تاريخ صنعاء ١١٦ ؛ وقد ذكر الذهبي ابن احمد بن محمد بن زياد ، ابن

=

اليه ابن حزم .

ذكر ياقوت كتاباً في « تاريخ البصرة » لابي زكريا الساجي (٢٢٠ — ٣٠٧) وهو محدث مشهور ، ونقل منه عدة نصوص ذكر انه نقلها من نسخة المؤلف[١٧] كما نقل عنه ابن حجر معلومات عن علماء البصرة[١٨] ؛ غير ان النصوص التي نقلت عنه رغم أهميتها ، أقل من أن تكفي لمعرفة سعته ونطاق بحثه .

وذكر السخاوي للبصرة كتابين أحدهما لابن شبّة ، والثاني لابن الدهجان ولم يرد ذكر للكتاب الثاني أو مؤلفه[١٩] .

وذكر ابن النديم عدداً من المؤلفات عن البصرة أو بعض رجالها أو ما وقع فيها من الحوادث ، فمما ذكر « قضاة الكوفة والبصرة » و « كتاب زياد بن سمية » للهيثم بن عدي[٢٠] ، وكتاب « فتح البصرة لابن أبي البغل (كان حياً في زمن المقتدر)[٢١] ، وكتابين عن صاحب الزنج ، احدهما للوشاء[٢٢] ، والثاني لشيلمة[٢٣] وخمسة كتب عن المهالبة : هي « أخبار المهلب » لخالد بن خداش ، و « مناكح المهلب » للمغيرة بن محمد المهلبي[٢٤] ؛ و « المهلب

=

الاعرابي وهو عالم مشهور لم يذكر له كتاب عن البصرة .

٢/٨٥) ولكن لم اجد له ذكراً ، ولعل الذهبي اخطأ في نسبة الكتاب لابن الاعرابي وهو عالم مشهور لم يذكر له كتاب عن البصرة .

(١٧) انظر مواضعها في فهرست معجم البلدان ، وانظر كتاب هير عن مصادر معجم البلدان (بالالمانية) ٣٢ .

(١٨) لسان الميزان ١/٤٧٩ ؛ ٢/٧١ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١٤٧ ، ١٦٧ ، ٢٠٧ .

(١٩) الاعلان بالتوبيخ ٥٨/٧ (طبعة روزنثال) ومن المحتمل ان المؤلف هو محمد بن علي بن الفضل بن الدهقان الذي له كتاب فضائل الكوفة (علم التاريخ عند المسلمين ٦٣٩) .

(٢٠) الفهرست ١٤٦ .

(٢١) الفهرست ١٥٢ .

(٢٢) الفهرست ١٣٦ .

(٢٣) الفهرست ١٨٤ .

(٢٤) الفهرست ١٥٨ .

وأخباره » ليزيد بن محمد المهلبي[٢٥] ، و « مناكح آل المهلب » لابي عبيدة[٢٦] ، ومن المعلوم ان المهالبة من أبرز رجال أهل البصرة ، ولابد ان فيها مادة عن البصرة وأهلها ، ولكن لم يصلنا أي من هذه الكتب •

لاريب في ان البصرة مرت بتطورات واسعة ابان القرنين الاولين من الهجرة ، غير ان هذه التطورات كانت سلمية وتدريجية ، ولم تطمس آثار التنظيم الخططي القديم ؛ غير ان الاضطرابات التي رافقت حركة صاحب الزنج أحدثت تأثيرات عميقة جعلت البصرة بعد استعادة الخلافة العباسية النظام والامن فيها ، تظهر وكأنها مختلفة أساسياً في تنظيماتها عما كانت عليه في السابق • وقد حدثت هذه التطورات بعد ان أتم البلاذري والطبري كتابيهما الشاملين • وكذلك الكتب التي أوردت معلومات عن أهل البصرة • أما العهود التالية فلم يرد ذكر كتاب خاص في تاريخها ، ولكن عدداً من كتب التاريخ العام المؤلفة في بغداد خاصة أوردت معلومات متفرقة عن البصرة ، ونظراً الى انها تخرج عن نطاق حدود بحثنا فاننا لن نفصل فيها ونقتصر على الاشارة الى ان هذه المادة تتوفر في كتاب « تجارب الامم » لمسكويه ، وذيله للروذراوري ، وتاريخ الصابي ، والمنتظم لابن الجوزي ، والكامل لابن الاثير، والمعلومات التي أوردها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ، ونقتصر من هذه الكتب على الاشارة الى تاريخ ابن سيرين ، وكتاب « معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر » لنعمان بن محمد بن العراق ، وكتاب « الخريدة » للعماد الاصفهاني •

فأما تاريخ ابن سيرين فقد نقل عنه ياقوت أربعة نصوص تظهر اهتمامه بالبصرة ، أحدها عن هجرة أهل اليمامة الى البصرة في سنة ٣١٠[٢٧] ، والثاني

---

(٢٥) الفهرست ١٥٣ . (٢٦) الفهرست ١١٨ .
(٢٧) معجم البلدان ٩٤٩/١ ؛ وهو غير ابن سيرين التابعي المشهور .

عن حمام منجاب[٢٨] ، والثالث في مـدح أهل البصرة[٢٩] ، والرابـع عن عمان[٣٠] • غير اني لم أجد في المصادر اشارة الى الكتاب المذكور أو معلومات عن مؤلفه •

أما معدن الجوهر فان القطعة التي نشرها محمد حميدالله تحتـوي على فضائل البصرة ومفاخرتها مع الكوفة ، وامرائها وقضاتها ، وفقهائها ؛ ومن كان فيها من رجال الحديث والعلماء ، والاجواد والشعراء والقرى التي حولها ؛ ويبدو ان الكتاب مؤلف في زمن السلطان سليمان ، ومعلوماتـه مستمدة من المصادر القديمة ، وليس فيها جديد •

أما « خريدة القصر وجريدة العصر » للعماد الاصفهاني ، فهو كتـاب ضخم في تراجم الشعراء الذين لقيهم أو عرفهم العماد الاصفهاني ابان جولته الواسعة في البلاد في النصف الثاني من القرن السادس الهجري • وقد خص شعراء البصرة بأربع وستين صفحة من الجزء الرابع الذي طبعه الاستاذ محمد بهجة الاثري ، وفيه اشارات الى أحوال البصرة والبلدان التابعة لها في زمنه •

خصت كتب البلدان البصرة بأبحاثها ، ومن أقدم ما وصلنا منها كتاب « البلدان وعجائب الامصار » للجاحظ ، فقد خصص خمس صفحات لاحوال البصرة ، وفيها مقارناتها مع الكوفة ، ومعلومات قيمة ، رغم قلتها ، عن عمران البصرة ، ولم يصلنا كاملا ؛ وانما وصلنا اختصاره الذي عمله عبيدالله بن حسان •

وفي كتاب «البلدان» لابن‌الفقيه معلومات واسعة عن البصرة، نقل بعضها عن فتوح البلدان للبلاذري ، وبعضها عن الجاحظ ، وأورد مفاخرات طويلة

---

(٢٨) معجم البلدان ٣٣١/٢ . (٢٩) معجم البلدان ٦٤٩/٢ .
(٣٠) معجم البلدان ٥١/٤ .

بينها وبين الكوفة لم يشر الى المصدر الذي اقتبسه منها ؛ فالكتاب مع انه مؤلف في أواخر القرن الثالث الهجري ، الا ان معلوماته كلها لا تمتد الى أكثر من منتصف القرن الثاني ، وهي تثبّت معلومات المصادر التي اعتمد عليها .

أما ابن رسته فلم يفرد في «الاعلاق النفيسة» للبصرة بحثاً ، ولكنه بحث في طرق المواصلات ، والبطائح ، وعجائب البلدان والاوائل ، وفيها اشارات الى البصرة .

ان كافة كتب البلدان التي وصلتنا الفت بعد القضاء على ثورة الزنج ، وأولها كتاب « البلدان » لليعقوبي الذي يعنى بوصف السكان والمعالم العمرانية ، غير ان النسخة التي طبع منها الكتاب ناقصة ، ولم تكتشف نسخة تكمل نقصها ، وفي هذه النسخة أربعة أسطر مبتورة الآخر عن البصرة ، ولابد ان يكون في القسم المفقود مادة قيمة عن البصرة .

أما الكتاب المسمى « صور الاقاليم » لسهراب ففيه وصف لانهار جانبي شط العرب في منطقة البصرة ؛ ومع ان معلوماته قيمة ، الا انها غير دقيقة ، ولم تكتشف حتى الآن نسخة أخرى قد تكمله أو تصحح ما فيه من أخطاء .

وخصص الاصطخري في كتابه « المسالك والممالك » صفحة لوصف البصرة ، وأشار في كلامه عن العراق الى بعض أحوالها ؛ وقد نقل ابن حوقل كل ما ذكره الاصطخري ، وأضاف ناسخ كتاب ابن حوقل صفحة فيها معلومات قيمة عن أحوال البصرة في أواسط القرن السادس الهجري .

وقدم المقدسي في كتابه « أحسن التقاسيم » معلومات قليلة ولكنها قيمة عن أحوال البصرة وعمرانها في أواخر القرن الرابع الهجري .

وخص ناصري خسرو البصرة ببضع صفحات من كتابه « سفرنامه »

وصف فيه بعض أسواقها وجوامعها ومعالم العمران فيها .

اما الكتب البلدانية الاخرى مثل كتب الزهري ، وابن سعيد المغربي ، والشريف الادريسي ، وأبي الفدا ، والوطواط ، والنويري ، والقلقشندي فمعلوماتها المقتضبة عن البصرة مستمدة من الكتب الاولى . أما معجم البلدان لياقوت فان فيه معلومات وافية استقاها من فتوح البلدان للبلاذري بالدرجة الاولى ، وبعض المعلومات من ابن شبة ، وأبي زكريا الساجي ، وابن دمعجان ، وابن سيرين ، ولم يذكر اضافة لها معلومات عن أحوال البصرة في زمنه[٣١] .

ان الدور الكبير للبصرة ورجالها في الحوادث السياسية والعسكرية والفكرية في العهود الاسلامية الاولى ، جعل الكتب التي تبحث عن الحركات العامة في العالم الاسلامي تخص البصرة بفصول قيمة ، تكمل ما جاء في الكتب الخاصة عنها ، وميادين بحث هذه الكتب متعددة ، ولعل أوضحها كتب الانساب ، والتاريخ ، والطبقات وكتب البلدان ، والآداب .

فأما كتب الأنساب فأبرز الكتب القديمة التي وصلتنا هي كتب هشام ابن محمد الكلبي ، وأبي عبيدة ، وابن دريد[٣٢] .

---

(٣١) الفصول الرئيسة عن البصرة موجودة في ١/٦٣٦ ـ ٦٥٢ ، ٤/٨٣٠ ـ ٨٤٦ وان المعلومات التي اوردها ياقوت ، مع اضافات قليلة من كتاب «الدرة المضية في عجائب البرية» وكتاب «عيون الاخبار» لعبدالقادر الطبري ، و « شرح مقامات الحريري » للشريشي ، ضمها كتاب « تاريخ مدينة البصرة» لعبدالله بن عيسى بن اسماعيل البصري الذي نشره فاخر جبر مطر سنة ١٩٨٦ .

(٣٢) انظر فيها القائمة القيمة التي كتبها زترستن في مقدمة نشره لكتاب « طرفة الاصحاب في معرفة الانساب » ، وانظر ما كتبه روزنثال في كتابه علم التاريخ عند المسلمين .

احداهما في المتحف البريطاني ، والثانية في الاسكوريال ، وقد طبع بعضه في الكويت حديثا .

ومخطوطتي كتاب ابن الكلبي .

فأما « كتاب النسب » لابن الكلبي ، فقد وصلتنا منه مخطوطتان وملخص ، ويجري طبعه الآن • وقد نظم كتابه تبعاً للقبائل والعشائر ، فذكر علاقاتها النسبية وأبرز رجالها ودورهم في السياسة والادارة ، وأشار الى ديار بعضهم ومواضع سكناهم في الجزيرة وفي الامصار الاسلامية ؛ وقدم تفاصيل عن الكوفة ، وفيه اشارات مقتضبة عن البصرة ، غير ان كثيراً من العشائر التي بحثها كانت ممن سكن بعضها البصرة • وترجع أهمية ابن الكلبي الى انه أقدم كتاب واسع وصلنا في الانساب ، وكان معتمد معظم المعنيين بالنسب ، ومنهم ابن سعد ، وابن حبيب ، والبلاذري ، والطبري ، وابن ماكولا ، والسمعاني ، وابن الاثير •

أما أبو عبيدة فانه ألف في أنساب بعض القبائل ، وذكر في شرحه « نقائض جرير والفرزدق » معلومات واسعة عن العشائر وعلاقاتها •

وأما ابن دريد فانه رتب كتابه « الاشتقاق » حسب أسماء الرجال والعشائر ، وذكر معلومات قيمة عن عشائر البصرة وخططها ورجالها وبعض معالمها العمرانية •

أما كتب الطبقات فانها تعنى بدراسة رجال تميزوا بالاهتمام بأحد العلوم ، كالنحو والادب ، والطب ، والفقه ، وقراءة القرآن • ولكن أكثر ما ألف فيها عن المحدّثين ، وهي ترتب مادتها تبعاً لزمن ظهور الرجال الذين تترجم لهم ، وبعض هذه الكتب عام ، غير ان كثيراً منها يضع تنظيماً اضافياً ، فيرتب مادته تبعاً للمصر أو المدينة التي انتسب اليها ؛ ولما كانت البصرة من أهم مراكز الحركة الفكرية والعناية بالحديث فقد خصت بفصول خاصة متميزة(٣٣) •

ومن أقدم ما وصلنا من كتب الطبقات الكتاب الذي الفه بهذا العنوان

---

(٣٣) انظر في ذلك المقدمة التي كتبها الدكتور اكرم العمري لمقدمة كتاب « الطبقات » لخليفة ، وكذلك كتابه «بحوث في تاريخ السنة المشرفة» .

خليفة بن خياط العصفري ت ٢٤٠ هـ ، وهو مرتب تبعاً لزمن (طبقة) الرجال ، والمدن التي ظهروا فيها ، وأضاف خليفة أساساً ثالثاً هو ترتيبهم تبعاً لعشائرهم ، وعني برجال أهل البصرة ، فذكر عشائرهم وأورد معلومات غير قليلة عن خطط عشائر البصرة ومعالمها العمرانية .

ومن أقدم وأوسع المؤلفات في الطبقات كتاب « الطبقات الكبير » لابن سعد (ت ٢٣٠) ، وهو كتاب ضخم طبع في ثمانية أجزاء ، عن نسخ غير كاملة[٣٤] ، وخص الجزء السابع بقسميه لرجال البصرة ، فذكر فيه عدداً كبيراً من رجال أهل البصرة ، ممن له علاقة بالحديث والفقه وعلوم القرآن خاصة ، وأورد عن بعضهم معلومات كثيرة استمدها من رواة سبقوه ، ومنهم خليفة بن خياط ، وذكر معلومات عن المعالم العمرانية فيها ، وقد أغفل ابن سعد ترجمة كثير من رجال الحرب والسياسة والادارة ، ولكن هذا لا يعدم أهميته البالغة ، سواء في تفاصيل معلوماته ، أو في دقته ، ولذلك صار معتمد معظم من ألف بعده .

ويتصل بالطبقات كتب الرجال ، وكان المعنيون الاولون بعلم الحديث يطلقون عليها عنوان « التاريخ » ، وقد ألف كثير منهم كتباً فيها مرتبة في الغالب على حروف المعجم وفيها معلومات عن أسماء الرجال وعشائرهم واشارات الى المدن التي ينتسبون اليها ومن أكبر هذه الكتب القديمة « كتاب التاريخ الكبير » لمحمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦) وكتاب الاستيعاب في معرفة الاصحاب » لابن عبدالبر .

اما الكتب المتأخرة فمن أبرزها كتاب « اسد الغابة في معرفة الصحابة » لابن الاثير (ت ٦٣٠) ، واعتمد فيه على ابن مندة ، وأبي نعيم ، وابن عبدالبر

---

(٣٤) في المطبوع خرم كثير ، وقد نشر زياد محمد سعيد مجلداً في ٣٨٠ صفحة مفقودة من المطبوع . ويظهر ان نسخة اكمل من الكتاب في مكتبة احمد الثالث تنتظر من يدققها .

ومحمد بن أبي بكر الاصفهاني ، وأبي علي الغساني •

غير ان أوسع كتاب متأخر في الرجال هو « الاصابة في معرفة الصحابة » لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) الذي ترجم لعدد كبير من الصحابة والتابعين، ونقل عن كثير منهم معلومات وافية من كتب بعضها مفقود •

وفي بعض كتب « الآداب » العامة نصوص قيّمة عن البصرة وأهلها وخططها واعمارها ، وقد ذكر بعضها المصادر التي استمدت منها تلك المعلومات، غير ان عدداً من النصوص لم تذكر مصادرها ، مما قد يدل على انها تتعلق بزمن المؤلفين • وأهم هذه الكتب الاولى هي التي ألفها ابن قتيبة والجاحظ •

فأما ابن قتيبة فان أبرز كتبه التي تتعلق ببحثنا هما كتابا « عيون الاخبار » و « المعارف » ، فاما الكتاب الاول فهو كتاب واسع ، فيه عدد غير قليل من النصوص المتعلقة بالبصرة ، بعضها مما انفرد به ، وبعضها مما نقله عن الرواة الاولين ، وخاصة المدائني ؛ وقد نقل عنه كثير من المتأخرين ، وخاصة ابن عبد ربه في كتابه « العقد الفريد » •

أما الجاحظ فله مكانة متميزة في دراسة البصرة وأحوالها في العهود الاسلامية الاولى ، نظراً لكونه بصري النشأة والمقام والثقافة ، ولكثرة مؤلفاته ، وسعة المعلومات التي أوردها وتنوعها وكثرة ما نقل ؛ اضافة الى اشاراته وتعليقاته وآرائه • وكانت معلومات الجاحظ أساس دراسات متعمقة قام بها عدد من الباحثين المحدثين ، وأخص بالذكر منهم الاستاذ شارل بيللا والدكتور طه الحاجري والدكتورة وديعة طه النجم •

ذكرت المصادر أسماء أكثر من (٢٥٠) كتاباً ورسالة ألفها الجاحظ ، وقد فقدت معظمها ولم يبق منها الا اسمها أو مقتطفات قليلة منها ؛ كما ان عدداً غير قليل من كتبه المهمة وصلنا مما اختصره عبيدالله بن حسان منها • ويمكن تمييز

بعض ما كتبه عن البصرة من صريح اشاراته اليها أو الى الأماكن فيها ، أو الى رجالها البارزين ، وهي متفرقة في كثير من كتبه ، غير ان مقداراً كبيراً مما كتبه لا يمكن الجزم بأنه يخص البصرة وحدها او أماكن اخرى ، أي انه عام ، خاصة وان اقامته بعد اكتمال نضجه لم تقتصر على البصرة ، حيث انه قضى شطراً من حياته الاخيرة في بغداد وسامراء ، فاذا كانت الحياة الفكرية في البصرة كانت المعين الاكبر لتكوينه الفكري ، فانها لم تكن المعين الوحيد ، كما ان اطلاعه الواسع على البصرة وكثرة ما تحدث عنها لا يعني ان كل ما ذكره مقصور على البصرة وحدها . ولا ينقص هذا من الاهمية المتميزة لما أورده عن البصرة ، وخاصة في كتبه الكبيرة الثلاثة : الحيوان ، والبيان والتبيين ، والبخلاء ، بالاضافة الى المعلومات القيمة رغم قصرها في كتابه « البلدان » الذي هو أحد الكتب التي وصلتنا باختصار عبيدالله بن حسان .

ان أوسع الكتب المهمة التي وصلتنا وفيها معلومات كثيرة عن البصرة هي كتابا « فتوح البلدان » و « أنساب الاشراف » للبلاذري ، و « تاريخ الامم والملوك » لمحمد بن جرير الطبري .

فأما « فتوح البلدان » للبلاذري فانه يبحث فتوح البلدان وادارتها وما فيها من أمصار ، وفيه فصول طويلة عن فتح منطقة البصرة والاقاليم التي من فتوح أهلها ، بما في ذلك كور دجلة والاحواز وفارس وكرمان ومكران وسجستان والهند وخراسان وما وراء النهر ؛ وعقد فصلاً واسعاً قيماً لتمصير البصرة ومعالمها العمرانية من دور وقصور وحمامات وانهار ، ذكر في كثير مما أورده اسماء من نقل عنهم فيها ، وهم ابن الكلبي ، والمدائني ، والوليد بن هشام القحذمي الذي لم تذكر المصادر كتاباً ألفه ، مما قد يدل على ان المعلومات التي أوردها ، وأكثرها تتعلق بالانهار والاقطاعات ، مأخوذة من سجلات الدواوين ، حيث كان جده قحذم بن سليمان والياً على الديوان في أواخر زمن خلافة بني أمية ؛ ومن المحتمل انه كان مصدر المعلومات الواسعة

التي أوردها عن أنهار البصرة وقطائعها والتي لم يشر البلاذري الى مصدره فيها ؛ وهذه المعلومات مستوعبة ، لا يكملها الا الاشارات الاضافية التي ذكرها ابن دريد في كتاب الاشتقاق . وقد اشار الى مواقع بعض المعالم العمرانية والانهار ، وسعة بعض الاقطاعات . ان مكانة البلاذري وسعة معلوماته جعلته المعتمد الاول لعدد من المؤلفين الذين نقلوا منه عن البصرة ؛ وخاصة ابن الفقيه الهمداني في كتابه «البلدان» وياقوت الحموي ، وقد أشارا الى البلاذري في بعض مانقلوه ، كما ان تطابق معلوماتهما مع ما ذكره البلاذري يظهر انهم نقلوها عنه رغم عدم اشاراتهم اليه .

كان كتاب فتوح البلدان معتمد ياقوت فيما ذكره عن البصرة وانهارها ، اذ نقل حرفيا معظم ماجاء عن البصرة وبعض خططها في الجزء الاول (ص ٦٣٦ ـ ٦٥٣) من معجمه « مادة البصرة » ، كما نقل معظم ما ذكره البلاذري عن أنهار البصرة ووضعه في المجلد الرابع (ص ٨٣٠ـ٨٤٦) وحذف ياقوت قليلا مما أورده البلاذري ، وأضاف معلومات قليلة استمدها من مصادر اخرى عن البصرة .

أما كتاب « أنساب الأشراف » فقد رتب مادته على « العشائر » ، وترجم بتفصيل لعدد من ولاة البصرة ورجالها ، وفيها معلومات غنية بعضها متفرد عن أحوال البصرة ومنطقتها ابان حياة المترجم لها ، مما يعين على متابعة التطور الحضاري والعمراني فيها ؛ وقد اعتمد في هذه المعلومات على عدد من الاخباريين الذين ذكر اسم كل منهم فيما نقله عنهم من أخبار ، وأبرز شيوخه في ذلك المدائني ، وأبو عبيدة ، وهشام بن الكلبي ، والهيثم بن عدي ، ومسلمة بن محارب . غير ان غزارة معلومات كتاب « الانساب » لا تتناسب مع قلة من نقل عنه .

أما الطبري فان لكتابه « تاريخ الرسل الملوك » مكانة متميزة بالنظر لشمول نطاق أبحاثه ، وسعة معلوماته التي استقاها من رواة موثقين فقدت

كتبهم ، فكان النقل الواسع للطبري عنهم المعين الاكبر لمعرفتهم ، وأبرز هؤلاء الرواة فيما نقل عن البصرة هم المدائني ، وأبو عبيدة ، بالاضافة الى مانقله عن ابن اسحاق والواقدي •

أورد الطبري ، معتمدا على رواته ، معلومات واسعة عن تأسيس البصرة ، وفتوح مقاتلتها ، والحوادث التي أسهموا فيها منذ تأسيسها حتى سنة ٣١٠ هـ ، فهو يتميز عن البلاذري بتنظيم مادته تبعاً للزمن ، وبالمعلومات الواسعة عن البصرة ابان النصف الثاني من القرن الثالث بما بحثه عن حركة صاحب الزنج استقاها من محمد بن الحسن بن سهل المدعو شيلمة •

أصبح كتاب الطبري بسبب سعة معلوماته ومكانة مؤلفه معتمد من تلاه من المؤرخين عن الازمنة التي بحثها ، فنقلوا حرفياً ، كل أو بعض ما أورده ، ومنهم ابن الجوزي في كتابه « المنتظم » ، وابن الاثير في كتابه « الكامل » وابن كثير في كتابه « البداية والنهاية » ، وابن خلدون في كتاب « العبر » •

الدراسات الحديثة :

نشرت في الازمنة الحديثة دراسات كثيرة بعضها عام عن أحوال العراق وفيها صفحات عن البصرة ، وبعضها خاص في أحد جوانب الحياة والاحوال في البصرة •

ومن أبرز ما نشر عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في البصرة كتابي بهذا الموضوع ، وعن الحياة الفكرية والادبية : « الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء للاستاذ شارل بيللا (بالفرنسية ومترجم الى العربية) ، و « الجاحظ والحاضرة العباسية » للدكتورة وديعة طه النجم و « الحياة الادبية في البصرة للدكتور احمد كمال زكي » و « الشعر في البصرة في العصر الاموي » للدكتور عون شريف القاسم ، وكذلك الدراسة التي نشرها عن ثورة الزنج

الدكتور فيصل السامر (*) .

أما عن أحوال منطقة البصرة قبل الاسلام وبعده فمن أبرز الدراسات هي ما كتبه : نيدلمان عن دولة ميسان « بالانكليزية ومترجم الى العربيـة » ونيسن « جنوب بابل » (بالالمانية) وحنا فاي « بابل المسيحية » (بالفرنسية) وشايدر « الحسن البصري » (في مجلة الاسلام بالالمانية) ، وليسـترانج « بلدان الخلافة الشرقية » (بالانكليزية ومترجم الى العربية) ومقال فالكون وليز «التاريخ الجغرافي لسهول مابين النهريـن» (بالانكليزيـة ومترجم الى العربية). وكذلك كتاب موروني «العراق بعد الفتح الاسلامي» ١٩٨٤ ، ففيه دراسة واسعة عن الاحوال الجغرافية والسكانية والادارية للعراق ، فيها مقدار غير قليل عن البصرة ومنطقتها مع قائمة واسعة للمصادر .

اما فتوح البصرة فان أوسع الدراسات الحديثة هي دراسة كايتاني في كتاب « حوليات الاسلام » الذي استوعب فيه ما جاء في المصادر العربيـة والكتب الحديثة عن الحوادث التي جرت حتى سنة ٤٠ هـ » وفيه فصول عن فتوح البصرة وتأسيسها (٢/٩٢ ــ ٣٠٩ ، ٣٧٩ ــ ٣٨٤) وأحدث منه كتاب اوكونر عن الفتوح الاسلامية (١٩٨١) (بالانكليزية) وفيه دراسة مستوعبة عن توسع الدولة الاسلامية في زمن الخلفاء الراشدين ، مع التأكيد على آثار الحياة البدوية والحضرية ابان ذلك التوسع الذي شملت دراسته البصرة ومنطقتها .

لقيت الانهار في منطقة البصرة اهتماما من عدد من الباحثين المحدثين ، فخصصوا فيما كتبوه عن البصرة فصولاً ذكروا فيها قوائم بأسماء ما هو موجود منها في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، بالاضافـة الى ما ذكره بعضهم من معلومات عامة عن تاريخ البصرة وما مر بها من الاحداث

(*) انظر : عبدالحسين يونس علي « قائمة بالكتب والمصـادر العربيـة عن البصرة » (١٩٨١) .

منذ أول تأسيسها، علما بأن ما ذكروه عن الحوادث معتمد على ما ذكرته المصادر من الحوادث السياسية بالدرجة الاولى ، ومن أبرز قوائم أنهار البصرة هي التي نشرها ابراهيم فصيح الحيدري في كتابه « عنوان المجد » وذكر مما يجري في الجانب الغربي من العشار الى الفاو أسماء ثلاثة وثلاثين نهرا ؛ ومن العشار الى الهارثة تسعة أنهار ، وأشار الى عدد مما يتفرع من بعضها دون أن يذكر أسماءها . وذكر من الانهار التي تأخذ من شرقي شط العرب أسماء اثنين وعشرين ؛ وذكر أيضاً أسماء عدد من الانهار التي تأخذ من الجانب الشرقي جنوبي جزيرة عبادان . وذكر أيضا عددا من جزر شط العرب .

وعقد محمد النبهاني في كتابه «التحفة النبهانية» (١٣٤٢ ، ١٩٦١) فصلاً عن أنهار البصرة وذكر ان شط العرب يتفرع منه نحو ٤٧٠ نهرا في الجانب الغربي ، و ١٦٧ نهرا في الجانب الشرقي . ثم ذكر أسماء ١٧٠ نهراً مما يأخذ من الجانب الغربي ، مسلسلة تبعا لتتابع مواقعها والاقسام الادارية التي تجري فيها. وذكر أسماء ٣٨ من أنهار المقاطعات الشرقية من القرنة الى الجنوب . كما عدّد القرى والمقاطعات التي في الجانب الغربي وعددها سبعون ، ومما كان في الجانب الشرقي مدخلاً في امارة بني كعب في زمنه وعددها ٧٨ .

ونشر باش أعيان في مجلة لغة العرب (م ٣ ج ٢ / سنة ١٩١٣) جرداً لأسماء انهار شط العرب في جانبيه الغربي والشرقي ، فعدد اسماء ٤٧٠ نهراً في الجانب الغربي من القرنة الى الفاو ، و ١٦٤ نهرا في الجانب الشرقي الى المحمرة . فقائمته أوسع ، وفيها ذكر عدد من الانهار المذكورة في المصادر القديمة .

ونقل الدكتور محمد طارق الكاتب في كتابه « شط العرب وشط البصرة » ما جاء في كتاب فتوح البلدان للبلاذري ، ومعجم البلدان لياقوت عن أنهار البصرة ، مع اضافات قيمة عن موقع نهر معقل والابلة .

ونشرت عن تاريخ البصرة وتأسيسها وخططها دراسات من أبرزها :

١ ـ « البصرة في أدوارها التاريخية » للاستاذ عبدالقادر باشاعيان ؛ ١٩٦١ .

٢ ـ « نبذة تاريخية في اصول اسماء الاماكن العراقية » للاستاذين كوركيس عواد وبشير فرنسيس ، مقال منشور في مجلة سومر م ٨ ـ ١ سنة ١٩٥٢ .

٣ ـ « تأسيس المدن الاسلامية » للاستاذ اوبرمان (بالالمانية) .

٤ ـ « خطط البصرة » لمؤلف هذا الكتاب . مقالان منشوران في سومر م ٨ ، ١٩٥٢ ، ص ٧٢ ـ ٨٣ ، ٢٨١ ـ ٣٠٢ .

٥ ـ « الابلّة » مقال لبشير فرنسيس في مجلة سومر ١٩٥٢ .

٦ ـ « الابلّة ونهرها العشار » مقال للدكتور مصطفى جواد منشور في مجلة سومر ١٩٥٣ .

٧ ـ « شط العرب في التاريخ » للدكتور محمد طارق الكاتب . نشرها في ستة أعداد من مجلة الموانىء (٣٠ تموز ـ ٣١ كانون الاول ١٩٧٠) ثم أعاد طبعها منقحة في السنة التالية في كتاب « شط العرب والبصرة » وهي أبحاث مفصلة فيها عدة خرائط ، منها خارطة عن خطط البصرة .

٨ ـ «شرح خارطة البصرة» للاستاذ لويس ماسينون نشرها في WARTC سنة ١٩٥٤ (ص ١٥٤ ـ ١٩٢) واعيد نشرها في «الكتب الصغرى» الذي يضم مجموعة مقالاته وترجمها الدكتور ابراهيم السامرائي سنة ١٩٨٢ ؛ وهي تبحث في خطط البصرة وفيها خارطة .

الفصل الثاني

منطقــة البصــرة

بنيت البصرة في منطقة مستوية خالية من العوارض والمرتفعات الطبيعية فلم يعرف من المرتفعات فيها غير جبل سنام وسفوان اللذين يبعدان عن موقع المدينة حوالي خمسين ميلاً ، والمنطقة منخفضة لايزيد ارتفاعها عن سطح البحر أكثر من أربعة أمتار ، فهي بطيئة الانحدار ، ويبلغ معدل انحدار الارض فيها حوالي ١/٢٠٠٠٠ ، غير ان الاراضي في اطرافها الغربية تزداد ارتفاعا على ذلك .

ومن آثار انخفاض أرضها وقلة انحدارها قصر طول الانهار التي فيها ، والواقع ان شحة الماء فيها ، وسوء أحوال تربتها كانا من أبرز ما لوحظ عليها منذ بدء تأسيسها ؛ ومرجع ذلك ان المنطقة تتزود بالمياه من دجلة البصرة أو شط العرب الذي يأخذ معظم مائه من دجلة والفرات . وكانت موارد هـذه المياه قد تناقصت عندما حول دجلة مجراه على اثر الفيضانات العارمة التي اجتاحت العراق في السنة السابعة للبعثة النبوية في زمن حكم الملك الساساني ابرويز ، مما أدى الى ان تصب كثير من مياه دجـلة والفـرات في الأراضي المنخفضة في شمال منطقة البصرة ، فتكون البطائح وينقطع الماء عن المجرى الاسفل من نهر دجلة الذي أصبح بسبب هذا الانقطاع يسـمى « دجـلة العوراء » ؛ وقد ازدادت البطائح على أثر الفتوح الاسلامية مباشرة ، فقلت المياه التي تذهب الى البحر ، وتعرقلت الملاحة النهرية في أسفل دجلة ولم تعد تسلكه السفن ، وأصبحت المواصلات بين البصرة والكوفة ، وهما المدينتان الرئيستان في العراق في صـدر الاسـلام ، تسـلك الطريق البري « على

الظهر »[1] وظل الامر على هذه الحال الى ان حفر أبو الاسد في زمن خلافة أبي جعفر المنصور النهر المسمى باسمه ، ليصل بين دجلة البصرة والبطائح[2] ، فيزيد من ماء دجلة وييسر الملاحة النهرية التي نشطت منذ ذلك الوقت وأصحت المسلك الرئيس بين البصرة وبغداد .

أدى صب مياه دجلة والفرات في البطائح الى تباطؤ جريان الماء وترسب الطمى في البطيحة ، وبذلك يخرج الماء من البطيحة صافياً صالحاً للشرب ، ولكنه خال من المواد الغرينية التي تقوي التربة وتزيد من صلاحيتها للزراعة وقد أشار الاقدمون الى ظاهرة صفاء ماء البطيحة وما يصل منه الى البصرة ، فذكر المسعودي فيما أورده من مفاخرة بين أهل الكوفة وأهل البصرة فقال « ما عاب به أهل الكوفة أهل البصرة فقالوا ماؤكم كدر زهك زفر ، فقال أهل البصرة من أين يأتي ماءنا الكدر وماء البحر صاف وماء البطيحة صاف ، وهما يمتزجان في وسط بلادنا » . وافتخر أهل الكوفة وقالوا « ماؤنا أعذب المياه وأغذاها ، وهو أصح للاجسام من ماء دجلة ، واذا كانت فضيلة مائنا على دجلة فما ظنك بفضيلته على ماء البصرة وهو مختلط بماء البحر ومن الماء المستنقع في اصول القصب الهروي »[3] . ونقل ابن الفقيه مناظرة بين أبي بكر الهذلي البصري وابن عياش الكوفي في حضرة الخليفة أبي العباس السفاح ، فأشار ابن عياش الى اختلاف ماء البصرة عن ماء الكوفة وقال « وانما البصرة من العراق بمثابة المثانة من الجسد ، ينتهي اليها الماء بعد تغييره وفساده مضغوطة من قبل ظهرها بأخشن أحجار الحجاز وأقلها خيراً ، مضغوطة من فوقها ببطيحتها وان كانوا

---

(1) انظر عن البطائح : فتوح البلدان ٢٩١ - ٢٩٣ ؛ الاعلاق النفيسة لابن رسته ٩٥ ؛ التنبيه والاشراف للمسعودي ٤٨ (طبعة الصاوي) .

(2) فتوح البلدان ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(3) مروج الذهب ٣/٣٣١ (طبعة صادر) .

يستعذبون ماءهم ، ولولا ذلك ما انتفعوا بالعيش ، ومضغوطة بالبحر الاخضر من أسفلها » ؛ وذكر أيضاً أن الكوفة « موضعها على صدور الارضين ، ينتهي اليها الماء ببرده وعذوبته ويتفرق من بلادنا ويجوز بالعذبة الزكية : الفرات ودجلة ؛ والبصرة من العراق بمنزلة المثانة من الجسد »[٤] .

ويقول الجاحظ « وهم يعيبون ماء البصرة ، وماء البصرة رقيق قد ذهب عنه الطين والماء المشوب بماء بغداد والكوفة لطول مقامه بالبطيحة وقد لان وصفا » ويذكر أيضا « ويستدل على كرم طينهم ببياض كيزانهم وعذوبة الماء البائت في قلالهم ؛ وفي لون آجرهم كأنها سبك من مح بيض » ، وينقل عن زياد قوله « مثل الكوفة كمثل اللهاة يأتيها الماء ببرده وعذوبته ، ومثل البصرة كالمثانة يأتيها وقد تغير وفسد »[٥] .

والواقع ان أهل البصرة اعتمدوا في سد حاجتهم من المياه للشرب من ماء البطيحة ومن الحياض التي انشأوها وسنفصل في ذلك فيما بعد .

أدت قلة ما يصل منطقةالبصرة من مياه دجلة والفرات والاحواز الى انخفاض مستوى مياه الانهار فيها ، وضعف صدها لآثار مد البحر فكانت انهارها الآخذة من دجلة تتأثر فيها ، فترتفع وتنخفض تبعاً للمد والجزر .

وكان من أثر ذلك أن كانت المياه الآخذة من دجلة البصرة شحيحة مجّة لا تصلح للشرب ؛ وقد ادرك أهل البصرة الأثر السيء لذلك منذ أوائل سني انشائها ، وعبّر عن ذلك الأحنف بن قيس عندما وفد على الخليفة عمر بن

---

(٤) مختصر كتاب البلدان ١٦٨ .
(٥) « البلدان » (طبعتنا في مجلة كلية الاداب ٤٩٩ ، وانظر قول زياد في عيون الاخبار ١/٢٢٠ ؛ لطائف المعارف للثعالبي ١٦٧ ؛ العقد الفريد ٦/٢٤٦) .

الخطاب فقال « ان اخواننا من أهل الامصار نزلوا منازل الأمم الخالية بين المياه العذبة والجنان الملتفة ، وانا نزلنا سبخة نشاشة لا يجف نداها ، ولا ينبت مرعاها ، ناحيتها من قبل المشرق البحر الاجاج ، ومن قبل المغرب الفلاة ، فليس لنا زرع ولا ضرع ، تأتينا منافعنا وميرتنا في مثل مريء النعامة ؛ يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة لذلك فتريق ولدها كما يريق العنز ، يخاف بادرة العدو وأكل السبع ، فالا ترفع خسيستنا وتجبر فاقتنا نكن كقوم هلكوا »[٦] . وقد استجاب الخليفة عمر الى طلب الأحنف فأمر بايصال نهر الابلة الى الرقعة التي بنيت عليها البصرة ، والتي كانت تبعد أربعة فراسخ ، أي أكثر من عشرين كيلو متراً عن دجلة البصرة ؛ ووفر مد هذا النهر توفير الماء لمدينة البصرة ، غير انه لم يكن كافياً وخاصة بعد تزايد السكان وتوسع المدينة ، خاصة وان أحوال مدخله جعلته غير صالح لملاحة السفن الكبيرة ، ثم شق لها زياد نهر معقل على فرسخ شمالي نهر الابلة ، فكان هذا النهر مسلك السفن الى البصرة ، ثم وصل النهرين بنهر ثالث فتوفرت المياه ، الى أغراض الشرب التي ظلت تعتمد على ماء البطيحة والحياض .

أدى انخفاض الارض في البصرة واستواؤها وقلة المياه الجارية فيها الى كثرة السباخ فيها ، وقد أشارت المصادر الى سباخ البصرة ، فيروي أبو داوود حديثاً للرسول (ص) « سوف تنشأ على طرف البرية مدينة يقال لها البصرة ، فاياك اياك من كلائها وسباخها ومسجد عشارها »[٧] ، وأشار الأحنف بن قيس في شكواه للخليفة عمر بن الخطاب الى سباخ البصرة .

---

(٦) فتوح البلدان ٣٥٥ ، ابن الفقيه ١٨٩ ، ١٦٦ ، وانظر الطبري ٢٥٣٨/١ ونصه مختلف .

(٧) سنن ابي داوود : ملاحم ١٠ ، وانظر عن مسجد العشار في الابلة : التاريخ لخليفة ١٤٢ .

والواقع ان السباخ ظلت واضحة الأثر حتى بعد الاحياء الواسع للاراضي الذي حدث بعد الفتح الاسلامي ، واستخدام العبيد في كسح السباخ الذين كانوا في أواسط القرن الثالث الهجري عندما ثار صاحب الزنج يعملون فيها بأعداد كبيرة[٨] . ويلاحظ انه لم يذكر في تاريخ الازدهار الاسلامي استخدام العبيد في الزراعة بمقياس واسع الا في منطقة البصرة .

ومما عولجت به أرض البصرة لاستصلاحها استعمال السماد ، وخاصة من المفرزات البشرية ، وكان ذلك مما تميزت به البصرة ، وفي ذلك يقول الجاحظ « ثم العجب من أهل بغداد وميلهم معنا وعيبهم ايانا في استعمال السماد في أرضنا ولنخلنا ، ونحن نراهم يسمدون بقولهم بعذرة اليابسة حرفاً ، فاذا طلع وصار له ورق ذروا عليه من ذلك العذرة اليابسة حتى يسكن في خلال ذلك الورق ، واذا أراد أحدهم أن يبني داراً فيجيء الى مزبلة فيضرب منها لبناً ، فان كانت داره مطمئنة ذات قعر ، حشا من تلك المزبلة التي لو وجدها أصحاب السماد عندنا لباعوها بالاموال النفيسة ، ثم يسجرون تنانيرهم بالكساحات التي فيها من كل شيء ، وبالأبعار والأخثاء وكذلك مواقد الكيران[٩] ، وينقل ابن الفقيه عن البصرة « وأما المحتاج فلا عيلة عليه ما بقيت استه يخرا ويبيع »[١٠] .

ويبدو ان منطقة البصرة ، وخاصة التي تقع في الجانب الغربي من النهر، كانت مهملة في العهود الساسانية المتأخرة ، فلما وليها المسلمون ، حدثت حركة واسعة لاستصلاح الاراضي واعمارها في هذه المنطقة ، وقد بدأت منذ زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان وواليه على البصرة عبدالله بن عامر ، ثم اتسعت في زمن خلافة معاوية ابان ولاية زياد . وقد أورد البلاذري عنها معلومات

---

(٨) الطبري ٣ . ١٧٤٨ – ١٧٥٠ . (٩) البلدان ٣٠٥ .
(١٠) ابن الفقيه ١٩٠ .

واسعة بما ذكره من كثرة الانهار التي اقطعت واستصلحت ، واستمرت حركة الاستصلاح حتى زمن الخليفة هارون الرشيد ؛ وظلت البصرة مشهورة بكثرة انهارها حتى قدرها بعض الرواة بأكثر من مائة ألف[11] ، وهو رقم مبالغ فيه ، ولكنه يعبر عن كثرة الانهار والقطائع والاراضي المستصلحة فيها.

وكان المنتوج الرئيس في البصرة هو النخل . ويذكر الجاحظ عن البصرة « وتبقى النخلة عشرين ومائة سنة وكأنها قدح ، وليس يرى من قرب القرية التي يقال لها النيل الى أقصى انهار الكوفة نخلة طالت شيئاً الا وهي معوجة كالمنجل »[12] . وقد وردت اشارات الى مقدار ما فيها من منتوج التمور فيذكر الجاحظ « وما ظنك ببلدة يدخلها في البادى من أيام الصرام الى بعد ذلك بشهر ما بين ألفي سفينة تمراً وأكثر في كل يوم ، ولا يبيت فيها سفينة ، فاذا باتت فانما صاحبها هو الذي يبيتها ، لانه لو كان حط في كل ألف رطل قيراطاً لاتسقت اتساقاً »[13] . وينقل الرازي عن مؤلف مناقب البصرة « انه وجد كيل التمر حين يكال سبع مائة ألف كر غير العلف والسمسم والقطن »[14] .

وذكر الجاحظ في رخص أسعار النخل في البصرة « ومن يطمع من جميع أهل النخل أن يبيع فسيلة بسبعين ديناراً ، أو سجونة بمائة دينار ، أو جريباً بألف دينار غير أهل البصرة[15] . وأشهر أنواع تمور البصرة هي « البرني والقريتا ما أعلمهما في بلد أكثر منها بالبصرة »[16] .

واشتهرت البصرة أيضا بالنارنج الذي تميز ما يزرع فيها على البلاد

---

(١١) انظر مثلا الاصطخري ٨٥ ؛ ابن حوقل ٢١٢ ، تاريخ صنعاء ١١٢ وهو يذكر انها ٣٠٠ الف نهر .

(١٢) البلدان للجاحظ ٥٠١ .

(١٣) البلدان للجاحظ ٥٠٣ .

(١٤) تاريخ صنعاء ١١٦ .

(١٥) البلدان للجاحظ ٥٠٤ .

(١٦) ابن الفقيه ١٧١ .

الاخرى[17] كما اشتهرت بزراعة السمسم والقطن ، كما يتضح مما ذكره مؤلف مناقب البصرة في النص الذي أوردناه أعلاه ؛ وكانت تصدر الى المدينة السكر[18] .

ان توسع الزراعة الذي قام على استصلاح الاراضي واعمارها لم يصل الى الحد الذي يجعل منطقة البصرة تحتل المكان الاول في الانتاج الزراعي في العراق ، وذلك لان ملوحة الارض ، وضيق الاراضي القابلة للزراعة ؛ فهي شريط من الارض لا يتجاوز عرضه بضعة أميال على طول شاطىء دجلة البصرة ؛ حدد من نوع وكمية منتوجاتها الزراعية ، وافسح المجال لعامل آخر في ازدهارها وهو التجارة التي ساعد على نموها موقع البصرة الجغرافي على رأس الخليج العربي وساعدت الاصلاحات التي ادخلت على مصب دجلة البصرة ، ومنها وضع « الخشبات » لهداية السفن عند دخولها ذلك النهر ؛ على وصول السفن الى الابلة . وعملت عوامل متعددة على تزايد أهمية البصرة في التجارة بعد الاسلام ؛ وكان هذا التوسع على حساب موانىء اليمن والبحرين ، حيث تضاءلت أهمية كل من عدن والبحرين .

وقد ظهرت آثار النشاط التجاري في البصرة منذ أوائل زمن الأمويين وانعكس في عددمن الاقوال التي نسبت لرجال من أهل البصرة يفخرون بما تميزت به مدينتهم ، فيروى ان الاحنف بن قيس فخر على الكوفيين أمام مصعب بن الزبير وقال « نحن أكثر ساجاً وعاجاً وديباجاً ، ونحن أكثر قنداً ونقداً »[19] . وقال خالد بن صفوان لمسلمة بن عبدالملك ان البصرة « أكثر ساجاً وعاجاً وخزاً وديباجاً وبرذوناً هملاجاً وخريدة مغناجاً ؛ بيوتنا الذهب ،

---

(17) لطائف المعارف ٢٣٥ ؛ نهاية الارب للنويري ١/٣٧١ .
(18) تاريخ دمشق لابن عساكر ٥/٥٦ .
(19) مروج الذهب ٢/٣٣١ .

ونهرنا العجب »[٢٠] ، ونسب الجاحظ الى أبي بكر الهذلي قوله في حضرة أبي جعفر المنصور يفخر بالبصرة « نحن أكثر منكم ساجاً وعاجاً وديباجاً وخراجاً ونهراً عجاجاً »[٢١] . ويتبين من هذه النصوص ان السلع البارزة في تجارة البصرة هي الساج ، والراجح ان المقصود به خشب الساج الذي كان يجلب من الهند ويستعمل بكثرة للبناء ، ثم العاج الذي كان يجلب من الهند وشرقي أفريقية . أما الخز والديباج فهو من منتوجات اقليم الاحواز . أي انها تقوم على السلع المنتجة في البلاد الواقعة على أطراف المحيط الهندي ، والسلع المنتجة في مدن الاحواز . ولعل التجارة شملت المنتوجات الاخرى التي كانت تنتجها أقاليم المحيط الهندي والمدن الواقعة في الاطراف الشرقية من الهضبة الايرانية ؛ والتي عددها الجاحظ في كتابه « التبصر بالتجارة » .

وكان البصريون يقومون بهذه التجارة ، وقد فخر الاحنف بن قيس بقوله للكوفيين « نحن أبعد منكم سرية ، وأعظم منكم بحرية ، واغذى منكم برية »[٢٢] . ويذكر ابن الفقيه « أبعد الناس نجعة في الكسب بصري وخوزي وحيرى ، ومن سار بين دجلة وفرغانة القصوى والسوس الاقصى ، فلابد أن يرى بها بصرياً وخوزياً وحيرياً »[٢٣] ؛ وذكر الرازي في اليمن « قوم من أهل البصرة كانوا يتجرون بصنعاء مثل بني مسكين وبني بديل»[٢٤] وذكر « دار ابن عنبة في شارع العراقيين .. وكان ينزل هذه الدار من قدم من البصرة والعراق من أهل اليسار »[٢٥] .

ولاريب في أن تجارة البصرة اعتمدت على الازدهار الكبير الذي حدث

---

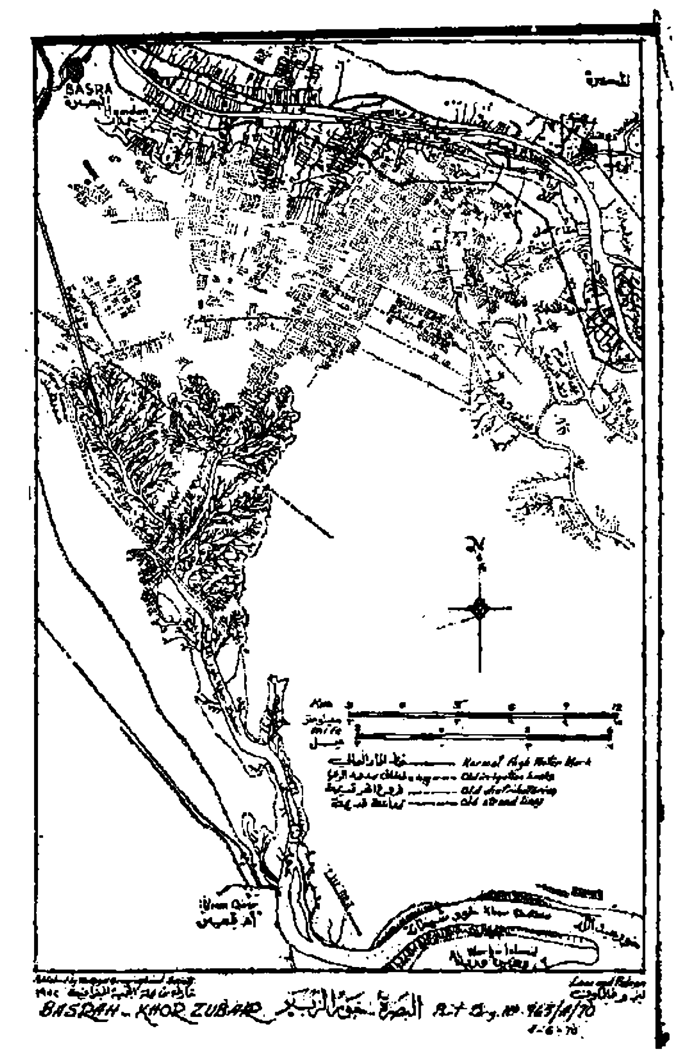
(٢٠) ابن الفقيه ١٩٢ .
(٢١) البيان والتبيين ٢/٩٤ ؛ وانظر ١/٣٥٧ .
(٢٢) البيان والتبيين ٢/٩٣ .
(٢٣) ابن الفقيه ١٩١ ؛ وانظر عن تجارة البصرة تفاصيل أوسع فيما كتبته عن ذلك في كتابي «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة» .
(٢٤) تاريخ صنعاء ١٠ . (٢٥) تاريخ صنعاء ١١٢ .

في بغداد ورافقه انتعاش الطريق النهري الذي يسلك دجلة ، ولم تؤثر فيه تحرشات الزط التي قضى عليها عجيف بن عنبسة في زمن المعتصم ، وظل هذا النشاط قائما الى أواسط القرن الثالث عندما عطلته ثورة صاحب الزنج.

ومن عوامل النشاط الاقتصادي في البصرة العطاء الذي كان يوزع على مقاتلتها ، وكان يدفع من جبايات الاقاليم التي قام أولئك المقاتلة بضمها الى الدولة . وكانت هذه الاقاليم في زمن خلافة عمر بن الخطاب محدودة لم تتجاوز كور دجلة والاحواز ، ويبدو ان الجباية منها كانت في البداية غير كبيرة ، ولكن الخليفة عمر أمر أن تتبع في توزيع العطاء على مقاتلتها نفس الاسس التي اتبعت في توزيع مقاتلة الكوفة ، وفي زمن خلافة عثمان بن عفان توسعت فتوح أهل البصرة ، وشملت الاقاليم التي في اواسط وجنوبي الهضبة الايرانية وخراسان ، فازدادت موارد الجبايات ، والراجح انه كانت كافية لعطاء الاعداد المتزايدة من المنضمين الى المقاتلة ، وقد عمد زياد وابنه عبيدالله ابان ولايتهما البصرة على اعادة تنظيم الجباية وتوزيع العطاء[٢٦] .

لاريب في ان الجباية من الاقاليم بالنقود أدت الى زيادتها في البصرة ، وامن للمقاتلة موارد سنوية منظمة تكفي للمعيشة اللائقة ، كما انها كانت عاملاً في انماء النشاط الاقتصادي داخل المدينة ، لان المقاتلة الذين في العطاء كان عليهم ان يزودوا أنفسهم بالالبسة والمسكن والسلاح ، فكانوا ينفقون العطاء لتأمين ذلك ، مما ساعد على نشاط حركة السوق والصناعات التي تتطلبها الحاجات المحلية ، ومن حيث العموم فان الاسعار في البصرة كانت رخيصة .

(٢٦) انظر تفاصيل ذلك في كتابنا « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة » .



خارطة جوية لمنطقة البصرة
(منقولة عن مجلة الجمعية الجغرافية)

القسم الاول

خطط مدينة البصرة ومعالمها العمرانية

(١) المسجد الجامع والرحبة ودار الامارة .

(٢) خطط الاخماس : اهل العالية . تميم . بكر . عبدالقيس . الازد .

(٣) المعالم العمرانية . المعالم في الاطراف الجنوبية سنام وسفوان والحزيز.

المعالم في الاطراف الغربية . المربد .

المعالم في الاطراف الشمالية . الزاوية وقصر انس .

الخريبة .

السوق .

الحمامات .

السور .

الفصل الثالث

تاسيس البصرة ونمو سكانها

تأسست البصرة لتكون قاعدة للجيوش الاسلامية التي توجهت في أول زمن خلافة عمر بن الخطاب منجزيرة العرب للقضاء على دولة الفرس وانهاء حكمهم وضم البلاد الى الدولة الاسلامية ؛ وقد ارسلت الجيوش الاسلامية الى جبهتين من العراق ، احداهما في الاطراف الوسطى من العراق في منطقة الكوفة ، وكانت هي القرة لرئيسة وقد وجهت نحو المنطقة الاقرب الى المدائن عاصمة الساسانيين ومقر ملكهم . اما الجبهة الثانية فكانت في منطقة البصرة في الاطراف الجنوبية من العراق ، وكان الغرض من ارسالها آنذاك مشاغلة الفرس ومنعهم من امداد القوات الفارسية الرئيسة لتي كانت تقاتل العرب في جبهة الكوفة ، غير ان واجباتها سرعان ما اتسعت وامتدت لتقوم بفتح اقليم الاحواز ثم الاقاليم الواقعة في واسط وجنوب وشرقي الهضبة الايرانية .

وقبل تقدم الجيش الذي انفذه عمر بن الخطاب ، كان يقوم بغارات على الفرس في هذه المنطقة قطبة بن قتادة الذهلي مع جماعة من قومه لم تذكر المصادر عددهم ؛ وقد قاتلوا الفرس مع خالد بن الوليد عندما دخل العراق من هذه المنطقة[1] ، وظلوا فيها بعد ارتحال خالد بن الوليد عنها ، واتصلوا بعمر بن الخطاب عندما ولي الخلافة[2] ، فارسل اليهم شريح بن عامر

---

(١) فتوح البلدان ٢٤١ ، ٣٤٠ ، الطبري ٢٠١٦/١ ، ٢٣٨١ ، ابن سعد ٧- ٥٣/١ ، اسد الغابة لابن الاثير ٢٠٦/٤ ؛ الاصابة لابن حجر ٤٧٣/٣ .

(٢) الطبري ٢٤٨١/١ .

السعدي ليكون ردءاً لهم ، غير ان شريحاً قتل في غاراته على الفرس[٣] ، فارسل عمر عتبة بن غزوان مع قوة صغيرة قوامها ثلاثمائة رجل[٤] ، وانضم اليه قطبة بن قتادة بمن معه ، ثم تابع عمر ارسال الرجال اليه ، فصار عدد قواته ثمانمائة رجل[٥] .

وعتبة بن غزوان من الصحابة الاولين ، وهو من قبيلة مزينة التي كانت ديارها في الجبال الواقعة في جنوبي المدينة في الحجاز ، اما القوة التي كانت معه فقد ذكر عدد من رجالها وهم ينتمون الى عدة عشائر ، منها ثقيف[٦] ، وسليم[٧] ، وعدي[٨] ، وبلي[٩] ، ومازن [١٠] ، ويشكر[١١] .

لم تكن القوات العربية مع عتبة كبيرة ، وكانت تقوم بحركات مستمرة ، وفي منطقة واسعة نسبياً ، وأكثر حركاتها كانت في الاطراف الغربية من دجلة البصرة ، وقامت بفتح الابلة على شاطئه الغربي ، وأغارت على مدينة الفرات التي تقع مقابلها على الجانب الشرقي من النهر . وتتفق الروايات على ان عتبة بن غزوان هو الذي كان يقود الحركات ، وهو الذي مصّر البصرة واتخذها قاعدة ثابتة للجيوش الاسلامية التي تقاتل في تلك الجبهة .

وردت عن تاريخ انفاذ عتبة بن غزوان وبنائه البصرة عدة روايات

---

(٣) الطبري ١/٢٣٨١ وعن المدائني ، فتوح البلدان ٢٤٢ ، ٣٤١ ، الاصابة ٢٠٣/٣ اسد الغابة ٢٩٥/٢ .
(٤) ابن سعد ٧ - ١٣٨/١ ، الطبري ٢٣٧٨/١ ، ٢٣٨٤ - ٥ (عن المدائني) .
(٥) فتوح البلدان ٣٤٢ ، ٣٥٠ ، ابن سعد ٧ - ٣/١ ، ويقول ياقوت ان عتبة كان معه ستمائة رجل (معجم البلدان ٦٣/١) .
(٦) فتوح البلدان ٣٤١ ، الطبري ٢٣٨٥/١ .
(٨) الاموال للقاسم بن سلام ١٣٩ ، حلية الاولياء لابي نعيم ٢٥٥/٣ .
(٩) الطبري ٢٣٨٥/١ .
(١٠) الطبري ٢٣٨٦/١ (عن المدائني) .
(١١) الطبري ٢٣٨٤/١ .

فروى البلاذري ان عمر بن الخطاب ارسل عتبة « وقال له ان الحيرة قد افتتحت وقتل عظيم من العجم ، يعني مهران ، ووطئت خيل المسلمين ارض بابل ، فسر الى ناحية البصرة واشغل من هناك من أهل الأهواز وفارس وميسان عن امداد اخوانهم على اخوانك »[12] وقد نقل ياقوت هذه الرواية ، ولكنه حذف عبارة « وقتل عظيم من العجم يعني مهران ووطئت خيل المسلمين بابل »[13] ، وعلى أي حال فان الرواية تظهر ان ارسال عتبة حدث على اثر مقتل مهران ، وانه تم عند أو قبل ارسال سعد بن ابي وقاص الى منطقة الكوفة .

غير ان البلاذري يذكر ان ابا موسى « ولي البصرة سنة ١٦ ويقال سنة ١٧ والثبت ان ابا موسى ولي البصرة في سنة ١٦ ، وهذا يقتضي ان عتبة ارسل قبل ذلك التاريخ[14] .

ويقول الواقدي ان عتبة بن غزوان كان مع سعد بن ابي وقاص ، فكتب اليه عمر ان اضرب قيروانك بالكوفة ووجه عتبة بن غزوان الى البصرة »[15].

وتقرب من هذه الرواية ادعاء سيف « ان البصرة مصرت في ربيع سنة ١٦ وان عتبة بن غزوان خرج الى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جلولاء وتكريت ، وجهة اليها سعد بأمر عمر »[16] .

ويجدر ان نشير الى ان الواقدي يقول « انشئت البصرة سنة ١٧ من التاريخ قبل الكوفة بستة اشهر ، وانشئت الكوفة سنة ١٨ من التاريخ »[17] ، ومع ان التاريخ المذكور هو عن تأسيس البصرة ، الا انه يوحي بتأخر ارسال عتبة .

---

(١٢) فتوح البلدان ٣٤٠ . (١٣) ياقوت ٦٣٨/١ .
(١٤) فتوح البلدان ٣٤٤ .
(١٥) فتوح البلدان ٣٤٩ ، ياقوت ٦٤١/١ .
(١٦) الطبري ٢٣٠٨/١ . (١٧) ابن الفقيه ١٨٨ .

وفي اختيار الرقعة التي بنيت عليها البصرة وردت عدة روايات تظهر انهم تنقلوا في اول قدومهم المنطقة في عدة مواقع قبل ان يستقروا على المقام في الموضع التي بنيت فيه حول المسجد الجامع • فيروي الطبري عن سيف بن عمر ان أهل البصرة « نزلوا على الشاطىء بحيال جزيرة العرب ، فاقاموا قليلا ، ثم ارزوا ، ثم شكوا ذلك حتى امره عمر بان ينزل الحجر بعد ثلاثة أوطان اذ اجتووا الطين ، فنزلوا الرابعة البصرة»[١٨] ويروى ما يوضح مواقع المنازل الثلاثة الاولى فيقول « واما اهل البصرة فكان مقامهم على شاطىء دجلة ، ثم ارزوا مرة حتى استقروا وبدأوا ، ثم خنسوا فرسخاً وجرّوا معهم نهراً ، ثم فرسخاً ثم جروّه ، ثم فرسخاً ثم جرّوه ، ثم اتوا للحجر ثم جروه ، واختطوا على نحو من خطط الكوفة »[١٩] • ان هذا النص يظهر ان المقاتلة اتخذوا اول مقام لهم على شاطىء دجلة ، ثم انتقلوا غرباً ثلاث مرات ، وكانوا في كل مرة يجرّون معهم النهر ، الى ان وصلوا موقع البصرة فاستقروا فيه وبنوا البصرة ، ولاريب في انه قصد بالموقع الذي على شاطىء دجلة الأبلّة أو ما يجاورها ، وقصدوا بالنهر الذي جرّوه نهر الابلة الذي كان يصل دجلة بالبصرة ؛ غير أن هذه الرواية لا تنسجم مع الاحوال العامة السائدة آنذاك حيث كان شاطىء دجلة بيد الاعاجم ، وتتعرض الاقامة فيه الى الاخطار •

وذكر الطبري في مكان آخر من كتابه تاريخ استقرارهم فقال « واستقر بأهل البصرة منزلهم اليوم بعد ثلاث نزلات قبلها أيضاً »[٢٠] وقال أيضاً « ولما نزل أهل الكوفة الكوفة ، واستقرت باهل البصرة الدار ، عرف القوم انفسهم ، وثاب اليهم ما كانوا فقدوا »[٢١] •

ويروي البلاذري انه عندما قدم عتبة منطقة البصرة «كانت في البصرة سبع

---

(١٨) الطبري ١/٢٣٨٠ •
(١٩) الطبري ١/٢٣٨١ •
(٢٠) الطبري ١/٢٤٨٦ •
(٢١) الطبري ١/٢٤٨٧ •

دساكر : اثنتان بالخريبة ، واثنتان بالزابوقه ، وثلاث في موضع دار الأزد اليوم ، ففرّق عتبة أصحابه فيها ، ونزل هو بالخريبة وكانت مسلحة للاعاجم ففتحها خالد بن الوليد فخلت منهم »[٢٢] ويروى عن محمد بن اسحاق ان عتبة « خرج في ثمانمائة ، فضرب خيمة من أكسية ، فضرب الناس معه ، وأمدّه بالرجال ، فلما كثروا بنى رهط منهم سبع دساكر من لبن ، منها بالخريبة اثنتان ، وبالزابوقة واحدة ، وفي بني تميم اثنتان ، وفي الازد اثنتان »[٢٣] ويروي الطبري عن ابن شبّه ان عتبة بن غزوان قدم سنة ١٤ « فنزل الخريبة وليس بها الا سبع دساكر ! بالزابوقة والخريبة وموضع بني تميم والازد : ثنتان بالخريبة ، وثنتان بالازد ، وثنتان في موضع بني تميم وواحدة بالزابوقة »[٢٤] .

وذكرت عدة روايات نزول عتبة في الخريبة : فيروي خليفة بن خياط عن غنيم بن قيس انه قال « كنا مع عتبة بن غزوان ، فلما انتهى البر وراء منابت القصب قال : ليست هذه منازل العرب ، فنزل الخريبة »[٢٥] أي ان الخريبة كانت الموقع الذي نزل فيه عتبة أول مرة . ويؤيد الطبري ان عتبة نزل الخريبة[٢٦] ، ويروى الأصمعي انه « لما نزل عتبة بن غزوان الخريبة ولد بها عبدالرحمن بن ابي بكرة ، وهو أول مولود ولد بالبصرة »[٢٧] .

وتذكر عدة روايات ان نزول عتبة بالخريبة لم يدم ، حيث تحول منها بعد ذلك الى الموضع الذي استقر فيه نهائياً ؛ فيروي البلاذري ان عتبة بعد ان فرق اصحابه في الدساكر ونزل الخريبة « كتب الى عمر يعلمه نزوله وأصحابه حيث نزلوا » فكتب اليه يأمره بأن ينزلهم موضعاً قريباً من الماء

---

(٢٢) فتوح البلدان ٣٤٠ ، ياقوت ١/٦٣٩ ؛ وعن نزول خالد بن الوليد الخريبة انظر فتوح البلدان ٣٣٩ .
(٢٣) فتوح البلدان ٣٤١ ، ٣٤٩ ؛ ياقوت ١/٦٤١ ؛ ابن الفقيه ١٨٨
(٢٤) الطبري ١/٢٣٧٨ .
(٢٥) تاريخ خليفة ٩٧ .
(٢٦) الطبري ١/٢٣٨٤ .
(٢٧) فتوح البلدان ٣٤٦ .

والمرعى ، فأقبل الى موضع البصرة •• وضربوا فيها الخيام والفساطيط ولم يكن بناء بعد[٢٨] •

ويروي ابو عبيدة « لما نزل عتبة بن غزوان الخريبة كتب الى عمر بن الخطاب يعلمه نزوله اياها ، وأنه لابد للمسلمين من منزل يشتون فيه اذا شتوا ، ويكنسوا (يخنسوا ؟) فيه اذا انصرفوا من غزوهم ، فكتب اليه ان اجمع اصحابك في موضع واحد ، وليكن قريباً من الماء والمرعى ، واكتب الي بصفته » ثم يذكر ان عتبة « اختار موقع البصرة وكتب الى عمر » فكتب اليه أن انزلها الناس ، فبنوا مساكن من قصب ، وبنى المسجد بالقصب ، فكانوا اذا غزوا جمعوا ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو ، فاذا رجعوا اعادوا بناءه فلم تزل الحال كذلك[٢٩] •

ويذكر الطبري « ثم ان أهل الكوفة استأذنوا في بنيان القصب ، واستأذن فيه اهل البصرة •• فابتنى أهل المصرين بالقصب •• ثم ان الحريق وقع بالكوفة وبالبصرة •• وكان اشدهما حريقا الكوفة »[٢٩أ] •

يتبين من هذه النصوص ان عتبة اختار لمقامه الاول الخريبة وهي منتحية الى طرف الصحراء ، فموقعها أكثر أماناً للمقاتلة ، وان انتقاد عمر تفرق مساكنهم راجع الى قلتهم ، لان كافة هذه المواقع اصبحت فيما بعد ضمن مدينة البصرة بعد توسعها •

ويروي خليفة عن ابي نعامة العدوي « مرّ عتبة بن غزوان بموضع المربد فوجد الكذان الغليظ ، فقال هذه البصرة انزلوها باسم الله »[٣٠] • وربما كان هذا النص مكملاً لما سبقه ، وان الموقع الاخير الذي اختاره عتبة لبناء البصرة يمتد مع موقع المسجد الجامع الى المربد •

اتخذ عتبة هذه القاعدة لمن معه من المقاتلة ، وكان عددهم قليلاً كما

---

(٢٨) فتوح البلدان ٣٤٩ ، ياقوت ١/٦٣٩ .

(٢٩) فتوح البلدان ٣٤٩ ، ياقوت ١/٦٤٠ .

(٢٩أ) الطبري ١/٢٢٨٧ . (٣٠) تاريخ خليفة ٩٧ .

ذكرنا ، غير انه سرعان ما تزايد عددهم بمن تقاطر الى المنطقة وهاجروا اليهـا فيما بعـد •

فيروي البلاذري « وقد كان الناس سألوا عتبة عن البصرة فاخبرهم بخصبها فسار اليها خلق من الناس »[٣١] ولابد ان الهجرات تتابعت فمكنت العرب من فتح كور دجلة والاحواز ، ومن الصعب رسم صورة دقيقة لمجرى هذا التوسع الاول ، غير ان اسماء البارزين تدل على ان اكثرهم من قبائل الحجاز ، ومن عشائر تميم وبكر اللتين كانت ديارهما قريبة من البصرة • ثم هاجرت اليها عشائر عبدالقيس من البحرين في زمن خلافة عثمان حين جعلت البصرة القاعدة الرئيسة للجيوش الاسلامية التي تقوم بفتوح الاقاليم الواسعة الواقعة في جنوب الهضبة الايرانية ثم في خراسان وما وراء النهر • وفي زمن الامام علي هاجر بنو عجل الى الكوفة ، وفي زمن زياد كثر عدد الازد القادمين من عمان الى البصرة[٣٢] ••

وفي أول خلافة معاوية نقل زياد اربعين ألفاً من مقاتـلة البصرة مـع عيالاتهم واوطنهم خراسان[٣٣] وكانوا فيما يظهر من مختلف القبائل ، وربما كان معظمهم من بدو الجزيرة ، كما نقل زياد عددا من الازد الى مصر[٣٤] ، وفي خلافة عبدالملك نقل عدد من عبدالقيس من البصرة الى الجزيرة[٣٥] ومن المحتمل ان عددا اخر هاجر من البصرة واستوطن بعض المناطق التي كانت ادارتها تابعة للبصرة ، وان عددا منهم قتل في الحروب أو مات بالاوبئـة • ولكن عوض عن ذلك هجرات متتابعة غير منتظمة الى البصرة ، فكان عدد

---

(٣١) فتوح البلدان ٣٤٢ ونقل ابن الفقيه هذا النص ولكنه ذكر « فاقبلت اعاريب بني تميم » . البلدان ١٨٨ .
(٣٢) انساب الاشراف ٤ ــ ١٨٧/١ .
(٣٣) فتوح البلدان ١٠٩ ، الطبري ٨١/٢ ، وانظر عن عددهم في زمن ولاية قتيبة سنة ٩٦ الطبري ١٢٩١/٢ ، فتوح البلدان ٤٢٣ .
(٣٤) ياقوت ٤٥١/١ ، ٢٨٧ . (٣٥) تاريخ اليعقوبي ٣٢٤/٢ .

مقاتلتها في زمن علي بن ابي طالب ستين الف مقاتل[٣٦] ثم ارتفع عددهم في زمن زياد الى سبعين الفا ، وعيالاتهم ثمانون الفا[٣٧] ثم ارتفع عددهم في زمن ولاية عبيدالله بن زياد (٥٥ ــ ٦٣ هـ) فاصبح تسعين الفاً ، وبلغت عيالاتهم مائة واربعين الفاً[٣٨] ، وهذه الارقام تشمل المدونين في العطاء من العرب ، وفيهم ايضا بعض الاعاجم كالاساورة الذين استسلموا للعرب عندما فتحت الاحواز ، وكان عددهم الفين وخمسمائة[٣٩] وكذلك السيابجة الذين نقلوا من اطراف البحرين الى البصرة في زمن ولاية عبدالله بن عامر ، وكان عددهم يبلغ حوالي اربعمائة رجل[٤٠] ، ثم نقل عدد منهم الى سواحل بلاد الشام[٤١] ؛ والزط الذين نقلوا من البحرين الى البصرة[٤٢] ، ثم نقل بعضهم الى سواحل بلاد الشام[٤٣] . ونقل عبيدالله بن زياد الفين من البخارية وأوطنهم البصرة[٤٤] .

وفي زمن ولاية يوسف بن عمر (١٢٠ ــ ١٢٦ هـ) ، كان عدد المقاتلة المدونين في العطاء ثمانين الفاً ، وعيالاتهم مائة الف[٤٥] .

ان هذه الارقام لا تشمل من لم يكن في العطاء من العرب ، ولا العبيد او الاعاجم الذين تقاطروا اليها واستقروا فيها للعمل والحصول على كسب العيش . وقد لا نكون بعيدين عن الدقة اذا قدرنا سكانها ابان العهد الاموي بقرابة نصف مليون .

---

(٣٦) الطبري ٢٣٧٠/١ .
(٣٧) فتوح البلدان ٣٥٠ ، الطبري ٤٣٣/٢ ، البيان والتبيين ١٣٥/٢ .
(٣٨) الطبري ٤٣٣/٢ ، انساب الاشراف ٤ ــ ١١٦/٢ .
(٣٩) فتوح البلدان ٣٧٣ ــ ٤ ، الطبري ٢٥٣٣/١ .
(٤٠) فتوح البلدان ٣٧٦ ؛ وانظر الطبري ٣١٣٤/١ ، ٣١٨١ .
(٤١) فتوح البلدان ٣٧٤ .
(٤٢) فتوح البلدان ٣٧٦ .
(٤٣) فتوح البلدان ١٦٣ ، ١٧٦ .
(٤٤) فتوح البلدان ٣٧٦ ، ٤١١ ، وانظر عن الاعاجم المدونين في العطاء في البصرة كتابنا «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة» ٨٣ــ٨٧ــ
(٤٥) فتوح البلدان ٣٤٩ .

الفصل الرابع

تنظيم الخطط

كان المقاتلة العرب الذين استوطنوا البصرة عند تأسيسها قد قدموا من شبه جزيرة العرب حيث كانت النظم السائدة فيها قائمة على الاسس القبلية، فكانت كل عشيرة تتكون من عدد من الافراد المنحدرين من جد واحد يحملون اسمه عادة ، وهم يرتبطون بروابط من النسب ويشتركون ببعض الحقوق والواجبات في عدد من الامور المدنية والجنائية ، ففي التوريث يوزع ميراث المتوفي على اسرته بموجب القواعد التي وضعها الاسلام ، فان لم تكن له اسرة فان ارثه يوزع على العشيرة ؛ كما انهم يساهمون جميعاً في دفع دية القتل الخطأ الذي يرتكبه احد افراد العشيرة او مواليها ، يضاف الى ذلك ان افراد العشيرة يرتبطون بالتعاون والتناصر في اوقات الشدة عند الحاجة .

وقد قسمت البصرة عند تأسيسها الى خطط سكنت كلاً منها عشيرة وسميت بأسم العشيرة التي سكنتها ؛ وقد احتفظت معظم هذه الخطط باسمائها بضعة قرون ؛ وكانت سمتها المميزة ، ولابد ان المقاتلة الاولين كانت خططهم حول المسجد الجامع وامتدت الى المربد ، وكان عدد أهل البصرة عند تأسيسها قليلاً ، وهم من عشائر متعددة ، وقد ثبتت لهم الخطط عند اول توزيعها ؛ غير انه سرعان ما ازداد عددهم بمن تقاطر اليها من العرب وانظموا الى مقاتلتها ، ولم تضع الدولة خطة لتحديد الهجرة وتنظيمها ، فكان المهاجرون اليها من مختلف العشائر ، وباعداد متباينة ، وبذلك اصبح عدد العشائر في البصرة كبيراً ، وكثير منها كانت لهم خطط في الكوفة ايضاً ،

فيذكر الصولي ان الوزير ابا عبدالله الكوفي سأله « كم بالبصرة من قبيلة ليست بالكوفة ، وكم بالكوفة من قبيلة ليست بالبصرة ، فقلت بالبصـرة المهالبة والمسامعة والجاروديون وباهلة ، وبالكوفة بنو أسد عدة مواضع ، وليس بالبصرة الا مكان زعموا انه سمى بغيرهم ، وبها الاشـاعة ، وبهـا المتيثون ، فقال ذهب عليك الاعظم ، وبنو حمان بالكوفة وليس هم بالبصرة فقلت بلى هم بالبصرة »[1] . والواقع ان كثيراً من المصادر التي تذكر خطط القبائل لا تشير الى مكان هذه الخطط وهل هو في البصرة ام في الكوفـة ، ويجدر ان نلاحظ ان المسامعة والمهالبة والجاروديون لم يكونوا قبائل وانما كانوا اسرا .

وفي اخبار الحوادث التي مرت بالبصرة اسماء عدد كبير من الاسـر والعشائر والقبائل ، وقد اشارت المصادر الى قلة عدد بعض المجموعات فذكر ابن دريد ان بني عـل الذين كانت لهم خطة بالبصرة يبلغ عددهم ثمانية[2] وان بني غلاب اهل بيت بالبصرة من هوازن[3] ، وانه « ليس بالبصرة بجلى غير شبل واهله »[4] وذكر ابن قتيبة ان حميس بن اد . (من ضبة) « فهم قليل يكونون في البصرة في بني عبدالله بن دارم ، ولم يكن لبني اسـد بن خزيمة خطة بالبصرة »[5] .

ومن المحتمل ان الخطط روعي في اول توزيعها عدد افراد العشائر التي تقطنها ، اي ان توزيع السكان على رقعة البصرة كان متوازناً في اوائـل تأسيسها ، غير ان هذا التوازن اختل على مر السنين ، اذ يروى البلاذري ان زيادا خطب فقال للعرب ان عشائركم وردت علينا ، فاختاروا ان يأخذوا نصف اعطياتكم وارزاقكم فنقويهم بهما مع مالهم عندنا او تكفينا كل عشيرة من

---

(١) اخبار الراضي والمتقي ٢١٥ .
(٢) الاشتقاق ٢٢٧ (طبعة عبدالسلام هارون) .
(٣) الاشتقاق ٢٩٢ . (٤) الاشتقاق ٢١٩ .
(٥) الاشتقاق ٥٠١ .

فيها ، منهم من ضم الى عشيرته ومنهم من طابت نفسه بنصف عطائه ورزقه وارزاق عياله »[٦] والراجح ان كثيراً من الافراد المهاجرة المتأخرين استوطنوا في الخطط القديمة المخصصة لعشائرهم ، مما ادى الى ان تزدحم بعض المناطق ، وتبقى بعض المناطق قليلة الازدحام ، غير ان المصادر لم تذكر وجود « خرابات » أو اراضي براح في البصرة ، مما يدل على تماسك سكان كل خطة .

ولا ريب في ان اختلاف العشائر في عدد افرادها كان يحدث مشاكل ادارية واسعة لذلك أعاد زياد تنظيم البصرة فجعل العشائر متكافئة في العدد ، ويضم كل منها حوالي الف مقاتل مع افراد اسرهم ، وجعل لكل عشيرة عريفاً يشرف على ادارتها والا من فيها ، ويقوم بتوزيع العطاء على افرادها ، وقد استلزم هذا ضم بعض العشائر الصغيرة الى اخرى ، وتقسيم العشائر الكبيرة بحيث تصبح كل واحدة مكونة من حوالي الف مقاتل .

ثم وضع زياد تقسيمات كبرى . فجعل البصرة خمسة اخماس ، يضم كل خمس عددا من العشائر ، وهذه الاخماس هي اهل العالية (أي اهل الحجاز) وتميم ، وبكر ، والازد ، وعبدالقيس ، وجعل لكل خمس رئيساً يقر تعيينه الخليفة وكثيرا ما يقوم بقيادة خمسة في الحروب[٧] .

وضع زياد تنظيماته في زمن كانت البصرة قد وصلت مرحلة متقدمة في النمو والاستقرار ، ولاريب في انه لم يعد النظر في تنظيم خطط العشائر ومواطن اقامتها ، ومع ان البصرة قسمت منذ أول تأسيسها الى خطط ، فأعطيت لكل عشيرة خطة يسكن فيها افرادها ، الا ان النمو الكبير في سكانها من حوالي الف مقاتل في بداية تأسيسها ، الى حوالي تسعين الفا بعد نصف

---

(٦) انساب الاشراف ٤ ــ ٢/٢٠٦ .

(٧) انظر تفاصيل اوفى عن الاخماس في كتابنا «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة» الفصل الاول .

قرن ، لابد ان تكون قد رافقته زيادة في عدد الخطط ، وربما في اعادة تنظيم بعضهـا .

وكانت بعض العشائر لها أكثر من خطة ، فقد ذكر ابن سعد ان بني زياد ابن شمس ، وهم من الازد كانت لهم « اربع » خطط بالبصرة ، منها خطـة في الباطنة تحاذي بنانة وقد غلب عليها ناس من بني الشعيراء وهم الشعارون قوم يفتلون الشعر ليس لهم نسب ، والثانية تحاذي بني غبر ، والثالثة تحاذي هداد ، والرابعة بالخريبة(٨) .

ذكرت المصادر رجالا من أهـل البصرة كان لكل منهم اكثر من دار في مساكن متفرقة ، فقد كان لانس بن مالك دور منها عند المسجد الجامع ، وفي سكة اصطفانوس (٩)وكان لمجاشع بن مسعود اكثر من دار ، احدها حضرة المسجد الجامع ، واخر من بني سليم (١٠) ، وكان لعثمان بن ابي العاص غـير دار في البصرة(١١) ، ولابي بكرة دار حضرة المسجد الجامع ، وفي سـكة اصطفانوس(١٢) ولسمرة بن جندب دار في بني رقاش ودار في الكلاء وفي السـوق (١٣) .

ثم ان كتب بالانساب تذكر العلاقات النسبية بين العشائر ، غير ان المصادر لا تذكر فيما اذا كانت العلاقات النسبية اساسا لتوزيع الخطط كأن جعلت للعشائر المتقاربة في النسب خطط متقاربة في المكان أيضاً ويلاحظ ان كتب النسب المتداولة استمدت أغلب معلوماتها من ابن الكلبي الذي يتجـلى من

---

(٨) ابن سعد ٧ ــ ٢/١٠ .
(٩) الطبقات لخليفة بن خياط ٢٩١ .
(١٠) الطبقات لخليفة بن خياط ٥٢.
(١١) الطبقات لخليفة بن خياط ١٨١ .
(١٢) الطبقات لخليفة بن خياط ٥ ٧.
(١٣) الطبقات لخليفة بن خياط ٢٨٢ .

كتابه المعتمد في الانساب ان اطلاعه على أحوال القبائل في الكوفة كان أوسع من اطلاعه على احوالها في البصرة ، اما نسابوا البصرة ، واشهرهم ابو عبيدة وابن دريد ، فقد ذكروا الاسر والعشائر وقلما ميزوا بينها ، كما انهم لم يستوعبوا ذكر كافة العشائر وعلاقاتها النسبية ، ونادرا ما يشيرون الى خطط القبائل أو مواقع هذه الخطط .

ومنذ أوائل ازدهار البصرة انشئت فيها قصور في اطرافها وبعيد عن مراكزها ، ويبدو ان الناس كانوا يفضلون بناء قصورهم بعيدا «عن الاماكن المزدحمة لان الفضاء حولها أوسع ، وهواؤها أنقى ، وهي بعيدة عن عيون الفضوليين وليهم قدرة على حمايتها وتيسير مواد المعيشة لأهلها ، ولعل هذه كانت مبعث القول المشهور « الاطراف منازل الاشراف » ومن قصورها المشهورة قصر انس في الزاوية على بعد ميلين من المسجد ، وقصر الحجاج بالحزيز ، وقصر جعفر بن سليمان بالمربد ، و البيضاء قصر عبيدالله بن زياد في الاطراف الشمالية من البصرة .

وذكرت المصادر كثيرا من الدور والقصور التي امتلكها بعض رجال البصرة البارزين ، ولعل اسماء الدور التي ذكرت يفوق عدد خطط العشائر وقد شيدت بعض هذه الدور والقصور في غير خطط العشائر التي ينتمي اليها اصحابها ، كما ان عددا من الافراد امتلك كل منهم اكثر من دار واحدة متفرقة في عدة أماكن ، أما السكك القليلة التي ذكرت في البصرة فأكثرها مسماة باسماء أشخاص لاتعرف هويتهم أو انتمائهم القبلي ؛ فهي لاتساعد على معرفة توزيع الخطط ومواقعها .

وكانت القاعدة المعمول بها ان للجيران حق الشفعة ، أي ان الافضلية في شراء الدار التي بجوارهم ، وبذلك تحتفظ العشيرة بخططها يقيم بها أفرادها ، غير ان الاسلام احترم حق الملكية الفردية وحرية التصرف بها ، وفي المصادر اشارات الى وجود سجلات بالاملاك في البصرة ، ولكن وجودها لم يمنع

من حدوث تلاعب فيها ، فيروي وكيع ان سوّار الذي ولي قضاء البصرة في زمن خلافة ابي جعفر كان «أول من تشدد في القضاء ، وقبض على الوقوف ، وادخل على الأوصياء الامناء ، وطول السجلات ، ودعا الناس باسمائهم ولم يكننهم ؛ فضم الاموال المجهول أربابها وسماها الحشرية» [١٤] ، ويروى أيضا ان سوار دخل على المنصور ؛ فقال له المنصور « أدن ابا عبدالله ، فقال يا أمير المؤمنين أأدنوا على ما مضى عليه الناس أم على ما احدثوا ، فقال بل على ما مضى عليه الناس ، فدنا فصافحه ثم جلس ؛ فقال المنصور يا أبا عبدالله قد عزمت على ان ادعو أهل البصرة بسجلاتهم واشريتهم فانظر فيها ؛ فقال يا أمير المؤمنين اناشدك الله الا تعرض لاهل البصرة .. فقال يا أبا عبدالله .. اني اريد ان انظر في سجلاتهم واشريتهم واستخرج مافي ايدي الاغنياء مما أخذوه بقوتهم وجاههم من حقوق الضعفاء والفقراء »[١٥] . وقد ذكر البلاذري في الفصل الذي كتبه في فتوح البلدان عن معالم العمران في البصرة عددا غير قليل من الدور والانهار التي انتقلت ملكياتها الى اخرين ، ولاريب في ان ماذكره هو بعض وليس كل ماحدث من تبدل في الملكيات .

ثم ان احترام مبدأ الملكية الفردية في الاسلام لم يمنع مصادرة املاك الثائرين على الدولة ، وقد انضم عدد من رجال البصرة الى الثوار ، وخاصة الخوارج ؛ ومن المحتمل ان أملاكهم أو بيوتهم صودرت ونقلت ملكياتها الى اخرين .

وحدثت في البصرة ثورات عارمة تم القضاء عليها ، ولابد ان القائمين بها وكثير من المشاركين فيها عوقبوا وصودرت أموال وملكيات بعضهم ، ومن أبرز هذه الثورات ثورة عبدالرحمن بن الاشعث ، وثورة يزيد بن المهلب ، وثورة ابراهيم بن عبدالله بن الحسن ؛ وذكر البلاذري ان الحجاج

---

(١٤) اخبار القضاة ٢/٥٨ .
(١٥) أخبار القضاة ٢/٥٨ .

«هدم دار سليمان بن عمرو العبدي لاشتراكه في ثورة ابن الاشعث واقطع دار عبدالرحمن بن زياد لخروجه مع ابن الاشعث فردها عمر بن عبدالعزيز واقطع دار عبدالرحمن بن سمرة بالجزيرة فهي اليوم لآل تهيك واقطع عبيدالله بن زياد دار سعد الرابية من بني عمرو بن يربوع وكانت ماخورا ، وكان سعد معلما» وله يقول الفرزدق .. اخذ الدار من سعد لانقطاعه الى زياد ، فخرج سعد الى عبدالله بن الزبير فقال له .. فلما قدم الحجاج اخذها مكان ابن الزبير ردها على سعد فاقطعها عبدالرحمن بن طارق التميمي ثم العبشمي واصله من الجزيرة ، فخرج على ابن الاشعث وكان على شرط الحجاج فهرب الى الشام فقبضها الحجاج ، فكانت مقبوضة واقطعها يزيد بن عبدالملك محمد ابن عمر بن عبدالرحمن المخزومي حين قدم عليه برأس يزيد بن المهلب فخاصمه فيها سعد ، ثم اشتراها عيسى بن سليمان بن علي [١٦] .

ثم ان بعض الولاة كانوا ينسبون لانفسهم ابنية من سبقهم اما بسكناهم تلك الابنية أو بادخال بعض التصليحات فيها ؛ مما أدى الى ضياع أخبار نشأة بعض تلك الابنية وقد اشار الجاحظ الى ماحدث في البصرة حيث قال « من شأن الملوك ان يطمسوا على آثار من قبلهم ، وان يميتوا ذكر أعدائهم فقد هدموا بذلك السبب أكثر المدن وأكثر الحصون ، كذلك كانوا أيام العجم وأيام الجاهلية، وعلى ذلك هم في أيام الاسلام، كما هدم عثمان صومعة (قصر؟) غمدان ، وكما هدم الاطام التي كانت بالمدينة ؛ وكما هدم زياد كل قصر ومصنع كان لابن عامر ، وكما هدم اصحابنا بناء مدن الشامات لبني مروان »[١٧] ولقي زياد مثل مالقيه ابن عامر اذ يذكر ابن الفقيه .. وبني زياد دار الرزق ، وحفر نهر الابله ونهر معقل ، وبنى داره ؛ وبنى البيضاء والحمراء فلم يضافا اليه .

---

(١٦) انساب الاشراف ١/٩٧٨ (مخطوط) .
(١٧) الحيوان ٧/٧٣ .

وبنى سكة فاسكنها اربعة الاف من البخارية فقيل سكة البخارية فاضيفت اليهم ، وبنى سبعة مساجد فلم يضف اليه شيء منها : مسجد الاساورة، ومسجد بني عدي : ومسجد بني مجاشع ، ومسجد حدان ، وكل مسجد بالبصرة كانت رحبته مستديرة فانها من بناء زياد .

وكل ما بني فيها وصنع كأنه نسب الى غيره مثل مسناة مصعب ، ونهر عدي ، ونهر بلال ، وباب الاصفهاني ، وحفيرة مطيع ، وقصر ابن عمار ، وحمام سياه ، وحمام فيل ، وحمام منجاب ، وقصر اوس ، وباب عثمان ، ومقبرة حصن ، ومقبرة بني شيبان ، ونهر مرة ، ونهر بشار .

وبني عبيدالله بن زياد داره بها وفيها باب الى السكة التي تنفذ الى سكة اصطفانوس ، وباب اخر الى السكة التي تعرف بالبخارية .

وبالبصرة دور كثيرة كانت لمواليهم فاضيفت الى دينار زاد ، ودينارين ، ولهم دار عجلان ودار القطن ونهر والس ونهر شيطان (١٨) .

ان هذه القائمة الواسعة تظهر الاعمار الكبير الذي حدث في البصرة في زمن زياد ، ولاريب في ان بعضه من بناءه وانفق عليها من بيت المال ، غير ان الراجح ان القصور والحمامات والمقابر بنيت بنفقات اصحابها ، وهي ثمار الرخاء الاقتصادي الذي حدث في البصرة .

ذكرت كتب التاريخ والتراجم والانساب عدد كبيرا من الدور وسمت اصحابها واشارت الى مواقع بعضها ، ونصت على ان بعضها كانت « قصورا »، وسمت بعضها « دارا » والراجح ان القصور كانت تتميز بالفخامة وحصانة الجدران ، اما الدور فليس لها تحديد واضح ، فهي قد تكون بيتا «صغيرا» للسكن ، او قد تكون بناءا ضخما كدار الزبير ، والراجح ان معظم بيوت العلماء التي ذكرتها كتب التراجم لم تكن كبيرة ، اما الباقي فكانت دورا

---

(١٨) ابن الفقيه ١٩١ .

ضخمة ، وهي دليل على الازدهار الاقتصادي الذي مرت به البصرة .

سميت خطط البصرة باسماء العشائر التي سكنتها في الازمنة الاولى من تأسيسها واحتفظ كثير من هذه الخطط باسمائه في القرون المتأخرة ، غير انه حدثت تبدلات وتداخلات ، واقام كثير من العرب في خطط عشائر لاينتمون اليهـا .

ولاريب في ان محور العمران ومركزه كان المسجد الجامع ودار الامارة، وكان عند نشأته في موقع متوسط بين خطط العشائر ومساكنها ، وقد ظلت هذه المنطقة مكتضة اطلق عليها « الباطنة » وقد عرفهـا ابن منظـور بقوله « الباطنة من البصرة والكوفة مجتمع الدور والاسواق في قصبتها ، والضواحي ما تنحى عن المساكن »[١٩] ، وذكرت بعض المصادر معالم خططية في بـاطنة البصرة ، فذكر ابن سعد « ولبني زياد بن شمس اربع خطط بالبصرة : منهـا خطة الباطنة تحاذي بنانة ، وقد غلب عليها ناس من بني الشعيراء ، وهـم الشعارون ، قوم يفتلون الشعر ليس لهم نسب ، والثانية تحاذي بني غبر ، والثالثة تحاذي هداد ، والرابعة بالخريبة »[٢٠] ، غير اننا لانعلم حدود الباطنة في البصرة ، وتفاصيل ما اشتملت عليه من خطط واسواق وقصور .

وتردد في المصادر ذكر معالم خططية في البصرة ، ورد عن كل منها ذكر كثير من الدور والقصور والمعالم العمرانية ، ومن هذه المعالم الخططيـة ، المربد ، والكلاء ، والزاوية ، والزابوقة ، والخريبة وقد ظل المربد والكلاء يذكران في الاحداث ، اما المعالم الثلاثة الاخرى فقد قل تردد ذكرها في أخبار القرون المتأخرة ، واذا كان وجود قصر انس في الزاوية يساعد على تحديـد موقعها ، فـان المعلومـات المتـوفرة لا تكفي لتحـديد دقيـق لموقـع الخريبة ، بالرغم من كثرة المعالم العمرانية التي ذكرت عند كل منهما .

ان التطورات التي عرضتها اعلاه لاتنفي بان اوسع أساس لمعرفة خطط

---

(١٩) لسان العرب ٢٠١/١٦ .　　(٢٠) الطبقات ٧ ـ ١٠/٢ .

البصرة في القرون الاولى هو معرفة عشائرها ؛ وقد حاولت في كتابي عن التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة تحديد عشائر البصرة بجرد اسماء العشائر ، ومن نسب الى كل من رجالها ومواليها ، لان المولى يرتبط بالعشيرة ، ومن الاشارات الى وجود خطط لها ، وافترضت ان تقسيم الاخماس في البصرة قائم على اسس قبلية ويعبر عن الاحوال الخططية ، وحاولت تحديد خطط هذه الاخماس من بعض المعالم المعروفة التي كانت عندها .

اما مواضع الخطط عشائر كل خمس فقد اعتمدت على عدد من الاشارات التي لا ادعى انها مستوعبة وانما لايزال فيها متسع للتعديل والاكمال .

بنيت البصرة في أرض مستوية مكشوفة متصلة بالصحراء فلم تكن فيها عوارض جغرافية تحد حدودها او تعطل امتدادها وتوسعها ، ولم يرد ذكر قيود وضعتها الدولة لتعطيل توسعها الا ما ذكر عن منع زياد بناء المساجد في سكة المربد ؛ وحول المسجد الجامع ، وكذلك ما رواه البلاذري ان الحمامات لم تكن تبنى في زمن الأمويين الا بأذن من الخلفاء ؛ وفيما عدا ذلك لم يرد قيد على البناء والتوسع .

ومما يسر توسعها انها عند انشائها لم يكن لها سور يحصرها ويحددها ، وأول سور اقيم لها كان في زمن خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٥٣ هـ غير ان المصادر لم تذكر امتداد هذا السور وما شمله . أو انه كان له أثر في قلة حركة البناء في توسعه أو تقلصه . والواقع ان العامل الرئيس في امتداد أو تقلص العمران في البصرة هو مدى توفر الامن والمياه .

ذكرت بعض المصادر مساحة البصرة فذكر اليعقوبي انها مدينة مستطيلة تكون مساحتها على أصل الخطة التي خطت عليها في وقت افتتاحها في ولاية عمر بن الخطاب في سنة سبع عشرة ، فرسخين في فرسخ ، فالباطنة منها ، وهي الجانب الذي يلقى الشمال تشرع على نهرين منها ؛

احدهما يعرف بنهر ابن عمر [٢١] ، ويروى ابن قتيبة ان يزيد الرشك قـال «قست البصرة في ولاية خالد بن عبدالله القسري فوجدت طولها فرسخين غير دانق »[٢٢] .

ويقول الاصطخري «كسرت البصرة ايام خالد بن عبدالله القسري فوجد طولها فرسخين في مثلها ، والكوفة مثل ثلثـا البصرة »[٢٣] ، وينقل الرازي «قال يزيد الرشك : امرنا الحجاج بذرع البصرة فذرعناها فجاءت ثلاثة أميال في خمسة أميال ، قال ابو عبدالله وقد زادوا بعد ذلك في عرضها نحو ميلـين وأقل وأكثر » .

وذكر الرازي أيضاً « قال القاضي يحيى بن اكثم انه عدد مساجد البصرة، فاذا بها مائة ألف مسجد وتسعة الاف مسجد ، ستة عشر ألف مسجد منهـا مغلقة وكان بالبصرة مائة ألف طراز للحاكة ، وقال مؤلف مناقب البصرة وجدت انا هذه الرواية عن القاضي يحيى بن اكثم في عدد المساجد وعدد الحاكة ماذكره وعدد المساكن .

وقال ابو عبدالله هذا ان انهار البصرة التي عليها النخل والقرى والمساجد والمشارع ثلاثمائة ألف نهر من نهر المرأة الى عبادان ونهر المفتح[٢٤] .

وذكر ابن حوقل عن البصرة « فهي خطط وقبائل كلها ، يحيط بغربيها البادية مقوسة ، وبشرقيتها مياه الانهار مفترشة » .

وهي مستواة لاجبل فيها ، ويكون بحيث يقع البصر على جبل بتـة وعلى نهر معقل ايضا أبنية شريفة ومساكن حسنة عالية وقصور مشيدة .

---

(٢١) البلدان ٢٢٢ ، وبقية الكلام مبتور في النسخة المطبوعة من كتاب البلدان، ولم تظهر حتى الان نسخة تكمله .

(٢٢) عيون الاخبار ٢٢٣ ، والفرسخ ستة كيلومترات ، انظر هينز : المكاييل والموازين الاسلامية ٩٤ .

(٢٣) المسالك والممالك ٨٠ .

(٢٤) تاريخ صنعاء ١١٧ .

واكثر ابنيتها بالآجر ، وهي مدينة عظيمة جليلة خصبة بما حوته ، عامرة وافرة الاهل حسنة التنظيم [٢٥] .

تعرضت البصرة لأحوال اثرت في ازدهارها ، وليس هنا موضع تتبع تاريخ تطورها العمراني ، وانما نقتصر على القول بانها ظلت مزدهرة حتى هاجمها صاحب الزنج فأحل فيها هلعاً وخراباً أدى الى تقلصها ، ثم عادت الى ازدهار محدود . وفي الكتب اشارات قليلة الى تطورها العمراني ، فيذكر المقدسي ان «البصرة قصبة سرية احدثها المسلمون ايام عمر ، وهي شبه طيلسان ، وقد شق اليها من دجلة نهران : نهر الأبلة ونهر معقل ، فاذا اجتمعا مدا عليها . فطولها ممتد على النهر ، ودورها في البر الى البادية ، ولها من هذا الوجه باب واحد ، وهي من النهر الى الباب نحو ثلاثة أميال وبها ثلاثة جوامع احدها في الاسواق بهي جليل عامر أهل ليس بالعراق مثله على اساطين بيضة وجامع اخر على باب البادية ، وهو كان القديم ، واخر على طرف البلد .

وأسواقها ثلاث قطع : الكلاء على نهر ، وسوق الكبير ، وباب الجامع وكل أسواقها حسنة . وقد خرب طرف البصرة البري »[٢٦] .

ويقول ناصري خسرو الذي زارها سنة ٤٢٢ هـ « للبصرة نهران رئيسان هما نهر معقل ونهر الأبلة ، ومنهما تتكون جزيرة كبيرة مستطيلة ، والبصرة على اقصر ضلع من هذا المستطيل : والجنوب الغربي للبصرة صحراء ليس بها عمران ولا ماء ولا شجر مطلقا . وكان معظم البصرة خرابا ونحن هناك ، والجهات العامرة متباعدة جدا ، من واحدة لأخرى نصف فرسخ من الخراب ، ولكن بابها وسورها محكمان وقويان » ويقول أيضا « وينصب السوق في البصرة في ثلاث جهات كل يوم : ففي الصباح يجري التبادل في سوق خزاعة ، وفي الظهر في سوق عثمان ، وفي المغرب في سوق القداحين»[٢٧] ، ويقول

---

(٢٥) صورة الارض ٢١٢ — ٢١٣ .   (٢٦) احسن التقاسيم ١١٧ — ١١٨ .
(٢٧) سفرنامه ٩٥ — ٩٦ .

أيضا « وفي البصرة ثلاثة عشر مشهداً باسم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقال لاحدها مشهد بني مازن .. وبجانب المسجد مشهدا اخر يسمى بـاب الطيب » .

ويقول ايضا «وكان معظم البصرة خراباً ونحن هناك ، والجهات العامرة متباعدة جدا من واحدة الى اخرى نصف فرسخ من الخراب ؛ لكن بابهـا وسورها محكم »[٢٨] .

ووردت في اضافة كتبت في سنة ٣٥٧ هـ على كتاب ابن حوقل « وطمست محالها فلم يبق بها الا محال معلومة كالنحاسين وقساميل وهذيل والمربد ؛ وقبر طلحة ، وقد بقي في محله بيوت معدودة ، وباقي بيوتها اما خراب واما غير مسكونة وجامعها بـاق في وسـط الخراب كأنه سـفينة في وسـط الصحراء وسورها القديم قد خرب وبينه وبين ما قد بقي من العمارة مسافة بعيدة وكان القاضي عبدالسـلام الجيلي قد سور على ما بقي سـوراً بينـه وبين السور القديم دون نصف فرسخ سنة ٥١٦ هـ »[٢٩] .

وفي اوائل القرن السابع الهجري ولى البصرة ياتكين ، فاقام بها ثلاثا وعشرين سنة ، فعمرها وجدد مدارس كانت بها قد دثرت ، وانشأ مدرسة للحنابلة ولم يكن يعرف بالبصرة لهم مدرسة ، وعمل مدرسة يقرأ فيها عـلم الطب ، وعمر مارستانا كان قد خرب وتعطل .

ولما احترق جامع البصرة في سنة ٦٢٤ واستهدم معظمه أعاد عمارتـه واحضر حجارة اساطينه من جبل الاهواز ، وجلب له بخشب الصنوبر والساج من البحر وشيراز ورحبة الشام ، وبنى في دهليزالجامع حجرتين جعـل في احداهما كتبا ووقف في جميع المدارس كتبا وبنى على قبر طلحة بن عبيدالله بنيانا حسنا ، وجعل فيه الفرش والقناديل وكذلك على قبر الزبير بن العوام .

---

(٢٨) سفرنامه ٩٧ .

(٢٩) صورة الارض ٢١٣ .

وبنى سورا على بني مازن ، وسوراً على المدينـة محكمـا بالابواب الحديدية وجدد في البصرة الخانات للبر .. واسرع في اصلاح السور ، وحفر الخندق(٣٠) .

وفي سنة ٧٢٧ هـ زار البصرة ابن بطوطة ومما قاله عنها « فدخلنا ضحوة النهار الى مدينة البصرة ، فنزلنا بها رباط مالك بن دينار وكنت رأيت عنـد قدومي عليها على نحو ميلين منها بناءا عاليا مثل الحصن ، فسألت عنه فيقال له هو مسجد علي بن ابي طالب ، وكانت البصرة من اتساع الخطة وانفسـاح الساحة بحيث كان هذا المسجد في وسطها ، وبينه الان وبينها ميلان ، وكذلك بينه وبين السور الاول المحيط بها نحو ذلك فهو متوسط بينهما .

والبصرة ثلاث محلات : احداها محلة هذيل وكبيرها الشيخ الفاضل علاءالدين ابن الاثير .. والمحلة الثانية محلة بني حرام كبيرها السيد الشريف مجدالدين موسى الحسني .. والمحلة الثالثة محلة العجم كبيرها جمالالدين ابن اللوكي .

.. وهم يصلون الجمعة في مسـجد أمير المؤمنين علي (رض) الذي ذكرته ثم يسد فلا يأتونه الا في الجمعة ، وهذا المسجد من احسن المسـاجد وصحنه متناهي الانفساح ، مفروش بالحصباء الحمراء ولهذا المسجد سـبع صوامع ..

المشاهد المباركة :

فمنها مشهد طلحة بن عبيدالله احد العشرة (رض) وهو بداخـل المدينة وعليه قبة ومسجد وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر ، وأهل البصرة يعظمونه تعظيماً شديداً ، ومنها مشهد الزبير بن العوام .. وهو بخارج البصرة،

---

(٣٠) الجامع المختصر ١٨١ .

ولا قبة عليه ، وله مسجد وزاوية فيها الطعام لابناء السبيل .

ومنها قبر حليمة السعدية .. والى جانبها قبر ابنها رضيع رسول الله (ص) ومنها قبر ابي بكرة صاحب رسول الله وعليه قبة .

وعلى ستة اميال بقرب وادي السباع قبر انس بن مالك خادم رسول الله ، ولا سبيل لزيارته الا في جمع كثيف لكثرة السباع وعدم العمران .

ومنها قبر الحسن بن ابي الحسن البصري سيد التابعين (رض) ، ومنها قبر محمد بن سيرين ومنها قبر محمد بن واسع (رض) ومنها قبر عتبة الغلام ، ومنها قبر مالك بن دينار ، ومنها قبر حبيب العجمي ، ومنها قبر سهل ابن عبدالله التستري وعلى كل قبر منها قبة ، وذلك كله داخل السور القديم ، وهي اليوم بينها وبين البلد نحو ثلاثة أميال[٣١] » .



(٣١) رحلة ابن بطوطة ١/١١٥ فما بعد .

الفصل الخامس

المسجد الجامع والرحبة ودار الامارة

كان في البصرة مسجد جامع واحد طوال القرون الثلاثة الاولى ، ويرجع أول تحديده الى زمن تجمع السكان في البصرة ، وترجع أول اقامته الى زمن ولاية عتبة بن غزوان ، ويذكر البلاذري[1] مايدل على اختلاف الروايات في من حدد موقعه ، فيقول « وبنى عتبة مسجدا من قصب وذلك في سنة ١٤ ، ويقال تولى اختطاط المسجد بيده ويقال اختطه محجن بن الادرع البهزي من سليم[2] ، ويقال اختطه نافع بن الحارث بن كلدة ، ويقال بل اختطه الاسود بن سريع التميمي فهو أول من قص فيه[3] . ويذكر البلاذري من مكان اخر ان محجن بن الادرع اختط مسجد البصرة .

ولعل اختلاف الروايات مرجعه ماحدث في موقعه ومساحته من تطورات في أوائل تحديد موقعه ، وان عتبة حدد موقعه ، وتدخل نافع بن الحارث في تخطيطه لوقوع داره عند المسجد ، ثم ساهم محجن في تحديده ، وكان الاسود بن سريع آخر صورته في زمن عتبة .

يقول البلاذري « وكان محجر بن الادرع اختط مسجد البصرة ولم يبنه فكان يصلي فيه من غير مبنى »[5] اي ان التخطيط الاول كان مجرد

---

(١) فتوح البلدان ٣٤٤ .
(٢) انظر تاريخ خليفة ١٩٨ الطبقات ٥٢/٨٢؛ المعارف لابن قتيبة ١١٩ .
(٣) فتوح البلدان ٣٤٥ . (٤) كذلك ٣٤٩ .
(٥) كذلك ٣٤٩ .

تحديد الموقع وهذا ينسجم مع وضع المسلمين انذاك وقيامهم بحركات عسكرية مستمرة في تلك المنطقة ، مع قلة عددهم • ثم ان عتبة بن غزوان وضع لــه حائطا من قصب[٦] •

غير انه يروى ان الحائط لم يكن ثابتاً « فكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو ، فاذا ارجعوا أعادوا بناءه فلم تزل الحال كذلك »[٧] • وهذا الكلام ان صح فانه يدل على ان المسجد لم يكن له بناء ثابت ، وانما كان مجرد ساحة من الارض محددة بالقصب ، وان التحديد كان لموقعه وليس لرقعته أو شكله الذي قد يتعرض للتحول عند كل عودة • وعلى أي حال فالراجح انه لم يكن واسعاً لقلة عدد المسلمين في البصرة آنذاك •

وعندما تولى أبو موسى الاشعري البصرة ثبت المسجد، فيقول البلاذري « ثم ان الناس اختطوا وبنوا المنازل ، وبنى ابو موسى الاشعري المسجد ودار الامارة بلبن وطين وسقفها بالعشب ، وزاد فيه[٨] • ويتبين من هــذا النص ان أبا موسى لم يبدل موقع المسجد ، وانما « زاد فيه » أي وسعه ، بالاضافة الى انه ثبته مما بناه من لبن وطين وتسقيف بالعشب، ولم تذكر المصادر سعة بناء ابي موسى او شكل الجامع ، وقد يستدل من الزيادات التي اضيفت اليه فيما بعد انه لم يكن واسعا جدا ، وانه كان يسد حاجة السكان في زمنه ، ولم يكن عددهم كبيرا ، غير ان اقامة خمسمائة من السيابجة والزط لحراسته يدل على ان سعته كانت معقولة •

كانت وجهة الجامع نحو القبلة ، ولم توجه اليها انتقادات كالتي وجهت الى جامع المنصور في بغداد ، ولابــد ان الظلة التي بناهــا ابو موسى كانت في الجانب المواجه للقبــلة ، أي الجهة الغربيــة وقد حــدد وجود البيوت

---

(٦) الطبقات لخليفة ٥٢ ؛ فتوح البلدان ٣٤٥ ، ٣٤٩ ؛ ابن الفقيه ١٨٨ .
(٧) فتوح البلدان ٣٤٦ . (٨) فتوح البلدان ٣٤٦ ، ولنظر ٣٤٩

حوله شكله العام ، ولكن المصادر لم تشر الى هذا الشكل العام ، وهل كان مربعا أم مستطيلا أم مستديرا ، كما انه لا توجد اشارة الى سعته .

ظل المسجد كما بناه ابو موسى الاشعري الى ان ولي زياد البصرة لمعاوية فأعاد بناءه و « زاد في المسجد زيادة كبيرة وبناه بالاجر والجص وسقفه بالساج .. وجعل لصفته المقدمة خمس سواري ، وبنى منارته بالحجارة وقد اتى بسواريه من جبل الاهواز[٩] ، ويذكر ياقوت ان اساطينه نحتت من جبل قعيقعان في الاهواز[١٠] ، واشرف الحجاج بن عتيك على البناء وجنى من ذلك ثروة[١١] .

ويذكر البلاذري « وجعل زياد حين بنى المسجد ودار الامارة يطوف فيها وينظر الى البناء ثم يقول لمن معه من وجوه اهل البصرة : أترون خللا ، فيقولون ما نعلم بناءا أحكم منه ، فقال بلى : هذه الاساطين التي على كل واحدة منها اربعة عقود لو كانت أغلظ من سائر الاساطين . ولم يؤت من تلك الاساطين قط تصديع ولا عيب .

وقال حارثة بن بدر الغداني ، ويقال بل قال ذلك البعيث المجاشعي :

بنى زياد لذكر الله مصنعة   من الحجارة لم تعمل من الطين
لولا تعاون أيدي الناس ترفعها   اذاً لقلنا من اعمال الشياطين[١٢]

لم تذكر المصادر شكل وسعة الجامع بعد توسيعه ، كما لم تذكر سوى الاساطين الستة لصفته المقدمة ، والعقود الاربعة التي على الاساطين ، ولابد ان بعض الاساطين لم تكن عليها عقود .

يذكر ابن سعد ان الحسن البصري « كان يقعد على المنارة العتيقة في

---

(٩) فتوح البلدان ٣٤٧ (عن ابي عبيدة ، وعن القحذمي) .
(١٠) ياقوت ١٤٦/٤ .   (١١) فتوح البلدان ٣٤٧ .
(١٢) فتوح البلدان ٣٤٦ .

مؤخر المسجد »[١٣] ، ومن الواضح ان هذه المنارة هي التي بناها زياد وانها كانت في الجهات الشرقية أو الشمالية الشرقية من المسجد . وقد يوحي النص بوجود منائر اخرى في زمن الحسن البصري ، أي في أواسط العصر الاموي ، غير ان المصادر لم تذكر عن ذلك معلومات ولا عن شكل المنارة وطراز بناءها .

لم يكن المسجد منتظم الشكل ، فقد كان جانبه الشمالي منزويا لانه كانت هناك دار لنافع بن الحارث بن كلده ، فأبى ولده بيعها[١٤] . وهذه الدار هي أقدم دار بنيت في البصرة[١٥] . فلما ولي عبيدالله بن زياد البصرة لمعاوية اغتنم فرصة غياب نافع بن الحارث « فبعث الفعلة فهدموا من تلك الدار ما سوى به تربيع المسجد ، وقدم ابن نافع فضج اليه من ذلك ، فأرضاه بان أعطاه بكل ذراع خمسة أذرع ، وفتح له في الحائط خوخة الى المسجد فلم تزل تلك الخوخة في حائطه[١٦] . غير ان شكل المسجد أصبح منتظما . وكان عبيدالله يفخر بالتعديل الذي أدخله في المسجد ، ولم يرد ذكر لتعديلات اخرى أدخله هو أو غيره .

ان اتصال هذه البيوت بالجامع وتأثيرها في شكله العام قد يدل على ان الجامع لم يكن له حائط يحدده آنذاك ، وان الابنية اقيمت في أروقة الجامع ومقاصيره ، وانه كان امامه صحن واسع متصل بالرحبة ، ولم تذكر فيه ميضأة .

وكان زياد أول من بنى المقصورة بالمسجد[١٧] ، وكان لا يدع احداً

---

(١٣) ابن سعد ٧ ـ ١١٦/١ ، اخبار القضاة لوكيع ٧/٣ ، ١٠ .
(١٤) فتوح البلدان ٣٤٨ .
(١٥) فتوح البلدان ٣٥٠ عن هشام بن الكلبي. ياقوت ٦٤١/١ ابن الفقيه ١٨٨.
(١٦) فتوح البلدان ٣٤٧ .
(١٧) انساب الاشراف ٤ ـ ١٩٠/١ .

يبني بقرب مسجد الجماعة ، وكان أقرب المساجد اليه مسجد بني عدي[١٨] .

واتخذ زياد « رابطة عدتهم خمسمائة رجل وولى امرهم شيبان صاحب مقبرة شيبان من بنى سعد ، وكانوا لا يبرحون المسجد[١٩] ، وكان شيبان استعمله زياد على المسجد وباب عثمان[٢٠] .

ولم تذكر المصادر توسيعاً أو بناء تم في مسجد البصرة في زمن خلافة الوليد بن عبدالملك ، غير انه يصعب اعتبار عدم ذكر المصادر ذلك دليلاً على عدم حدوثه ، حيث ان المصادر ذكرت ما تم في زمنه من توسيع جوامع معظم الامصار ، ومنها جامع دمشق ، والمسجد الحرام بمكة[٢١] ، وجامع الفسطاط[٢٢] ، وجامع صنعاء[٢٣] ، والمسجد النبوي وعدد من مساجد المدينة حيث بناها بطراز متميز أصبح يعرف بالبناء العمري[٢٤] ، وكان بالحجارة المنقوشة المطابقة والقصه[٢٥] ، وكان في بعضها ، كمسجد قباء ، اساطين من الحجارة وبينها عواميد الحديد والرصاص منقوش بالفسيفساء وسقفها بالساج[٢٦] ؛ فلا يعقل ان لا يمتد اعماره الى جامع البصرة .

وفي سنة ١٦٤ « أمر المهدي بنزع المقاصير من مساجد الجماعات وتقصير المنابر ، وتصييرها الى المقدار الذي عليه منبر رسول الله (ص) وكتب بذلك الى الافاق نعمل به .

وفيها أمر المهدي بالزيادة في المسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد

---

(١٨) انساب الاشراف ٤ ــ ٢٠١/١ ، البلدان لابن الفقيه ١٩٠ .
(١٩) انساب الاشراف ٤ ــ ١٩٢/١ .
(٢٠) انساب الاشراف ٤ ــ ١٤٩/١ .
(٢١) اخبار مكة للازرقي ٥٧/١ .
(٢٢) فتوح مصر لابن عبدالحكم ١٣١ ــ ٢ .
(٢٣) تاريخ صنعاء للرازي ٨٥ ــ ٨٦ ، ٢١٤ ، ٢١٧ .
(٢٤) وفاء الوفا ٥٠/٢ ، ٥٣ ، ٥٦ .
(٢٥) للسمهوري ٥٠/٢ ، ٥٤ .
(٢٦) وفاء الوفا ٢٤/٢ ، وانظر عن الاساطين ٣٦٨/١ ، ٤٤/٢ ، ٥٣ .

الجامع بالبصرة ، فزيد فيه من مقدمة مما يلي القبلة وعن يمينه مما يلي رحبة بني سليم ، وولي بناء ذلك محمد بن سليمان وهو يومئذ والي البصرة »[٢٧].

ان هذا النص صريح بأن التوسيع كان في الجهة الجنوبية الغربية (مايلي القبلة) ، والجهة الغربية (عن يمينه مما يلي رحبة بني سليم) . ولم يذكر الطبري فيما اذا كان هذا التوسيع قد تم باضافة بعض الرحبة الى الجامع ، أم بهدم بعض البيوت المحيطة بالمسجد ، غير ان قول الطبري ان المسجد « زيد فيه من مقدمه مما يلي القبلة » يقضي هدم المنبر والصفة التي عليه ، وتحويلها نحو الجدار الجديد ، لسد الفراغ الذي يحدث من التوسع ، والا اصبح شكل المسجد نشازا ، كما ان عدم اشارة الكتاب الى ان هذه الزيادة مما يلي القبلة ، تثير السؤال عن موقع دار الامارة التي لم يذكر النص ان الزيادة مستها .

يذكر البلاذري ان المهدي عندما زاد في مسجد البصرة دخلت دار نافع بن الحارث كلها في المسجد[٢٨] . وقد ذكرنا من قبل ان دار نافع كانت تقع في الجهة الشمالية من المسجد وان عبيدالله بن زياد ضم بعضها الى المسجد بما يجعل شكله منتظما ، غير ان عبيدالله لم يضم كل الدار الى المسجد ، وان الخوخة التي فتحها من هذه الدار في حائط المسجد تظهر ان هذه الدار ظلت ملاصقة للمسجد .

ويتابع البلاذري كلامه في زيادة المهدي فيقول انه في هذه الزيادة دخلت أيضا « دار عبيدالله بن ابي بكرة ، ودار ربيعة بن كلدة الثقفي ، ودار عمرو بن وهب الثقفي ودار أم جميل الهلالية .. ودور غيرها ، فزادها في المسجد أيام ولي محمد بن سليمان بن علي البصرة »[٢٩] ومن الواضح

---

(٢٧) الطبري ٣/٤٨٦ ، المنتظم ٨/١١١ (مخطوط) .
(٢٨) فتوح البلدان ٢٤٧ .
(٢٩) فتوح البلدان ٣٤٨ .

ان هذه الدور كانت ملاصقة للمسجد ، وان الرحبة لم تكن في جهة هـذه الدور . غير ان المعلومات المتوفرة فيما اطلعت عليه من المصادر ، لم تحدد جهة مواقع هذه الدور من المسجد ، فاذا أردنا التوفيق بينها وبين نص الطبري ، فان موقعها يقتضي ان يكون في الجهة الغربية (يمين المسجد) والجنوبية الغربية (مما يلي القبلة) .

وذكر البلاذري « ثم أمر هارون أمير المؤمنين الرشيد عيسى بن جعفر بن المنصور أيام ولايته البصرة ان يدخل دار الامارة في المسجد ففعل »[٣٠] .

ولعل هذه الزيادة تمت عندما قدم هرون الرشيد البصرة سنة ١٧٦هـ وقد ذكر خليفة هذه الزيارة[٣١] ولكنه لم يذكر ما دخل على الجامع من تبدلات خلالهـا .

ولما كانت دار الامارة في جهة القبلة ، فتكون زيادة الرشيد في هذه الجهة ، ولابد ان الزيادة كانت كبيرة ، غير اننا لا نعلم مقدارها أو الشـكل الذي أصبح فيه الجامع .

ولم تذكر للجامع زيادة بعد ذلك .

تعرض المسجد الجامع الى عدد من التخريبات والحرائق . فعندما دخل صاحب الزنج البصرة « أحرق المسجد الجامع ، وراح الى الكلاء فأحرقـه من الجبل الى الجسر »[٣٣] .

وفي سنة ٣٠٥ « ثارت فتنة بالبصرة وشغبوا على واليهم الحسـين بن الخليل الفرغاني ، واحرق الجامع ، وقتل من العامة خلق كثير »[٣٤] .

وفي سنة ٣١١ دخل ابو طاهر الجنّابي البصرة ووضع السيف في أهلها

---

(٣٠) فتوح البلدان ٣٤٨ ـ ٩ .
(٣١) تاريخ خليفة ٤٨٢ ـ ٣ .
(٣٣) الطبري ١٨٥٥/٣ .
(٣٤) المنتظم ١٤٥/٦ .

ونقض الجامع »[٣٥] .

وقد ظل الجامع خرابا الى سنة ٣٢٥ حيث وقع البريدي « للنفقة على المسجد الجامع بالبصرة الفي دينار ، وقال بلغني انه خراب[٣٦] .

وفي سنة ٦٢٩ « تقدم الخليفة المستنصر بالله الى الامير شمس الدين ياتكين زعيم البصرة بعمارة جامعها وتجديده واحكامه وتشييده وانشاء مارستان هناك[٣٧] .

تظهر كافة المصادر ان البصرة كان فيها ابان العهود الاسلامية الاولى جامع واحد وقد أشار الى ذلك ناصر خسرو بقوله « وبجانب المسجد الجامع مشهد آخر (باسم الامام علي) يسمى مشهد باب الطيب ، ورأيت في مسجد البصرة عموداً من خشب .. »[٣٨] ، غير ان المقدسي يقول ان البصرة « بها ثلاث جوامع : أحدها في الاسواق ، بهي جليل عامر آهل ليس بالعراق مثل اساطينه ، وجامع آخر على باب البادية ، وهو كان القديم ، وآخر على طرف البلد »[٣٩] ، ولم يذكر غيره ذلك ، كما ان المقدسي لم يذكر متى صار في البصرة ثلاثة جوامع ، ولا كم امتد ذلك .

رحبة المسجد :

كانت عند المسجد رحبة ذكرت بعض المصادر بعض التفاصيل عنها فقال البلاذري « وبنى عتبة دار الامارة في الرحبة التي يقال لها رحبة بني هاشم ، وكانت تسمى الدهناء ، وفيها السجن والديوان ، فكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو ، فاذا رجعوا أعادوا بناءه »[٤٠] .

---

(٣٥) المنتظم ١٧٣/٦ وانظر تجارب الامم ١٠٥/١ تكملة الطبري ٤٠ .
(٣٦) تجارب الامم ٣٦٥/١ .
(٣٧) الحوادث الجامعة ٣٣ ، وانظر عن المارستان تاريخ الكازروني ٣٦٠ .
(٣٨) سفرنامه ١٤٨ . (٣٩) احسن التقاسيم ١١٧ .
(٤٠) فتوح البلدان ٣٤٥ ياقوت ٦٠٧/١ .

وذكر ابن الفقيه الهمداني ان عتبة بن غزوان « بنى مسجدها من قصب وبنى دار امارتها دون المسجد في الرحبة التي يقال لها رحبة بني هاشم ، وكانت تسمى الدهناء ، وفيها الديوان والمسجد وحمام الامراء »[٤١] .

ونقل ياقوت ما كتبه ابن الفرات نقلا عن الساجي « بنى عتبة بن غزوان دار الامارة بالبصرة في موضع حوض حماد ، وهو حوض سليمان بن علي في رحبة دعلج ، وهي رحبة بني هاشم ، وكانت الدار تسمى الدهناء »[٤٢] .

تتفق هذه النصوص على وجود رحبة كانت فيها دار الامارة وبعض المنشآت الاخرى ، غير ان هذه النصوص لا تذكر موقع هذه الرحبة من الجامع ، أو سعتها ، أو شكلها . ويوحي سياق الكلام انها كانت قرب الجامع ، ولعلها متصلة بها ، ولكنها لم تكن تحيط المسجد الذي كانت بلصقه بعض البيوت ، وكانت من جهة القبلة فيه دار الامارة التي شيدها زياد ، فالراجح اذا ان موقعها كان في الجهة الشرقية أو الجنوبية الشرقية من الجامع .

والرحبة في اللغة هي الارض الواسعة[٤٣] ، وهي عند أهل المدينة في العهود الاسلامية الاولى مرادفة للصحن ، فقد ذكر السمهودي ان مسجد قباء « في وسطه رحبة » وان ابن شبة نقل عن ابي غسان ان « طول رحبته التي في جوفه يعني صحنه .. »[٤٤] وعلق السمهودي على ذلك بقوله « وهذا الصحن الذي عبّر عنه ابو غسان بالرحبة في جوفه »[٤٥] وذكر ان رحبة المسجد النبوي بالمدينة كانت تبلغ ١٥٢ × ٩٥ ذراعاً ، وان المسجد كان

---

(٤١) ابن الفقيه ١٨٨ وانظر ياقوت ١/٦٤٠ .
(٤٢) ياقوت ٢/٦٣٥ .
(٤٣) لسان العرب ٢/١٩٨ .
(٤٤) وفاء الوفا ٢/٢٤ ـ ٢٥ .
(٤٥) وفاء الوفاء ٢/٢٦ .

٢٠٠ × ١٥٠ ذراعاً[٤٦] .

لم تذكر المصادر ان زياداً بنى للمسجد حائطاً ، فاذا صح ذلك ، فان الرحبة تكون الساحة التي أمام الاروقة ، وقد ذكرنا من قبل ان ابن الفقيه قال ان كل مسجد بالبصرة رحبته مستديرة فانما هو من بناء زياد »[٤٧] ، وبذلك تكون رحبة الجامع مستديرة .

ويلاحظ ان « الاستدارة » قد تعني انها بشكل دائرة[٤٨] ، أو قد تعني انها محاطة بالابنية التي تحددها ، ولعل هذا هو الارجح ، لانه لم يرد ذكر لوجود حائط حولها .

ان كلمة « الدهناء » التي وردت في نص البلاذري بشكل غير واضح يزيل نص الهمداني وياقوت اللبس فيه ، اذ يحدد انها اطلقت على دار الامارة التي بناها عتبة وظلت الى زمن زياد .

ويتفق كل من البلاذري والهمداني وياقوت ان الرحبة تسمى « رحبة بني هاشم » ولا ريب في ان هذه التسمية اطلقت في زمن العباسيين ، ولعلها في أول زمن خلافتهم .

وذكر الجاحظ رحبة بني هاشم وقربها من دور الثقفيين ومن رحبة بني سليم[٤٩] ، وذكر وكيع ان زرارة بن اوفى كان يقضي في الرحبة خارجاً من المسجد[٥٠] ، وكذلك كان يفعل الحسن البصري[٥١] .

وينفرد ياقوت بالقول ان هذه الرحبة تسمى « رحبة دعلج » أيضا غير اني لم أجد في ما اطلعت عليه من المصادر ذكرا لهذا الاسم ، كما ان ياقوت لم

---

(٤٦) وفاء الوفا ١/٤٩٤ .
(٤٧) ابن الفقيه ١٩١ .
(٤٨) لسان العرب ٥/٣٨٢ .
(٤٩) البيان والتبيين ٣/١٢٩ .
(٥٠) اخبار القضاة ١/٢٩٦ .
(٥١) اخبار القضاة ٢/١٤ وانظر ايضاً : ادب القاضي للخصاف شرح الجصاص ٨٥ .

يوضح هوية دعلج الذي سميت الرحبة به .

ان ابرز ما في الرحبة هو دار الامارة الاولى التي كانت تسمى الدهناء . ويذكر ياقوت انها كانت في « موضع حوض حمّاد » ، ولم أجد ذكرا لهذا الحوض .

يقول ياقوت ان حوض حماد الذي كان في مكان دار الامارة هو حوض سليمان بن علي . وقد ذكر البلاذري ان سليمان بن علي « حفر الحوض الذي في الدهناء وهي رحبة بني هاشم » وانه حفر في هذه الرحبة « حوضا ليشرب منه الناس الماء العذب »[٥٢] .

ذكرت المصادر الثلاثة التي نقلنا قولها أعلاه أنه كان في هذه الرحبة السجن ، وهذا السجن انشيء في أول زمن العباسيين ، اذ يذكر ابن الكلبي « اشترى سليمان بن علي موضع السجن من ماله في دار ابن زياد ، فجعله سجنا »[٥٣] ولابد ان هذا هو الحبس الاكبر الذي ذكر البلاذري ان المنصور بنى في دخلته لاولى بالبصرة « قصره الذي عند الحبس الاكبر وذلك في سنة ١٤٢ »[٥٤] وذكر وكيع « مجلس المنصور بالحبس الاكبر »[٥٥] ، ولعل قصد هذا القصر الذي لم اجد له اشارة اخرى ، او ان الولاة كانت تنزله ، ولعله هو « المحدثة » التي ذكر الطبري ان الرشيد نزلها عندما قدم البصرة سنة ١٨٢[٥٦] .

اما الديوان الذي أنشأه عتبة فلابد انه كان قرب دار امارته ، وقد ورد

---

(٥٢) فتوح البلدان ٣٧٠ ، انساب الاشراف ٩٠/٣ .
(٥٣) فتوح البلدان ٣٧٠ .
(٥٤) فتوح البلدان ٣٦٩ ويذكر البلاذري ايضا ان المنصور بنى في دخلته الثانية المصلّى ، وذكر الطبري ان ابا جعفر بنى في سنة ١٤٢ المصلى بالحمان (١٤٠/٣) ولم يذكر القصر .
(٥٥) اخبار القضاة ٧٤/٢ ، ٧٦ .
(٥٦) الطبري ٦٤٥/٣ .

ذكره في بعض المصادر ، فذكر وكيع عن محمد بن سلام انه قال « كنت مع عبيدالله بن الحسن في دار الديوان »[٥٧] وانه « دخل المهدي دار الديوان وقد تهدمت وكثر التراب فيها »[٥٨] ، ولكن لم تشر المصادر الى موقعه ، وهل بقي في نفس مكانه القديم كما يبدو من النصوص المذكورة أعلاه ، أم ان زياد حوله قرب دار الامارة التي بناها في قبلة الجامع وبلصقه ؛ علما بان الرسم في الدواوين في العهد الاموي انها كانت قرب الجامع[٥٩] .

ذكر ابن الفقيه ان من المنشآت التي كانت في رحبة بني هاشم حمام الامراء . ولابد ان هذا الحمام قد انشيء في زمن متأخر من العصر الاموي لان البلاذري يذكر الحمامات الثلاثة الاولى التي انشئت في البصرة ثم يقول « فمكثت البصرة دهرا وليس بها الا هذه الحمامات »[٦٠] أي ان حمام الامراء متأخر في نشأته .

وردت اشارات الى موقع حمام الامراء ، فذكر وكيع ان ابا مريم الحنفي، وهو أول من قضى بالبصرة ، له في البصرة اربع خطط احداهن في قبلة المسجد الجامع ، وهي تجاه حمام دار الامارة ، تشرع على الطريق الذي في ظهرها[٦١] ولاريب في انه قصد بذلك حمام الامراء ، ويتبين من النص انها تقع في الجهة الجنوبية الغربية من الجامع ، ولعلها بقرب دار الامارة الاولى .

يقول الاصبهاني ان علي بن عبيدالله « كان ابوه وجهه الى مصر ؛ ووجه معه أخاه موسى بن عبيدالله ، ومطرا صاحب الحمام ، قال المدائني انما سمي صاحب الحمام لانه كان على حمام الامير بالبصرة »[٦٢] .

ذكرت المصادر عددا من الدور قرب المسجد الجامع ، ولم تحدد موقعها

---

(٥٧) اخبار القضاة ٩٢/٢ .
(٥٨) اخبار القضاة ١١٧/٢ .
(٥٩) الاصطخري ١٨٤ .
(٦٠) فتوح البلدان ٣٥٢ .
(٦١) اخبار القضاة ٢٧٣/١ .
(٦٢) مقاتل الطالبيين ٢٠١ .

بدقة ومن هذه دور كل من الاسود بن سريع التميمي ، [٦٣] والاحنف بن قيس[٦٤] ، وابي موسى الاشعري[٦٥] ، وعثمان بن أبي العاص[٦٦] ، وابي بكرة[٦٧] ، وعبدالله بن المغفل[٦٨] ، وحبيب السامي[٦٩] ، واحد دور انس بن مالك ، وكان بالقرب من دار الاحنف [٧٠] وقد انشأ محمد بن الفضل القرشي العباداني بالقرب من المسجد الجامع رباطا [٧١] .

دار الامارة :

دار الامارة هي المكان الذي يقيم فيه الوالي ، وما يتصل به والدواوين فهي من أهم الابنية في المدينة .

يذكر البلاذري «وبنى عتبة دار الامارة في الرحبة التي يقال لها رحبة بني هاشم وكانت تسمى الدهناء ، وفيها السجن والديوان ، فكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ورفعوه حتى يرجعوا من الغزو ، فاذا رجعوا اعادوا بناءه » ويتبين من هذا النص ان دار الامارة في بدء أمرها زمن ولاية عتبة ابن غزوان لم تكن بناءا ثابتا محكما ، وانما مجرد مكان محاط موقتا بالقصب وهذا الوضع ينسجم مع الاحوال التي كانت سائدة في هذا الزمن المبكر حيث كان عدد المقاتلة قليل ، وجباياتهم ضئيلة ، وأحوالهم غير مستقرة . وواضح من هذا النص ان دار الامارة لم تكن بلصق الجامع [٧٢] .

ونقل ياقوت مادونه ابن الفرات عن الساجي «بنى عتبة بن غزوان دار الامارة بالبصرة في موضع حوض حماد ، وهو حوض سليمان بن علي في رحبة

---

(٦٣) الطبقات لخليفة ٤٤ - ابن حجر ١/٦٠ .
(٦٤) الطبري ٢/٤٥٣ .
(٦٥) الطبقات لخليفة ٦٨ .
(٦٦) الطبقات لخليفة ٢٢ .
(٦٧) الطبقات لخليفة ٥٣ .
(٦٨) ابن سعد ٧ ـ ٨٨ ، اسد الغابة ٢/١٦٥ .
(٦٩) ابن رسته ٢٠٦ .
(٧٠) الطبقات لخليفة ٩١ ؛ تهذيب ابن عساكر ٣/١٤١ .
(٧١) الخطيب البغدادي ٣/١٥٧ .

دعلج ، وهي رحبة بني هاشم ، وكانت الدار تسمى الدهناء ، [٧٣] وهـذه الرواية تثبت ان دار الامارة كانت تسمى الدهنـاء .

وذكر البلاذري بعد كلامه الذي نقلناه اعلاه عن دار الامارة في زمـن عتبة «وبنى ابو موسى الاشعري المسجد ودار الامارة بلبن وطين وسقفهـا بالعشب »[٧٤] وبهذا البناء ، رغم بساطته تثبت مكان دار الامارة ، ولم يكن في جهة القبلة او ملاصقا للجامع ، لان البلاذري يقول بعد ذلك «وكان الامام اذا جاء للصلاة تخطاهم الى القبلة على حاجز ، فخرج عبدالله بن عامر ذات يوم من دار الامارة يريد القبلة وعليه جبه خزدكناء ، فجعل الاعراب يقولون : على الامير جلد دب »[٧٥] .

ولما ولي زياد البصرة لمعاوية وزاد في المسجد وأعاد بناءه «قال لاينبغي للامام ان يتخطى الناس فحول دار الامارة من الدهناء الى قبلة المسجد ، فكان الامام يخرج من الدار في الباب الذي في حائط القبلة »[٧٦] .

وينقل البلاذري عن الوليد بن هشام بن قحذم ان زيادا « نقل دار الامارة الى قبلة المسجد ، وكان بناؤه اياها بلبن وطين »[٧٧] وهذا الكلام واضـح بان البناء القديم ترك ، وان دار الامارة اصبحت في بناء ملاصق للجامع مـن جهة القبلة ، أي الجنوب الغربي ، وانه كان بينها وبين الجامع باب يخـرج منه الامير الى المسجد رأسا دون ان يتخطى الناس .

ونقل البلاذري عن ابي عبيدة قوله « لما قدم الحجاج بن يوسف الثقفي العراق اخبر ان زيادا ابتنى دار الامارة بالبصرة ، فأراد ان يزيل اسمه عنها ، فهم بينائها بجص وآجر ، فقيل له انما تزيد اسمه فيها ثباتا وتأكدا ، فهدمها

---

(٧٢) فتوح البلدان ٣٤٥ .   (٧٣) ياقوت ٢/٦٣٥ .
(٧٤) فتوح البلدان ٣٤٦ ، ابن الفقيه الهمداني ١٨٨ .
(٧٥) فتوح البلدان ٣٤٦ .   (٧٦) فتوح البلدان ٣٤٦ .
(٧٧) فتوح البلدان ٣٤٧ .

وتركها ، فبنيت عامة الدور حولها من طينها ولبنا وأبوابها [٧٨] .

ذكر كتاب معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر ان هند بنت اسماء قالت للحجاج فوالله ما رأيت أحسن من القصر الاحمر وفيه عبيدالله بن زياد، والقصر الاحمر هو دار الامارة بالبصرة ، وكان عبيدالله بن زياد بناه بطين أحمر ، فغضب الحجاج غضبا شديدا [٧٩] وطلقها بسبب ذلك ، ثم بعث الى القصر الاحمر فهدمه وبناه بناءا آخر .

يتبين من هذا النص ان الذي أعاد بناء دار الامارة هو عبيدالله بن زياد ، وان الحجاج أعاد بناءه ، وهذا الكلام يناقض روايات البلاذري التي نقلتاهـا أعلاه والراجح ان رواية البلاذري هي الاصح .

تابع البلاذري كلامه الذي نقله عن ابي عبيده حول تطور بناء دار الامارة وبعد ان ذكر هجر الحجاج سكناها قال « فلم تكن بالبصرة دار امارة حتى ولي سليمان بن عبد الملك فاستعمل صالح بن عبدالرحمن على خراج العراق ، فحدثه صالح حديث الحجاج وما فعل في دار الامارة ، فأمر باعادتها ، فأعادها بالاجر والجص على أساسها ورفع سمكها »[٨٠] ، ونقل البلاذري عن الوليد ابن هشام بن قحذم ان دار الامارة بناها زياد بلبن وطين» حتى بناها صـالح ابن عبدالرحمن السجستاني مولى بني تميم في ولايته خراج العراق لسليمان ابن عبدالملك بالاجر والجص»[٨١] .

يتبين من كلام البلاذري ان دار الامارة أعيد بناؤها«بالاجر والجص» وبنفس سعتها الاولى على اساسها غير انه جعلها أرفع سمكا ولعله قصد بذلك ان سقوفها الجديدة كانت أعلى من القديمة ، وانها كانت من طابق واحد .

ان اقتراح اعادة البناء وتنفيذه على يد صالح بن عبدالرحمن ، وهو والي

---

(٧٨) فتوح البلدان ٣٤٨ .
(٧٩) معدن الجواهر ٣١ .
(٨٠) فتوح البلدان ٣٤٨ .
(٨١) فتوح البلدان ٣٤٧ .

الخراج قد يرجع الى ان والي البصرة كان معنيا بواسط ، وانه لم يكثر مقامه بالبصرة فلم يعن ببناءها ، وانه كان يسكن عند قدومه البصرة في مكان آخر ، ولعله كان يقيم في قصر الحجاج ايضا . وقد يدل هذا على ان الديوان كان قرب هذه البناية ، علما بان المصادر لم تذكر موقعه .

تابع البلاذري نقل ما ذكره ابو عبيده عن تطور بناء دار الامارة فقال «فلما ولى عمر بن عبدالعزيز (رض) وولى عدي بن ارطاة الفزاري البصرة ، أراد عدي ان يبني فوقها غرفا ، فكتب اليه عمر ، هبلتك امك يا ابن أم عدي ، ايعجز عنك منزل وسع زيادا وآل زياد ، فامسك عدي عن اتمام تلك الغرف وتركها .

فلما ولى سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس البصرة لابي العباس أمير المؤمنين ، بنى على ماكان عدي رفعه من حيطان الغرف بناءا بطين ثم تركه وتحول الى المربد فنزله »[٨٢] .

يتبين من هذا النص ان عدي بن ارطاة لم يبدل بناء دار الامارة ، وانما بنى حيطانا في الطابق الثاني ، ثم اكمل سليمان بن علي الحيطان وجعلها غرفا ، وكان بناء هذه الغرف بالطين ، بينما ظل الطابق الارضي مبنيا بالاجر .

ان انتقال سليمان بن علي الى قصره في المربد يعني ان هذا القصر صار يقوم بوظيفة دار الامارة ، بالرغم من انه كان ملكا شخصيا للوالي ، ويبدو ان بناء دار الامارة هجر منذ ذلك الوقت

ولعل هذه الدار هي التي ذكر البلاذري انها «كانت لسلم بن زياد فغلب عليها بلال بن ابي برده ايام ولايته البصرة لخالد بن عبدالله ، ثم جاء سليمان ابن علي فنزلها »[٨٣] .

وتجدر الاشارة الى ان المصادر ذكرت زيارة بعض الخلفاء العباسيين

---

(٨٢) فتوح البلدان ٣٤٨ . (٨٣) فتوح البلدان ٣٥١ .

وأماكن نزولهم في البصرة ؛ فذكر الطبري ان ابا جعفر عندما زار البصرة سنة ١٤٢ » نزل « مجلس المنصور بالجسر الاكبر »[٨٤] ويذكر خليفة ان أبا جعفر نزل عسكره بالجسر الاكبر[٨٥] .

وذكر الاصفهاني ان ابا جعفر عندما قدم البصرة «تلقاه الناس بالجسر الاعظم »[٨٦] .

وذكر وكيع «مجلس المنصور بالحبس الاكبر»[٨٧] وانه صار الى الجسر الاكبر [٨٨] وكما قدم المهدي البصرة سنة ١٦٦ نزل دار محمد بن سليمان[٨٩].

وذكر البلاذري ان ابراهيم بن عبدالله عندما ثار بالبصرة «دخل دار الامارة فنزلها أياما ثم تحول منها الى الخريبة »[٩٠] .

وذكر وكيع ان سوار قاضي البصرة في زمن المنصور كان يجلس في دار الامارة بعد الصلاة ويقضي فيها [٩١] مما يدل على انها لم تهجر كليا فلما زار المهدي البصرة «دخل دار الديوان وقد تهدمت وكثر التراب فيها [٩٢] ؛ ويبدو انها هجرت بعد ذلك ؛ فلما قدم الرشيد الى البصرة فنزل المحدثة اياما ثم تحول الى قصر عيسى بالخريبة[٩٣] ؛ ويقول البلاذري انه لما استخلف الرشيد دخلت الدار في قبلة المسجد فليس للامراء بالبصرة دار امارة »[٩٤] .

ويذكر ابن الاثير انه في سنة ٣٩٤ استولى ابن واصل على البصرة ونزل دار الامارة [٩٥] ؛ غير ان المصادر لم تعين موقعها ؛ ومتى اتخذت .

---

(٨٤) الطبري ٣/١٤٠ .
(٨٥) التاريخ ٤٤٧ .
(٨٦) مقاتل الطالبين ٣٧٢ .
(٨٧) اخبار القضاة ٢/٧٤ ، ٧٦ .
(٨٨) اخبار القضاة ٢/٨٠ .
(٨٩) اخبار القضاة ٢/٩٢ .
(٩٠) انساب الاشراف ٤ ــ ٢/١٢٤ .
(٩١) اخبار القضاة ٢/٧٩ .
(٩٢) اخبار القضاة ٢/١٧ .
(٩٣) الطبري ٣/٦٤٥ .
(٩٤) فتوح البلدان ٣٤٨ .
(٩٥) الكامل ٩/١٨١ .

الفصل السادس

الاخماس

أهل العاليـة :

كان أهل العالية أحد أخمـاس البصرة ، وهم يتكونون من العشـائر الحجازية الأصل التي استوطنت البصرة ، وكان بعضهم من أقدم مقاتلة البصرة، وبرز فيهم رجال كانت لهم مكانة بارزة في البصرة ، وخاصة الثقفيين الذيـن كانت لهم صلة نسب بزياد بن ابي سفيان وابنه عبيداللـه ، وهم من عشيرة الحجاج بن يوسف • ولابد ان صلتهم بهؤلاء الولاة المتنفذين ساعدت عـلى توطيد مكانتهم في البصرة • ويتبين مما ذكرناه عن المسجد الجامع في البصرة ان كثيرا من الثقفيين كانت منازلهم حول المسجد •

وقد ظلت خطط بعض أهل العالية قائمة حتى زمن ابن بطوطة حين كان الخراب قد زحف على الاطراف الغربية من المدينة • ففي سـنة ٥٧٣ كانت البصرة « قد خربت ولم يبق من آثارها الا الاقل ، وطمست محالها فلم يبق فيها الا محال معلومة كالنحاسين وقساميل ، وهذيل ، والمربد وقبر طلحة ، وقد بقي في (كل محلة) بيوت معدودة ، وباقي بيوتها اما خراب وأما غـير مسكونة ، وجامعها باق في وسط الخراب كأنه سفينة في وسط بحر لجي ، وسورها القديم قد خرب ، وبينه وبين مابقي من العمارة مسافة بعيدة [1] •

وقال ابن بطوطة ان البصرة كانت عندما زارها ثلاث محلات هي محـلة هذيل ومحلة بني حرام ، ومحلة العجم ، وان هذه المحلات تبعد عن المسجد

(١) التعليق على ابن حوقل ٦٩ .

الجامع مسافة ميلين[٢] ، ولما كان العمران انذاك يقع جنوبي شرقي المدينة القديمة ، وان هذيل هي من عشائر أهل العالية ، فيمكن القول بان أهل العالية سكنوا في أطراف المسجد الجامع وامتدت خططهم الى الجنوب الشرقي منه .

يقول ابن الاثير ان أهل العالية قريش وكنانة والازد وبجيلة وخثعم وقيس عيلان كلها ومزينة[٣] ، ولابد انه قصد بالازد ازد شنوءه الذين كانوا يسكنون جنوبي الحجاز غير انه لم يرد لهم ذكر في البصرة ، حيث ان ازد البصرة كانوا جميعا من أهل عمان في الاصل .

ذكر الحازمي عدداً من عشائر أهل العالية وأشار الى ان عامة رجالهم في البصرة دون غيرها من الامصار . وممن ذكرهم حريش ورواس وهما من هوازن ، وضبة ، وسامة ، وطفاوة ، وعائذة ، وعدي بن كعب ، وعكل ، وهلال[٤] .

وذكرت المصادر خططا في البصرة لكل من قريش ، وهذيل ، وسليم ، وعقيل ، وعدي بن كعب ، وبنانه ، وناجية ، وباهلة ، والحريش ، وقشير ، وضبة ، ومزينة ، وسامة ، والتيم ، وسهم ، وعقيل .

فاما بنو سليم فقد كانت خطتهم متصلة بالمسجد الجامع ، اذ ذكر ابن حجر ان الحجاج بن عتيك كان ممن قدم البصرة أيام عتبة بن غزوان ، وولى حائط المسجد مما يلي بني سليم زمن زياد [٥] . وكانت لهم رحبة قرب الجامع يقضي فيها الحسن البصري [٦] وفي خطتهم دار لعبدالله بن الزبير[٧] ، ودار

---

(٢) الرحلة ١٥١/١ (المطبعة الازهرية) .
(٣) الكامل ٧١/٥ .
(٤) عجالة المنتدى ٤٧ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٢٣ .
(٥) الاصابة ٢١١/١ .
(٦) اخبار القضاة ١٤/٢ .
(٧) انساب الاشراف ٤ ـ ١٠٥/٢ ، الطبري ٤٦٤/٢ .

لفيل مولى زياد [٨] ويقول البلاذري انه عندما قدم الزبير وعائشة دخلوا المربد مما يلي بني سليم ، مما يدل على ان خططهم كانت تمتد الى المربد .

يقول خليفة بن خياط ان «مجاشع مسعود دفن في داره في بني سليم حضرة بني سدوس ، وله في البصرة غير دار ، منها دار حضرة مسجد الجامع»، وهذا يظهر ان بني سليم كانوا يجاورون بني سدوس وهم من بكر .

ويروى الطبري انه عندما توفى يزيد واضطربت الاحوال في البصرة قرر والي البصرة عبيدالله بن زياد اللجوء الى الازد ، فخرج من دار الامارة ، ومر بناجية ، ثم بطاحية الى ان وصل العتيك[٩] . ولما كانت خطط الازد في الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد ، وان في جنوبيهم بنو ناجية ثم بنو طاحية .

أما بنو عقيل فقد ذكر الطبري انه عندما ثار ابراهيم بن عبدالله بن الحسن في البصرة « نزل بني راسب ، ثم خرج فخرج أصحابه على حضرة بني عقيل ومنها الى الطفاوة ، فمقبرة بني يشكر[١٠] وهذا يظهر ان عقيلاً كانت خططها بين راسب والطفاوة » .

أما باهلة فقد ذكر ابن سعد ان «يزيد بن ابراهيم التستري ينزل في باهلة عند مقبرة بني سهم»[١١] .

واما الحريش فقد ذكر خليفة ان عبدالله بن الشخير ولد فيهم[١٢] . وذكر ان جهينة لها خطة من ساكنيها أبو حمزة[١٣] .

وورد ذكر قشير في عدة اشارات ، فقد ذكر السيرافي ان ابا الاسود الدؤلي كان نازلا فيهم[١٤] وذكر ابن سعد مسجد بني قشير[١٤أ] .

---

(٨) الطبقات لخليفة ٥٢ ؛ انساب الاشراف ٤ — ١٠٥/٢ .
(٩) انساب الاشراف ٤ — ١١٧/٢ ؛ الطبري ٤٤١/٢
(١٠) الطبري ٢٩٠/٣ . (١١) ابن سعد ٧ — ٣٩/٢ .
(١٢) طبقات خليفة ٤٧٢ . (١٣) كذلك ١٢٢ .
(١٤) طبقات النحويين ١٥ وانظر الاغاني ١١٢/١٣ الكامل للمبرد ٥٥٥ .
(١٤ أ) الطبقات ١٠٩/١٠٧ .

وذكر ابن سعد ان لضبة خطة في البصرة[١٥] وقال ابن دريد ان بني الشعيرا من ضبة[١٦] ، وقد قتل عدد كثير منهم في معركة الجمل ، وبالقرب من خطتهم كان قصر عسل[١٧] .

أما مزينة فيذكر ياقوت ان خطتهم كانت بقربها محلة حدد [١٨] ولعل « حدد » صوابها هداد ، وهي القبيلة الازدية المشهورة ؛ وذكر وكيع ان عبدالملك بن يعلى داره في مزينة دون اللحامين بنحر الطريق [١٨أ] .

أما بنو سامة فقد ذكر ياقوت ان لهم بالبصرة محلة سميت باسمهم[١٩].
ولتيم خطة كان ممن يتزلها سليمان التيمي[٢٠] .
وبني سهم ، وكانت لهم مقبرة بقربها خطة باهلة [٢١] .

وأما عقيل فان ابا الفرج الاصبهاني يقول ان بشار بن برد كان منزله مجاورا لبني عقيل وبني سدوس[٢٢] ، وهذا يدل على ان عقيلاً كانت مجاورة لبني سدوس البكريين أي في الاطراف الشمالية الشرقية من المسجد .

اما بنو عدي بن كعب فقد بنى لهم زياد مسجدا ، وهو احد المساجد الاربعة التي بناها زياد في البصرة للعشائر التي تكره الامام علي ، وكان مسجد بني عدي أقرب المساجد الى المسجد الجامع [٢٣] ولعلهم هم الذين ذكرهم ابن دريد باسم كعب قال انهم «من أهل العالية لهم خطة بالبصرة[٢٤] .

وفي بني كعب كانت دار كل من الخليل بن الحصين وعبدالواحد بن زياد وعون بن مالك وكانوا من مؤيدي ابراهيم بن عبدالله بن الحسن ، فلما

---

(١٥) انساب الاشراف ٧٩٥/١٠ (مخطوطة المغرب) .
(١٦) الاشتقاق ٤٢٢ .
(١٧) ياقوت ٦٧٧/٣ .
(١٨) ياقوت ٢١١/٢ .
(١٨أ) اخبار القضاة ١٩/٢ .
(١٩) كذلك ٢٢/٣ .
(٢٠) ابن سعد ٧ ــ ١٨/٢ .
(٢١) ابن سعد ٧ ــ ٣٦/٢ .
(٢٢) الاغاني ٢١٠/٣ .
(٢٣) انساب الاشراف ٤ ــ ٥١١/١ شرح نهج البلاغة ٨٤/١ .
(٢٤) المعارف ٣١ .

قبل هدم محمد بن سليمان دورهم[٢٥] .

ومن قبائل أهل العالية في البصرة بنانة ، وكانت لهم خطة قديمة في البصرة[٢٦] ، وكانت خطتهم في الباطنة ، وبقربها خطة لبني زياد بن شمس[٢٧] ولعل فيها مسجد ثابت البناني[٢٨] .

أما بنو ناجية فقد ذكرنا عند الكلام عن انتقال عبيدالله بن زياد الى الازد بعد وفاة يزيد ، انه مر ببني سليم فبنى ناجية ، فالازد[٢٩] ، مما يظهر ان خطة بني ناجية كانت جنوبي خطة سليم ، بينها وبين الأزد ، وذكر ابن سعد ان أبا عبيدة الناجي كان ينزل بني ناجية ، ثم انتقل الى بني عقيل[٣٠] كما ذكر ان سليمان الاسود كان نازلا في بني ناجية[٣١] .

وذكر ابن سعد خطة بني عبس وكان ينزل فيها عبدالرحمن بن المبارك[٣٢] كما ذكر ابن قتيبة بني فراس من كنانة ومنهم القعقاع بن حكيم الذين يكونون بالبصرة[٣٣] ، وآل المعذل بن غيلان وهم من بني الديل[٣٤] .

لاريب في ان أبرز أهل الحجاز هم قريش ، وقد ذكرت سكة باسمهم في البصرة ، فقد روى المدائني عن أبيه « قدم المهدي الى البصرة فمر في سكة قريش ، وفيها منزلنا ، وكانت الولاة لاتمر فيها اذا قدم الوالي ، كانوا يتشاءمون بها ، قل وال ان مر فيها وأقام في ولايته الا يسيراً حتى يعزل ، ولم يمر فيها خليفة قط الا المهدي . كانوا يمرون في سكة عبدالرحمن بن سمرة ، وهي تساوي سكة قريش »[٣٥] وواضح من هذا النص ان سكة قريش قريبة من المسجد الجامع ودار الامارة .

---

(٢٥) الطبري ٢٦٤/٣ .
(٢٦) ياقوت ٧٤١/١ ، لسان العرب ٢٠٦/١٦ .
(٢٧) ابن سعد ٧ ـ ١٠/٢ .
(٢٨) ابن سعد ٧ ـ ٨/٢ .
(٢٩) الطبري ٤٣٤/٢ ؛ انساب الاشراف ٤ ـ ١١٧/٢ .
(٣٠) ابن سعد ٧ ـ ٤١/٢ .
(٣١) ابن سعد ٧ ـ ٤٠/٢ .
(٣٢) ابن سعد ٧ ـ ٢٥/٢ .
(٣٣) المعارف ٣١ .
(٣٤) المعارف ٣٢ .
(٣٥) الطبري ٥٤٣/٣ .

ان النص الذي ذكرناه أعلاه يظهر ان سكة قريش كان بقربها سكة عبدالرحمن بن سمرة ، وهذه السكة منسوبة الى عبدالرحمن بن سمرة بن جندب الفزاري[٣٦] ، وكانت فيها دار لعبيدالله بن ابي بكرة ، انفق عليها عشرة الاف دينار ، وصارت تدعى دار المعمريين[٣٧]. وفي هذه السكة ايضا دار الحريش التي نزلها ابو العيناء عند قدومه البصرة[٣٨] . وفيها ايضا دار لعتبة بن عبدالرحمن بن سمرة ثم آلت الى حمران بن ابان [٣٨أ] . ويذكر عريب ان القرامطة عندما دخلوا البصرة في سنة ٣١١ «جالوا في شارع المربد ، ومروا بالمسجد الجامع وسكة بني سمرة حتى انتهوا الى شط البصرة المعروف بنهر ابي كثير»[٣٩] ، وهذا النص يدل على ان سكة بني سمرة كانت قرب المسجد الجامع وفي جهاته الشمالية.

وذكر «كنت انحدرت منذ سنيات فلما وردتها صعدت في الفيض الى سكة قريش اطلب منزلا»[٤٠] مما يدل على انها كانت في الجنوب الشرقي من الجامع .

اما هذيل فان التعليق على كتاب ابن حوقل ذكر ان هذيلاً وقساميل والمربد وقبر طلحة كانت من المحال القائمة في سنة ٥٦٤[٤١] ، وذكر ابن بطوطة ان هذيلاً كانت من المحال القائمة في زمنه[٤٢] . ويدل بقاؤها الى هذا الزمن المتأخر انها كانت في الاطراف الجنوبية الشرقية من البصرة ، حيث ظل العمران قائما الى ذلك الزمن المتأخر .

وفي خطة هذيل كانت دار جسل بن مالك الهذلي ، وقد آلت هذه الدار الى عمرو بن مهران الكاتب[٤٣] ، كما كان فيها درب الحبش وبقربه مسجد

---

(٣٦) الاشتقاق ٨١ .
(٣٧) انساب الاشراف ١/٩٧ .
(٣٨) الخطيب البغدادي ٣/١٧٢ .
(٣٨أ) ياقوت ١/٦٤٤ .
(٣٩) صلة تاريخ الطبري ٥٥ .
(٤٠) ادب الغرباء ٣٧ .
(٤١) ابن حوقل ٦٤ .
(٤٢) رحلة ابن بطوطه ١/١١٥ .
(٤٣) طبقات خليفة ١٨٠ ، ابن سعد ٧ – ١/٢١ ، البيان والتبيين للجاحظ ٣/١٤١ ، المعارف لابن قتيبة ١١٢ .

أبي بكر الهذلي[٤٤] . وذكر ان دار قبيصة بن وقاص ، وهو من بني بجيلة كانت « حضرة دور آل عمرو بن مهران مقابل مقبرة بني يشكر »[٤٥] ، وهذا الكلام قد يدل على ان بجيلة كانت خطتها قرب هذيل ، وانها قرب مقبرة بني يشكر .

ان مقبرة بني يشكر يظهر انها كانت قريبة من خطط الازد ، فيذكر الطبري ان ابراهيم بن عبدالله عندما ثار في البصرة على أبي جعفر المنصور تحصن في الازد « ثم أتى مقبرة بني يشكر فأقام فيها ساعة ، ثم أتى دار الامارة[٤٦] . ويذكر خليفة بن خياط ان « بلال بن الحارث داره حضرة العوقة بين مقبرة بني يشكر والعوقة[٤٧] » . ولما كان العوقة من الازد ، فان مقبرة بني يشكر كانت قرب هؤلاء ، وقرب بجبلة أيضا .

وفي بني سليم خطة لكلاب بن امية « يقال لها مربعة كلاب ، وتقول العامة مربعة كلاب بلا علم »[٤٧أ] .

تميـــم :

تميم احدى القبائل الكبرى التي استوطنت البصرة منذ بداية تأسيسها ، وكانت احد اخماس البصرة ، وكانت لها مساهمة فعالة في كثير من الحوادث الكبرى في البصرة ، وظهر منها عدد من الرجال شغلوا مناصب ادارية بارزة .

وذكر الحازمي عددا من عشائرهم التي سكنت كلها أو عامتها في البصرة دون غيرها من الامصار ، وهذه العشائر هي حنظلة بن مالك ، وسليط ، وطهية ، وعجيف ، وهذه الثلاثة من عشائر حنظلة ، ومازن ، والحبطات ، وهم من مازن ، والحرماز ، ورياح ، وسعد ، وصريم ، وعطارد ، وعنبر ، والغدان ، ودارم ، ومجاشع بن دارم ، والهجيم[٤٨] .

---

(٤٤) ياقوت ١٩٧/٢ . (٤٥) طبقات خليفة ١٨٦ .
(٤٦) الطبري ٢٩٠/٣ ، ٢٩٧ . (٤٧) طبقات خليفة ١٧٧ .
(٤٧أ) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١٩١ .
(٤٨) مذكورة بالتتابع في كتاب عجالة المبتدىء : ٥١ ، ٧٣ ، ٨٥ ، ٩٢ ، ١١٠ ،

وذكرت المصادر خطط بعض العشائر وما فيها من معالم عمرانية ، فذكر ابن سعد خطة بني العنبر وفيها منزل علي بن عثمـان[٤٩] ، وكانت بجنبهم حمام توبة[٥٠] .

وذكر ابن دريد بني غدانة وفيهم مسجد القلمص[٥١] .

وذكر البلاذري ان بني مجاشع بنى لهم زياد احد المساجد الأربعة التي بناها لمحبي الامويين[٥٢] . وذكر أيضا خطة لضبة بالبصرة[٥٣] .

وذكر ياقوت ان الحريري سكن البصرة في محلة بني حرام[٥٤] .

أما بنو مازن فان خططهم مذكورة في أحداث معركة الجمل حيث انه لما قدم طلحة والزبير وعائشة البصرة نزلوا بالمربد فلما كانوا بالدباغين وذلك في حضرة قصر زربي في سكة المربد اجتمع الناس .. ثم انحدروا من موضـع الدباغين فأخذوا على بني نهد حتى خرجوا على مقبرة بني مازن ثم مقبرة بني حصن ثم خرجوا »[٥٥] وفي بني مازن كانت دار عمرو بن العلاء[٥٦] .

وذكر الجاحظ الزقاق الذي في أصل دار العباسـة ومنفذه الى بني مازن[٥٧] وذكر كتاب الجامع المختصر ان والي البصرة ياتكين « بنى سورا على بني مازن وسورا على المدينة محكم الابواب[٥٨] مما يدل على بقاء هذه المحلة الى القرن السابع .

---

٤٦ ، ٤٨ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٨١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ٧٣ ، ٨١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ٥٨ ، ١١٠ ، ١٢٢ .

(٤٧أ) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١٩١ .

(٤٩) ابن سعد ٧ ـ ٢/٢٥ .

(٥٠) ابن سعد ٧ ـ ١/١٠ .

(٥١) الاشتقاق ٢٣٠ .

(٥٢) انساب الاشراف ٤ ـ ١/٢٠١ شرح نهج البلاغة ١/٣٦٨ .

(٥٣) انساب الاشراف ١/٧٩٥ مخطوطة المغرب .

(٥٤) معجم الادباء ١٦/٢٦١ ؛ وانظر : خريدة القصر ٤ ـ ٢/٦٠١ .

(٥٥) تاريخ خليفة ١٦٢ .

(٥٦) وكيع : اخبار القضاة ٢/٨٤ .

(٥٧) الحيوان ٢/١٠٦ .

(٥٨) الجامع المختصر ١٨١ .

ذكر الطبري انه عندما اضطربت الاحوال في البصرة بعد موت يزيد ، تقدم رئيس الأزد مسعود العتكي الى بني تميم « ودخل سكة بني العدوية من قبل الجبان .. ثم وصل الى مسجد بني قيس في سكة المربد[٥٩] ، وذكر الطبري عند كلامه عن هذه الحوادث « منزل الاحنف بن قيس (وهو أبرز رجال تميم في البصرة) بحضرة المسجد » وان دار حرة الرياحية شارع في رحبة بني تميم على الميضأة »[٦٠] ، ويتبين من هذا ان خطط عشائر بني تميم كانت ممتدة من طرف الجبان في جنوبي المربد ، وتشغل سكة المربد حتى المسجد الجامع حيث رحبة بني تميم ، وربما خطط بني رياح .

وفي بني تميم يقع قصر سنبيل الذي حصر فيه ابن الحضرمي ، وكان هذا قد أرسله معاوية لاهاجة أهل البصرة على الامام علي[٦١] وهو يذكر انه من بني سعد[٦٢] وهو يقول ان دار سنبيل كانت قصرا قديما للفرس في الجاهلية وحوله خندق[٦٣] ومن المحتمل ان خطط بني تميم كانت تمتد الى نهر الفيض حيث كانت خطط الاساورة والسيابجة ، وهم حلفاء تميم ومنزلهم عند نهر الاساورة الذي يأخذ من عند دار فيل مولى زياد[٦٤] ويلاحظ ان المدائني يذكر ان عائشة وأصحابها ساروا من أعلى المربد وسلكوا سكة المربد فأخذوا من بني نهد حتى خرجوا الى مقبرة بني مازن ، فمقبرة بني حصن فالمسناة حتى نزلوا الجبل[٦٥] ؛ ويذكر في رواية اخرى انهم نزلوا بني سعد ويذكر في رواية اخرى انها نزلت الفرضة[٦٦] ، فاذا اعتبرنا هذه الروايات متكاملة

---

(٥٩) الطبري ٤٥٣/٢ .
(٦٠) الطبري ٤٥٣/٢ .
(٦١) الطبري ٢٠٩٦/١ ، ٣٤١٤ ؛ ابن سعد ٧ — ٣٩/١ ؛ انساب الاشراف ٤٢٥/٢ .
(٦٢) انساب الاشراف ٤٣١/٢ .
(٦٤) عن حلف الاساورة والسيابجة لبني تميم انظر فتوح البلدان وعن نهر الاساورة فتوح البلدان ٣٥٨ ؛ الاغاني ٤٣/٢١ .
(٦٥) تاريخ خليفة ١٦١ . (٦٦) كذلك ١٦٥ .

فان بني سعد يكونون عند الفرضة وعند الجبل .

ومن ابرز المعالم الاثرية في بني تميم هو قبر طلحة الصحابي المشهور الذي قاتل مع عائشة في معركة الجمل فقتل ودفن في البصرة .

فيذكر المسعودي ان طلحة دفن في البصرة « وقبره ومسجده فيها مشهور الى هذه الغاية[٦٧] » ويقول البستي ان طلحة « قبره بالبصرة مشهور يزار »[٦٨] ويقول ابن قتيبة « قبره هناك مشهور »[٦٩] . ويذكر مؤلف « المختار من مناقب الاخيار ان طلحة دفن بالبصرة في ناحية ثقيف »[٧٠] ويروي ابن سعد انه دفن في دار من دور أبي بكرة[٧١] وفي سنة ٣١١ « نقض أبو طاهر الجنّابي » الجامع ومسجد قبر طلحة[٧٢] وفي سنة ٥٣٧ كان « قبر طلحة وقد بقي في محلة سورت في وسط الخراب كأنه سفينة في وسط الصحراء »[٧٣] .

وعندما كان ياتكين واليا على البصرة « بنى على قبر طلحة بن عبيدالله بنيانا حسنا وجعل فيه الفرش والقناديل »[٧٤] .

اما عن مكان قبره من خطط قبائل البصرة فان ابن سعد يذكر ان طلحة بعدما قتل « دفنوه على شاطيء الكلاء ، فرأى بعض أهله انه قال الا تريحونني من هذا الماء ، فاني قد غرقت ، ثلاث مرات يقولها ، فنبشوه من قبره أخضر كأنه السلق .. فاشتروا دار أبي بكره فدفنوه فيها »[٧٥] ولكنه لم يذكر أي دار من دور أبي بكرة دفن فيها طلحة .

ويقول الاصطخري « قبر طلحة بن عبيدالله من الصحابة في المدينة »[٧٦]

---

(٦٧) مروج الذهب ٣٦٥/٢ .
(٦٨) مشاهير علماء الامصار ٧ .
(٦٩) المعارف ١٠١ .
(٧٠) المختار في مناقب الاخيار ٣٨ ب
(٧١) ابن سعد ٣ ـ ١٥٩/١ .
(٧٢) مسكويه ١٠٥/١ ؛ صلة الطبري لعريب ٤٠ المنتظم ١٧٣/٦ ؛ تكملة الطبري للهمداني ٢٣٥ .
(٧٣) ابن حوقل (التعليق) ٦٤ .
(٧٤) الحوادث الجامعة ١٨١ .
(٧٥) ابن سعد ٣ ـ ١٥٩/١ .
(٧٦) الاصطخري ٨٠ .

ويقول ابن دريد ان طلحة « دفن في قنطرة قرة ، ثم رأت عائشة بنتـه بعد موته بثلاثين سنة في المنام انه يشكو اليها الندى ، فأمرت به فاستخرج طريا ، وتولى اخراجه عبدالرحمن بن سلامة التيمي ، فدفن في دار في الهجريين بالبصرة ، فقبره هناك مشهور »(٧٧) .

ويقول الهروي ان طلحة « قبره بداره بنهر مرة شرقي الجـامع »(٧٨) وعن الهجريين يقول ابن دريد « بنو عبدالله بن دارم بهجر ، وقدموا البصرة مع عبدالقيس فسموا الهجريين(٧٩) . ويذكر البلاذري « وقال أبو اليقظان ولد زيد بن عبدالله بن دارم عبدالله بن زيد ، وولد عبدالله بن زيد بهجر وقدموا البصرة فكانوا فيهم »(٨٠) وقد يدل النص الاخير ان الهجريين سكنوا في البصرة مع عبد القيس الذين كانت ديارهم قبل مجيئهم البصرة في البحرين ومنها هجر .

غير ان الطبري يذكر ان طلحة جرح في معركة الجمل ، فأخذ بعد جرحه الى « دار من دور البصرة خربة ، وانزله في فيئها فمات في تلك الخربة ، ودفن في بني سعد(٨١) » .

يتضح من النصوص السابقة ان قبر طلحة كان مكانه معروفا في البصرة ، غير ان الرواة اختلفوا في تحديد الخطة التي استقر دفنه فيها بعد نقله من مدفنه الاول ، فهو اما أن يكون قد دفن في الهجريين ، أو في بني سعد ، أو قد تكون خطط الهجريين مجاورة لبني سعد ، وكان هذا الجوار مبعث الخلاف .

بـــكر :

بكر هي احدى المجموعات القبلية الخمسة في البصرة ، وقد شـارك

---

(٧٧) المعارف ١٠١ .
(٧٨) الاشـارات الى مواضـع الزيارات ٨١ .
(٧٩) الاشتقاق ٢٣٤ .
(٨٠) انساب الاشراف ٨٠٩/١ مخطوطة المغرب .
(٨١) الطبرى ٣٢١٠/١ وانظر انساب الاشراف ٢٤٦/٢ .

رجال منها في أول الفتوح الاسلامية ، ويتبين من المحالفة التي روى ابو عبيدة عقدها بين عشائر بكر في البصرة في زمن ولاية زياد ، ان بكرا كانت مكونة من ثماني عشائر كبرى هي قيس بن ثعلبة ، وعنزة ، وتيم اللات ، وعجل (ويسمون اللهازم) ، وذهل بن شيبان ، ويشكر ، وذهل بن ثعلبة ، وضبيعة (ويسمون البطون) ثم اضيفت اليهم حنيفة[٨٢] وذكر الحازمي من عشائرهم التي عامتها في البصرة دون بقية الامصار : ذهل ورقاش وزمان وسدوس وشيبان[٨٣] .

أشارت المصادر الى حدوث تبدل في استيطان بكر في البصرة ، فيذكر « المدائني عن الهذلي ومسلمة ان بني عجل تحولوا الى الكوفة ايام الجمل ، فنزلت الازد دورهم وكان رجل من بني عجل باع دارا لبني اخيه وكانوا ايتاما فلما خلت الدور بالبصرة خاصم العجلي بنو اخيه الى شريح ، فرد البيع ، فأتى الرجل زيادا فأخبره بقصته وقال خاصموني حين كثرت أثمان الدور وخلت ، وقال زياد لبني اخي الرجل اتحلفون ان الدور لو كانت على حالها في ارخص لم تخاصموا عمكم ولم تحاولوا نقض بيعه ، فلم يحلفوا فقال ان عمكم لم يبع الا نظرا لكم ، فأنا اجيز بيعه[٨٤] ويبدو من الاخبار والحوادث التالية ان بعضا من بني عجل بقوا بالبصرة ، ولكن عددهم أصبح قليلا . ويكشف هذا النص ان توزيع الخطط أدى الى تثبيت ملكياتها بأسماء أصحابها ، وان أثمانها ازدادت على مر الايام .

يذكر الطبري « كان منزل مالك بن مسمع الجحدري في الباطنة عند باب عبدالله الاصبهاني في خط بني جحدر الذي عند المسجد[٨٥] والجحادره من بني شيبان الامر الذي يدل على ان بني شيبان كانوا أقرب الى الجامع

(٨٢) الطبري ٢/٤٤٨ ـ ٩ .
(٨٣) ذكر كل منهم بالتتابع في كتاب عجالة المبتدى ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٧٩.
(٨٤) انساب الاشراف ٤ ـ ١/١٨٧ . (٨٥) الطبري ٢/٤٤٧ .

من العشائر البكرية الاخرى ، ولما كانت تميم واهل العالية يسكنون الاطراف الغربية والجنوبية من الجامع فان خطط بكر كانت في شرقي وشمال شرق المسجد الجامع .

وقد سميت المنطقة التي كان يسكنها مالك بن مسمع « المسامعة »[٨٦] ونقل ياقوت عن تاريخ ابن سيرين انه في سنة ٣١٠ « انتقل اهل قران من اليمامة الى البصرة لحيف لحق بهم من ابن الاخيضر في مقاسماتهم وجدب أرضهم فلما انتهى خبرهم الى اهل البصرة سعى ابو الحسن احمد بن الحسين ابن المثنى في مال جمعه لهم فقووا به على الشخوص الى البصرة فدخلوا على حال سيئة ، فامر لهم سبك أمير البصرة بكسوة ونزلوا المسامعة بها »[٨٧] .

اما باب الاصبهاني فقد ذكر خليفة بن خياط في طبقاته ان عنده دور كل من سهل بن صخر الليثي[٨٨] ، والنعمان بن المقرن المزني[٨٩] وطلحة بن عبيدالله التيمي[٩٠] ، واهبان بن صفي من بني حرام[٩١] ، وكل هؤلاء من عشائر أهل العالية ، وهذا يدل على ان خطط بكر قريبة في احد جوانبها من خطط اهل العالية .

ومن المحتمل انه في هذه المنطقة كانت جفرة بني عتيب الذين كانوا في بني شيبان[٩٢] .

ومن بني شيبان عشيرة رقاش[٩٣] وكانت فيها دار معروفة لسمرة بن جندب[٩٤] ومنهم أيضا سدوس وكانوا مجاورين لبني عقيل[٩٥] كما كانوا

---

(٨٦) الحيوان للجاحظ ٢/٩٢ .
(٨٧) ياقوت ٤/٥١ .
(٨٨) الطبقات لخليفة ٣٠ .
(٨٩) كذلك ١٧٧ .
(٩٠) كذلك ٧١٩ .
(٩١) كذلك ٣٣ .
(٩٢) الاشتقاق ١٥٤ ، ٣٧٦ .
(٩٣) الاشتقاق ٣٤٥ .
(٩٤) الاشتقاق ٢٨٢ .
(٩٥) الاغاني ٣/٢١٠ .

مجاورين لبني سليم[٩٦] ولعل في هذه المنطقة كان بنو هند وهم « بطن عظيم من بكر بن وائل لهم خطة بالبصرة[٩٧] » وفي هذه المنطقة كان طاق الجعد الذي ينسب الى الجعد بن قيس البكري وكان على شرطة البصرة في زمن عبيدالله بن زياد[٩٨] .

وفي هذه المنطقة أيضا كانت ضبيعة وكان ينزل فيها اسماء بن عبيد[٩٩] وسعيد بن عامر العجيفي[١٠٠] ، وكان له مسجد نزله قريب وزحاف الخارجيان في زمن زياد[١٠١] وقد نسب جعفر بن سليمان مولى الحريش لضبيعة لانه كان ينزل خطتهم[١٠٢] .

ذكرنا من قبل ان بني عجل انتقلوا من البصرة الى الكوفة بعد حرب الجمل وان الازد اخذت خططهم[١٠٣] ، وهذا يدل على ان خططهم كانت قرب الازد ، ولكن يجدر ان نذكر ان بعض بني عجل بقوا في البصرة ، وممن بقى منهم مذعور بن دوكس وكانت له خطة في البصرة[١٠٤] وكذلك الغضبان بن العقار الذي كانت له دار تسنيم بن الحوارى[١٠٥] .

ومما يؤيد ان خطط بني بكر كانت متصلة بخطط الازد قول الجاحظ « وليس يجوز ان تكون ديكة المهالبة (من الازد) تصيح وديكة المسامعة (من بكر) ساكتة »[١٠٦] .

ومن عشائر الازد في البصرة بنو يشكر ، وهم « من غاور لهم المقبرة بالبصرة ، ومنهم بنو قطيفة[١٠٦أ] ، وقد تردد ذكر مقبرة بني يشكر في الاخبار

---

(٩٦) طبقات خليفة ٥٢ .
(٩٧) الاشتقاق ٤ .
(٩٨) الاشتقاق ٣٢٥ .
(٩٩) ابن سعد ٧ ــ ٢/٣٣ .
(١٠٠) ابن سعد ٧ ــ ٢/٥٠ .
(١٠١) التاريخ لخليفة ٢٠٧ .
(١٠٢) تهذيب الكمال ٥/٤٤ .
(١٠٣) انساب الاشراف ٤ ــ ١/١٨٧ .
(١٠٤) الاشتقاق ٣٤٦ .
(١٠٥) الاشتقاق ٣٤٦ .
(١٠٦) الحيوان للجاحظ ١/٩٢ .

فذكر خليفة بن خياط ان « بلال بن الحارث داره حضره العوقة بين مقبرة بني يشكر والعوقة[١٠٧] » وعندما ثار قريب وزحاف وجاءا مقبرة بني يشكر خرج عليهم شباب من بني علي بن سود فقاتلوهم[١٠٨] وبقرب هذه المقبرة كانت دور آل عمر بن مهران وكانت هذه الدار في الاصل لحمل بن مالك بن النابغة الهذلي[١٠٩] . وبحضرتها دار قبيصة بن وقاص البجلي [١٠٩أ] ولما ثار ابراهيم بن عبدالله بن الحسن بالبصرة « أتى مقبرة بني يشكر فأقام بها ساعة فاجتمع اليه قوم ، ثم سار حتى أتى الى دار الامارة[١١٠] وفي بني يشكر كانت خطط بني غبر[١١١] ودار قبيصة بن وقاص[١١٢] وكذلك دار يعقوب بن الفضل ودار أبي مروان اللذين أيدا ابراهيم بن عبدالله فهدم محمد بن سليمان دورهما[١١٣] ، وفيهم كان نزل جعفر بن سليمان الضبعي[١١٤] ، كما ان فيها داراً لمجاشع بن مسعود ، دفن فيها بعد ان قتل في معركة الجمل[١١٥] .

ومن بكر بنو ثعلبة ، وكان ينزل فيهم ابو بشر الواسطي وجعفر بن وحشية[١١٦] .

ويبدو ان سقاية ابن برثن كانت عند خطط بكر ، اذ يذكر البلاذري ان سفيان بن معاوية في « ولاية أبي سلمة البصرة في أول خلافة بني العباس ، وصار سفيان في أصحابه الى موضع بالبصرة يعرف بسقاية ابن برثن ، واقتتل بنو حنيفة وبنو هزان من عنزة واسد »[١١٧] .

---

(١٠٧) الطبقات لخليفة ١٧٧ . (١٠٨) الطبري ٢ .

(١٠٩) الطبقات لخليفة ١٧٥ . (١٠٩أ) الطبقات لخليفة ١٧٥ .

(١١٠) انساب الاشراف ١٢٢/٢ (طبعة المحمودي) .

(١١١) الاشتقاق ٣٤١ . (١١٢) الطبقات لخليفة ٥٤ .

(١١٣) الطبري ٣٢٧/٣ .

(١١٤) مشاهير علماء الامصار للبستي ١٥٩ .

(١١٥) التاريخ لخليفة ١٦٣ . (١١٦) تهذيب الكمال ٦/٥ .

(١١٧) انساب الاشراف ١٧٥/٣ .

عبد القيس :

كانت عبدالقيس احد اخماس البصرة ، غير ان المعلومات قليلة جدا عن خططها وعشائرها ورجالها في البصرة ، مما قد يدل على قلة عددهم • وقد ورد في المصادر نصان قد يستنبط منهما موقع خططهم ، أولهما ما جاء في البلاذري من ان المنذر بن الجارود اقترح على معاوية ان يحفر لاهل البصرة نهرا ، فحفر لهم نهر معقل[118] مما يدل على ان خططهم كانت قرب هـذا النهر ، والنص الاخر هو ان المثنى بن مخربة العبدي عندما ثار في البصرة ، حاصر دار الرزق[119] ، مما يدل على قرب خطط قبيلته من هذه الدار ، لذا يمكن القول بأن خطط عبدالقيس كانت عند نهر معقل ودار الرزق أي في الاطراف الشمالية الشرقية من البصرة •

لم تذكر خطط خاصة لعشائر عبد القيس •

وذكر ابن سعد ممن كان ينزل في عبد القيس كلا من عبدالعزيز بن قدير[120] وغالب بن خطاف الراسبي[121] ويذكر ابن دريد « بنو عامر في عبدالقيس ، وهم الذين بالبصرة يدعون بنو أم النخل »[122] •

الازد :

كانت الازد أحد أخماس البصرة ، أي انهم واحدة من القبائل الخمسة الكبرى فيها ، ويقول أبو عبيدة « ان مضر كانت تكثر ربيعة بالبصرة ، وكانت جماعة الازد آخر من نزل البصرة ، وأقامت جماعة الازد لم يتحولوا ثم لحقوا بالبصرة بعد ذلك في آخر خلافة معاوية واول خلافة يزيد[123] ومن الواضح ان هذا النص يشير الى تزايد عددهم بالهجرة التي حدثت في أول العهـــد الاموي بعد أن كانوا قلة فيها • وذكر العوتبي معلومات عن تتابع قدومهم

---

(١١٨) فتوح البلدان ٣٥٧ .
(١١٩) الطبري ٢/٦٨٠ ـ ٣ .
(١٢٠) ابن سعد ٧ ـ ٢/٣٠ .
(١٢١) ابن سعد ٧ ـ ٢/٣١ .
(١٢٢) الاشتقاق ١٤ .
(١٢٣) الطبري ٢/٤٥٠ ، النقائض ٧١٩ .

البصرة فقال « كان أول من قدم البصرة من أهل عمان ثمانية عشر رجلاً ، وفد كعب بن سور من بني لقيط بن الحارث بن فهم .. ثم ان جماعة الازد الذين قدموا مع أبي جعفر ظالم بن سراقة بن شريح بن أبي العاص ، كانوا جند عثمان بن أبي العاص لما كان أيام خلافة عثمان واستعمل على البصرة عبدالله بن عامر ضمهم اليه بالبصرة ، أعني جماعة الازد الذين من عمان فقدم بهم من توج الى البصرة »[١٢٣أ] ويبدو ان منطقتهم لم تكن عامرة في زمن الراشدين فيروي وكيع عن رجل من الازد ان « كعب بن سور كان يقضي في داره وخيلنا ترعى العكرش ما بينه وبين المسجد الجامع »[١٢٤] . وقد أشارت المصادر الى وجود بعض رجال الازد في البصرة منذ زمن عمر بن الخطاب[١٢٥] وساندوا عائشة في وقعة الجمل التي نشبت في الخريبة قرب الحدان[١٢٦] ، كما لجأ اليهم زياد عندما هاجمه ابن الحضرمي في زمن خلافة الامام علي[١٢٧] وكانت في موقع منطقتهم عند قدوم المسلمين دسكرتان[١٢٨] .

ذكرنا عند وصفنا خطط أهل العالية ان الازد كانوا يقيمون بالقرب من مقبرة بني يشكر وهذيل وبجيلة ، ولاريب في ان خططهم كان يفصلها عن المسجد الجامع خطط اهل العالية ، أي ان خطط الازد كانت في الاطراف الجنوبية الغربية من البصرة ، وهذا تؤيده عدة نصوص ، فعندما اضطربت أحوال البصرة بعد موت يزيد ، قرر واليها عبيدالله بن زياد اللجوء الى الازد ، فمر في طريقه اليهم من دار الامارة ببني سليم وبني ناجية[١٢٩]

(١٢٣أ) الانساب للعوتبي ٢/٣٢٦ .
(١٢٤) اخبار القضاة ١/٢٧٣ .
(١٢٥) ابن سعد ٧ ـ ١/٧٢ ، المعارف لابن قتيبة ١٩٠ .
(١٢٦) الطبري ١/٣١٧٠ ، ٣١٧٤ ـ ٨٠ ، ٣٢٠٣ ، الاشتقاق ٢٨٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، انساب الاشراف ٢/٢٣٨ .
(١٢٧) الطبري ١/٣٤١٤ ، انساب الاشراف ٢/٤٢٥ .
(١٢٨) الطبري ١/٢٣٧٨ ، فتوح البلدان .
(١٢٩) الطبري ٢/٤٤١ ، انساب الاشراف ٤ ـ ٢/١١٧ .

ومما يؤيد ان مساكنهم كانت في الاطراف الجنوبيـة من البصرة مـا رواه البلاذري ان وادي العقيق فاض في زمن ولاية سليمان بن علي فأخرب دورا من دور العتيك[١٣٠] .

ذكر الحازمي عشائر من الازد ونص على انهم ، او عامتهم ، كانـوا يقيمون في البصرة دون بقية الامصار ، والعشائر التي ذكرها هي الحدّان والعتيك ، وطاحية ، والقسامل ، وهناءة ، وسليمى[١٣١] كما ذكر أيضا الحرقة ، وزهران ، وجهضم ، والعوقة ، وهداد ، وقردوس ، وعلي بن سود ، ورباح ، وجديد ويلاحظ ان معظم هذه العشائر كانت ديارها الاصلية في الجزيرة في اطراف عمان بينها وبين مهرة[١٣٢] .

يظهر من الاخبار ان الحدّان كانت لهم مكانة متميزة في السنين الاولى ، فعندما قدمت عائشة الى البصرة قبيل معركة الجمل « نزلت في مسـجد الحدّان ، وكان القتال في ساحتهم »[١٣٣] وظل معسكرها في الحدّان بعد ان اندحر خصومها[١٣٤] .

وعندما ارسل معاوية ابن الحضرمي لانتزاع البصرة من سلطان الامام علي كان واليها زياد الذي « لجأ الى الحدّان وحوّل بيت المـال والمنبـر فوضعه في الحدان .. وكان زياد يصلي الجمعة في الحـدّان »[١٣٥] وفي الحدّان بني زياد واحدا من المساجد الاربعة التي بناهـا لمبغضي الامـام علي[١٣٦] .

---

(١٣٠) انساب الاشراف ٣/٩٠ .
(١٣١) عجالة المبتدى ٤٦ ، ٩١ ، ٨٥ ، ١٠٤ ، ١٢٣ ، ٢٧٤ .
(١٣٢) صفة جزيرة العرب ٢١١ ، ٥١ طبعة لايبزج ، وقد شاركوا في الردة الطبري ١/١٩٧٩ .
(١٣٣) الطبري ١/٣١٧٨ انساب الاشراف ٢/٢٥٤ .
(١٣٤) الطبري ١/٣١٨٠ ، ٣١٣٤ ؛ انساب الاشراف ٢/٤٢٥ .
(١٣٥) انساب الاشراف ٢/٤٣٥ .
(١٣٦) انساب الاشراف ٤ ــ ١/٢٠١ ؛ شرح نهج البلاغة ١/٣٦٨ .

وقد ذكر ابن دريد ان لبني حاود خطة في الحدان[137] وذكر ابن سعد ان القاسم بن الفضل كان نازلا في الحدان[138] .

اما العتيك فكانت ابرز اسرهم آل المهلب الذين كانت لرجالهم مكانة متميزة في الدولة في أوائل العصر الاموي ، ثم ضعف سلطان هذه الاسرة بعد فشل ثورة يزيد بن المهلب ، ثم استعادوا مكانتهم في العصر العباسي ، واشغل بعض رجالهم مناصب عسكرية وادارية بارزة ، وتردد في القرن الثالث الهجري ذكر محلة المهالبة[139] ، والراجح ان هذه المحلة شملت خطط العتيك وربما عشائر ازدية اخرى .

يقول ابن دريد ان العتيك من عشائرها طاحية ، وعلي ، وعبدالله ، واياد ، وزياد[140] فاما طاحية فقد ذكر ابن سعد « سويقة طاحية » التي كان ينزلها نوح بن قيس الطاحي[141] وذكر خليفة بن خياط انه « في معركة الجمل قتل من طاحية ثلاثون رجلا دفنوا عند مسجد خالد بن نافع الطاحي »[142] ، وذكر عن ابي اليقظان ان عائشة تحولت من المربد الى بني سعد ، ثم تحولت فنزلت طاحية[143] وذكر السمعاني ان طاحية محلة بالبصرة »[144] مما قد يدل على استمرار وجودها الى زمنه .

اما عشائر العتيك الاخرى فان في الخبر الذي ذكرته المصادر عن ثورة قريب وزحاف الخارجيين ذكراً لخطط عدد منهم ، فذكر الطبري ان قريباً وزحافاً أتوا بني ضبيعة ، وتفرقوا في مساجد الازد ، وأتت فرقة منهم رحبة بني علي ، وفرقة مسجد المعاول ... وخرج على قريب وزحاف شباب من

---

(137) الاشتقاق ٥١٠ . (138) ابن سعد ٧ – ٢/٤٠ .

(139) الحيوان للجاحظ ٢/٩٢ الطبري .

(140) الاشتقاق ٤٨٤ . (141) ابن سعد ٧ – ٢/٤٤ .

(142) تاريخ خليفة ١٧١ . (143) كذلك ١٦٥ .

(144) الانساب للسمعاني ٣٦٣ .

بني علي وشباب من بني راسب »[١٤٥] ويقول خليفة ان قريباً وزحافاً أتوا بني ضبيعة وهم في مسجدهم ، ثم أتوا مسجد بني قطيعة ، ثم مضوا حتى دخلوا مسجد المعاول فقتلوا من فيه ثم مضوا حتى خرجوا الى رحبة علي .. عند جفرة السعديين ثم مضوا الى مقبرة بني يشكر[١٤٦] .

وذكر ابن دريد ان بني علي بن سود لهم خطة بالبصرة وحوض ، وان من بني علي مسلم بن محمد صاحب حوض بني علي بالبصرة[١٤٧] .

ان النصوص التي ذكرناها اعلاه تظهر ان بني راسب كانت لهم خطط قريبة من خطط العتيك . وراسب هي احدى قبائل الازد[١٤٨] .

يذكر الطبري ان ابراهيم بن عبدالله عندما قدم البصرة لاعلان الثورة على أبي جعفر المنصور نزل في بني راسب ، وفي الخبر الذي رواه الطبري عن ذلك معلومات توضح موقع خطط بني راسب ، حيث يقول « كان ابراهيم نازلا في بني راسب على عبدالرحمن بن حرب ، فخرج من داره في جماعة من اصحابه . فمروا على جفرة بني عقيل حتى خرجوا الطفاوة ، ثم مروا على دار كرزم ونافع ابليس حتى دخلوا دار ابي مروان في مقبرة بني يشكر »[١٤٩] ويدل هذا النص على ان خطط بني راسب كانت قريبة من خطط أهل العالية ، وان اقرب العشائر اليهم بنو عقيل ثم الطفاوة التي تفصلهم عن مقبرة بني يشكر .

ومن عشائر العتيك التناعم ، وكانت لهم في البصرة خطة[١٥٠] .

يذكر البلاذري ان الحمام الثالث الذي اتخذ في البصرة هو « حمام مسلم بن أبي بكرة في بلالاباد وهو الذي صار لعمرو بن مسلم الباهلي »[١٥١]

---

(١٤٥) الطبري ٢/٩١ تاريخ خليفة ٢٠٩ .
(١٤٦) تاريخ خليفة ٢٠٧ .
(١٤٧) الاشتقاق ٤٨٤ ، ٤٨٥ .
(١٤٨) الاشتقاق ٥٤٥ .
(١٤٩) الطبري ٢٩٠/٣ .
(١٥٠) الاشتقاق ١٢٨ .
(١٥١) فتوح البلدان ٣٥٢ .

ويبدو ان بلال اباذ منسوبة الى بلال بن ابي بردة الاشعري ، ومن المحتمل انها كانت في هذه المنطقة التي أصبحت فيها احدى الكتلتين الرئيستين في البصرة ، وهم البلالية والسعدية [١٥٢] .

ومن قبائل الازد اليحمد ، ومن عشائرهم بنو كلب « منهم بنو غراب لهم خطة بالبصرة[١٥٣] » ومن اليحمد الحرقة ويذكر ياقوت ان جابر بن زيد اليحمدي الازدي كان ينزل البصرة في الازد في موضع يقال له درب الجوف[١٥٤] ومن قبائلهم هناءة الذين كان من رجالهم « عقبة بن سلم صاحب دار عقبة بالبصرة[١٥٥] ولعل هذا القصر كان في خطط هناءة ، ومن الهناءة بنو قرهود ، والفقي ، ولقيط ، والحارث ، ومنهم كعب بن سور[١٥٦] .

ومن عشائرهم العوذ ، وقد ذكر ابن سعد من رجالهم في البصرة الحسين ابن أبي جعفر الجفري[١٥٧] .

ومن الازد في البصرة الجهاضم ، وكان لرجالهم دور في حوادث البصرة في زمن خلافة علي ، وبعد موت يزيد ، وكان منهم مسعود رئيس الازد آنذاك . ويذكر الطبري ان زيادا لجأ الى الجهاضم عندما حاول ابن الحضرمي أخذ البصرة[١٥٨] ويقول السمعاني ان جهضم محلة بالبصرة[١٥٩] .

ومن الجهاضم بنو حديد ، ومن رجالهم مسعود ، ويقول ياقوت ان « خطة بني جديد بالبصرة بجانب ربيعة »[١٦٠] .

ومنهم أيضا القراديس ، وقد ذكر ياقوت دربا سمي بها في البصرة[١٦١] .

ومنهم بنو شريك الذين يذكر ابن دريد ان لهم خطة بالبصرة [١٦٢] .

---

(١٥٢) الطبري .
(١٥٣) الاشتقاق ٥٠٧ .
(١٥٤) ياقوت ٢٤٣/٣ .
(١٥٥) الاشتقاق ٤٩٨ .
(١٥٦) الاشتقاق ٥٠٠ .
(١٥٧) ابن سعد ٧ ــ ٤١/٢ .
(١٥٨) الطبري ٤٤٢/٢ .
(١٥٩) الانساب للسمعاني ١٤٥ .
(١٦٠) ياقوت ٤٢/٢ .
(١٦١) كذلك ٤٦/٤ .
(١٦٢) الاشتقاق ٥٠١ ، ٢٩٤ ؛ الانساب للسمعاني ٣٣٤ أ .

ومن عشائرهم زهران ، وقد ذكر الطبري خطتهم في البصرة ابان هجوم صاحب الزنج[١٦٣] ، وقد ذكروا في العهود العباسية الاولى ولم يذكروا قبل ذلك [١٦٤] ومن زهران الفراهيد [١٦٥].

ومن عشائرهم العوقة ، ويذكر ياقوت ان العوق « موضع بالبصرة سمي بالقبيلة» [١٦٦] ويذكر خليفة ان بلال بن الحارث «داره حضرة العوقة بين مقبرة بني يشكر والعوقة»[١٦٧] .

ومن عشائرهم المعاول وكان لهم مسجد في البصرة[١٦٨] .

غير ان ابرز عشائرهم هي القسامل ، ولهم خطة قديمة ، فقد ذكر ابن سعد ان حرمي بن حفص كان ينزل القسامل [١٦٩] .

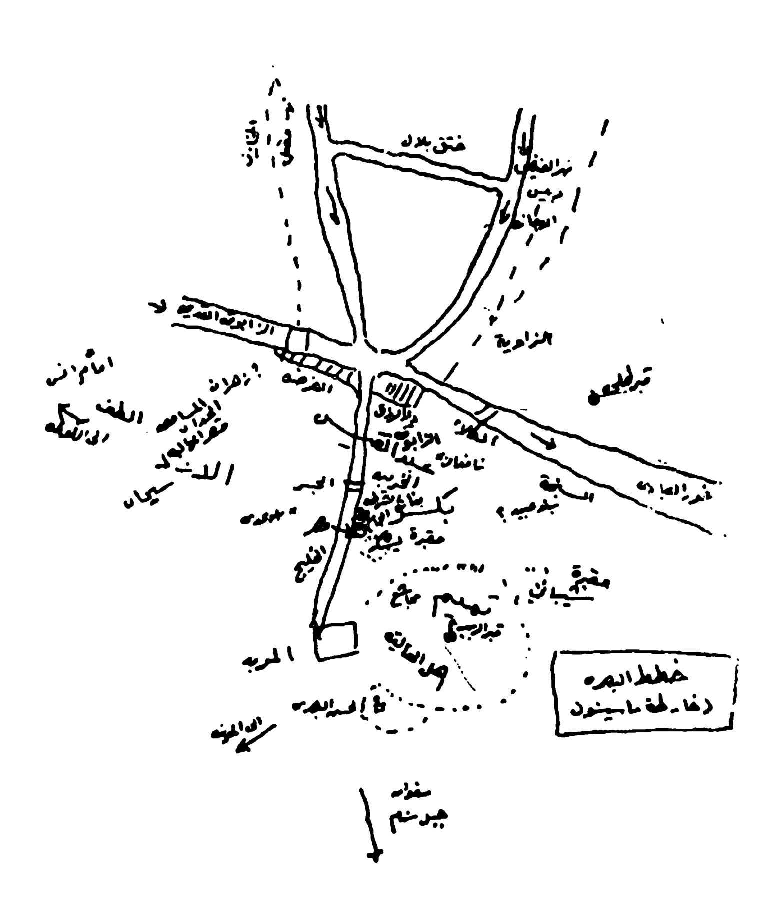
وذكر ابن الجوزي ان احمد بن محمد بن الحسن .. يعرف بابن الصواف ، ولد سنة ٤٠٠ وكان ينزل القسامل احدى محال البصرة[١٧٠] ، ويذكر نص مقحم على كتاب ابن حوقل يرجع الى سنة ٥٣٧ انالبصرة «طمست محالها فلم يبق بها الا محال معلومة كالنحاسين وقساميل وهذيل ..»[١٧١] ، ويقول السمعاني « قسامل من العتيك بالبصرة دخلتها وبت بها »[١٧٢] .

ويذكر ايضا ان محلة القسامل اعمر محلة بالبصرة [١٧٣] ، وذكر من أهلها أبا العز القساملي الذي كان والده امام جامع البصرة[١٧٤] .

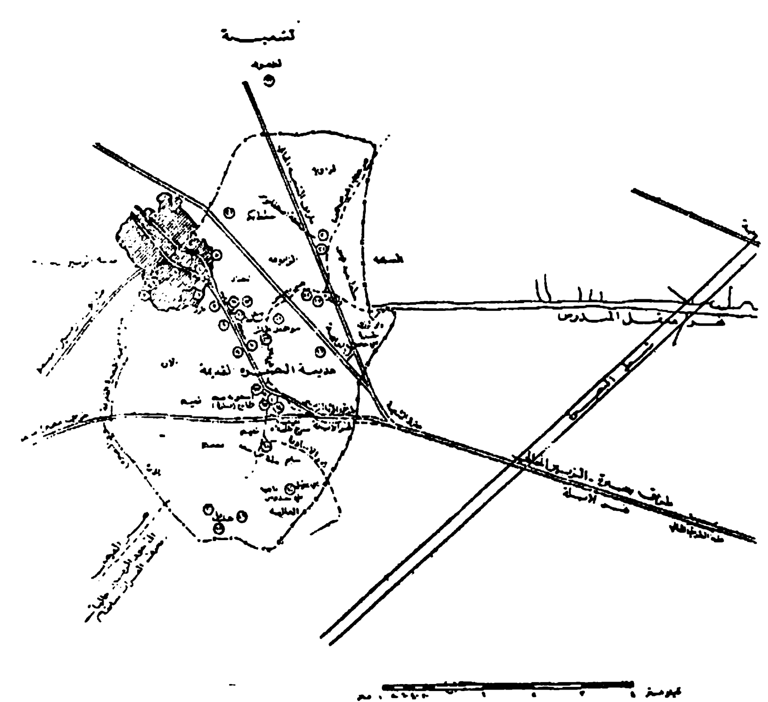
ويقول ياقوت «قسامل هي الان عامرة اهلة بين عظم البلد وشاطىء دجلة»[١٧٥] .

---

(١٦٣) الطبري ١٨٥٣/٣ .
(١٦٤) الطبري ١١١٠/٢ .
(١٦٥) المعارف ٥٣ ؛ الانساب للسمعاني ٤٢١ .
(١٦٦) ياقوت ٧٤٦/٣ .
(١٦٧) الطبقات لخليفة ١٦٧/[illegible] .
(١٦٨) التاريخ لخليفة ١٣٠ .
(١٦٩) ابن سعد ٧ ـ ١٨/٢
(١٧٠) المنتظم ١٠٣/٩ .
(١٧١) ابن حوقل ٦٤ .
(١٧٢) الانساب للسمعاني ٤٥٢ .
(١٧٣) التحبير ٦٢/٢ .
(١٧٤) التحبير ٣٤٧/١ .
(١٧٥) ياقوت ٩٣/٤ .



خطط البصرة
(خارطة ماسينون)
الزاوية
الخليج
المربد
سفوان
جبل سنام



١ سوق الدباغين
٢ قصر زرنب
٣ الجبان (المقبرة الزينبية)
٤ قصر عيسى بن سليمان
٥ قصر حمزة بن المغيرة بن المهلب
٦ دار بني بشير
٧ مسجد بني قيس
٨ دار عثمان الثقفي
٩ سوق البزازين
١٠ باب عثمان
١١ سكة بني عامر
١٢ دار عمر بن حبيب
١٣ دار العشار

١٤ الدهناء
١٥ دار الامارة
١٦ دار نافع بن عبد الله بن ابي بكرة
عبد الله بن ابي بكرة
طارق بن ابي بكرة
ربيعة بن كلدة
عمرو بن وهب
المغيرة بن شعبة
ام يعقوب الخطاب
زياد بن عثمان بن ابي العاص
١٧ دار الاحنف بن قيس
١٨ دار خيل مولى زياد
١٩ حرة انس - قصر انس بن مالك

٢٠ القصر الابيض لعبيد الله بن زياد
٢١ قصر المسيرين
٢٢ باب عبد الله الاصبهاني
٢٣ دار مالك بن مسمع
٢٤ دار بشار بن برد
٢٥ قصر الزين
٢٦ قصر عيسى بن جعفر
٢٧ دار الزبير
٢٨ دار المهلب
٢٩ مسجد ابي بكر الهذلي
٣٠ دار عمرو بن عثمان الطائب
٣١ قصر اوس

الفصل السابع

المعالم العمرانية في الأطراف الغربيـة

تقع البصرة في منطقة ارضها مستوية قليلة التضاريس متصلة بالصحراء، وقد ذكرت في اطرافها الغربية المنجشانية ، وهي «منزل ذو ماء لمن خرج من البصرة يريد مكة ، وهي حد بين العرب والعجم بظاهر البصرة قبل ان تخط البصرة ، وبها منظرة مثل العذيب [١] وكانت قبل الاسلام لقيس بن مسعود الشيباني [٢] ، ويذكر ابن رسته انه «من البصرة الى المنجشانية ثمانية اميال، ثم الى المقير ستة عشر»[٣] ، اما ياقوت فيذكر ان «المنجشانية على ستة اميال من البصرة ، وفوق ذلك روضة الخيل»[٤] ، ويبدو ان عدم تردد ذكرها في الاخبار يدل على تناقص أهميتها بعد الاسلام .

لاريب في ان ابرز معلم طوبوغرافي في المنطقة هو جبل سنام الذي لايزال محتفظا باسمه القديم ، وهو يقع في جنوبي البصرة على طريق اليمامة[٥] ويراه البصريون من سطوح دورهم[٦] ، وقد نسجت حوله اسطورة خروج الدجال منه[٧] لعل هذه الاسطورة هي صدى للاخطار التي هددت البصرة من ناحيته ، وبقرب سنام مكان يدعى الدو[٨] ، وماء يدعى شقر[٩] والنقار[١٠] .

---

(١) ياقوت ٤ .
(٢) الاشتقاق ٢٣٩ ، البكري ٥٤١ ، ياقوت ٢/٨٤١ فتوح البلدان ١٤٦ .
(٣) الاعلاق النفسية ١٨٠ وانظر ابن خرداذبه ١٤٦ .
(٤) ياقوت ٢/٨٤١ ، ٤/٦٥٨ .
(٥) ياقوت ١/٧٨٩ .
(٦) ياقوت ٣/١٥٥ .
(٧) البكري ٧٥٨ ياقوت ٣/١٥٥ .
(٨) الاغاني ١٩/١٦٨ .
(٩) ياقوت ٣/٣٠٨ .
(١٠) البكري ٢٦٣ .

وفي شمالي سنام من ناحية البصرة يقع سفوان ، فيه ماء كدر سساف مخلوط بالرمال[11] ، وقد تردد ذكره في الشعر وكتب الادب ، ويذكر البكري انه يبعد عن البصرة أربعة أميال[12] ، ولاريب في ان هذا التقدير غير صحيح .

وبقرب سفوان تقع الشباك ، وهي على اميال من البصرة في طريق الحاج، بين انقاء الطوى والاحواض[13] وفيها آبار كثيرة[14] ولعلهـا هي شـبكة المحضر اذ ان البكري يذكر «وكان يقال للشبكة التي بجنب النحيت شبكة المحضر[15] ، وقد ذكرها أبو نواس في بعض أشعاره حيث قال :

حـي الديـار اذ الزمـان زمـان
واذ الشبـاك لنـا حـرى ومعـان

ياحبـذا سـفوان مـن متربـع
اذ كان مجتمع اللوى سفوان[16]

ويذكر خليفة بن خياط ان زيـاداً « حفر نهر الاسـاورة حتى يـلغ الشباك »[16أ] .

وبعد الشباك يقع النحيت وفيه بعض الآبار[17] ويتلو ذلك من نـاحية البصرة وادي العقيق الذي كان يعتبر من الاماكن النزهة ، وكان الماء يجري فيه أحيانا ، وقد يصل حد تهديد بيوت البصرة ، ويذكر البلاذري انه في زمن ولاية سليمان بن علي البصرة في خلافة ابي العباس السـفاح «جرى وادي العقيق بالبصرة فأخرب دورا من دور العتيك ، فدفع (سـليمان بن علي) الى

---

(11) البكري ٧٤٠ ، ٧٥٨ ياقوت ٩٨/٣ .
(12) ياقوت ٩٣/٣ .
(13) البكري ٧٧٦ .
(14) الاصمعي في الجمهرة ٢٩٣/١ الصحاح للجوهري ١٣٧ .
(15) البكري ١٢٢٨ .
(16) ياقوت ٢٤٨/٣ .
(16أ) تاريخ خليفة ١٤٢ .
(17) طبقات الشعراء لابن سلام ٢٣ البكري ٧٧٧ ، ١٢٢٨ .

جرير بن خازم مائة ألف درهم ، فعمر ما خرب من دورهم»[18] ولعل الغرق الذي ذكر أبي الحديد تعرض البصرة له ، قد جاء من هذه الناحية ، حيث قال «فقد رأيت من يذكر ان كتب الملاحم تدل على ان البصرة تهلك بالماء الاسود ينفجر من أرضها فتغرق ويبقى مسجدها . والصحيح ان المخبر به قد وقع ، فان البصرة غرقت مرتين : مرة في أيام القادر بالله ، ومرة في أيام القائم بأمر الله ، غرقت بأجمعها ولم يبق منها الا مسجدها الجامع بارزا بعضه كجؤجؤ الطائر، حسب ما اخبر به أمير المؤمنين عليه السلام ، جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف الآن بجزيرة الفرس ، ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام ، وخربت دورها ، وغرق كل ما في ضمنها ، وهلك كثير من أهلها ، وأخبار هذين الغرقين معروفة عند أهل البصرة ، يتناقله خلفهم عن سلفهم»[19] .

وفي شمالي العقيق يقع الحزيز الذي يذكر البكري انه بين العقيق واعلى المربد[20] ويقول ابن شميل «واذا جلست في بطن المربد فما اشرف من اعلاه فهو حزيز »[21] وتربة الحزيز رخوة كثيرة الحجارة والحصى الصلب[22] وقد عرف بطيب لياليه ورقة نسيمها [23] وقد بنى فيه الحجاج قصره الفخم واتخذه مقرا له بدل دار الامارة الحمراء التي جددها عبيدالله بن زياد[24] ويروى ابن فضل الله العمري ان هذا القصر كان في الاصل قصرا لقباذ[25] ولعله يقصد

(١٨) انساب الاشراف ٣/٩٠ .
(١٩) شرح نهج البلاغة ١/٨٤ وانظر ايضا ١/٨٩ (طبعة بيروت) وتدل هذه المعلومات على ان العقيق والشباك والاماكن المذكورة بقربه كلها (المنطقة المسماة اليوم خور الزبير) .
(٢٠) البكري ٢٥٤ ، ٣٨٢ ، ٤٤٥ . وذكر ابن دريد في مقصورته :
سال العقيق فالحزيز فالملا   الى النحيت فالقريات الدنى
(٢١) لسان العرب ٧/٢٠٠ .
(٢٢) جمهرة اللغة ١/٢٥٩ ؛ لسان العرب ٧/٢٠٠ .
(٢٣) عيون الاخبار ١/٣٠٨ .
(٢٤) الاغاني ٨/٦٧ ؛ وانظر طبقات فحول الشعراء ٤٠٦ .
(٢٥) مسالك الابصار ١/٧٦ .

ان هذا القصر شيد على انقاض قصر قديم يرجع الى العهد الساساني .

وبالقرب من الحزيز كانت المحدثة التي يتردد ذكرها في أخبار أوائل العصر العباسي[٣٦] حيث نزلها ابو جعفر المنصور ثم هارون الرشيد[٣٧] غير اني لم أجد في الكتب مايشير الى زمن «حدوثها» ، أو فيما اذا كانت قصرا أو ضاحية .

وعند الحزيز كانت الجبانة[٣٨] وهي في الطرف الجنوبي الغربي من المربد[٣٩] والجبان هو المقبرة الرئيسة في البصرة وقد دفن فيها سلم بن زياد[٣٠] ، ودفن بقربه مالك بن مسمع عند دار عيسى بن سليمان . وكانت القبور في الجبان بسيطة ، ليست عليها قباب او بنايات فخمة تميزها ، لان الابنية الضخمة على القبور لم تكن مستحبة في الاسلام ، بل حتى الساسانيين كانوا يعتبرون بناء القباب على الاضرحة امتيازا خاصا للنبلاء ومقصورا عليهم[٣١] ، وقد دفن بشر بن مروان والي البصرة قرب قبر سلم بن زياد[٣٢] ، بقرب قبر زنجي ثم اختلط على الناس القبران فيما بعد فلم يستطيعوا التمييز بينهما[٣٣] ويلاحظ ان البصرة كانت تختلف عن الكوفة من حيث ان الاخيرة كانت لكل قبيلة فيها مقبرة خاصة بها بالقرب من خططها ، وكانت هذه المقابر تقوم بدور هام في الحياة السياسية ، حيث كانت القبائل تتخذها مراكز للتجمع عندما تريد التمرد والثورة ، اما البصرة فكانت فيها مقبرة عامة واسعة وفيها ايضا عدد من المقابر الصغرى المسماة باسماء أشخاص كمقبرة حصن وهي

---

(٢٦) الطبري ٣/٦٤٦ ، الاغاني ١٨/١٣٠ ، ١٢/٦١ .
(٢٧) الطبري ٣/٦٤٦ ، ثمار القلوب ٥١٢ .
(٢٨) البيان والتبيين ٢/١٠٢ .
(٢٩) الطبري ٢/٤٥١ ، انساب الاشراف ٥/١٧٨ .
(٣٠) انساب الاشراف ٤ - ٢/١٦٥ .
(٣١) الحيوان ١/٣٦ .
(٣٢) انساب الاشراف ٥/١٧٨ .
(٣٣) البيان والتبيين ٢/٣٦ ، تهذيب ابن عساكر ٣/٢٥٢ .

منسوبة الى عبدالله بن حصن[٣٤] وكانت عند الزابوقة[٣٥] ومقبرة شيبان المنسوبة الى شيبان بن عبد شمس (من بني سعد)[٣٦] •

وكان لبعض القبائل مقابر خاصة بها ، ومن ذلك مقبرة بني هلال[٣٦أ] ومقبرة بني يشكر[٣٧] ، ومقبرة بني سهم بالقرب من خطة باهلة[٣٨] كما ذكرت مقابر بني تميم التي دفن فيها[٣٩] الفرزدق ، ومقبرة بني مازن التي مر بها جيش عائشة عند تقدمه في موقعة الجمل من المربد الى الزابوقة ، حيث يذكر الطبري انه بعد ان تلاقى أتباع عائشة مع مؤيدي الامام علي في المربد «فأمرت عائشة أصحابها ، فتيامنوا حتى انتهوا الى مقبرة بني مازن•• فساروا من مقبرة بني مازن فاخذوا على مسناة البصرة من قبل الجبانة حتى انتهوا الى الزابوقة، ثم أتوا مقبرة بني حصن وهي منتحية الى دار الرزق »[٤٠] ، ولابد ان يكون موقع المسناة المذكورة في هذا النص في جنوبي البصرة ، ولعلها مسناة الوحش التي كانت عند دير جابيل • أما دار الرزق فسنتحدث عنها بتفصيل أوسع فيما بعد •

يقول الطبري انه في سنة ١٤٢ «بنى المنصور لاهل البصرة قبلتهم التي يصلّون اليها في عيدهم بالحمّان ، وولى بناءه سلمة بن سعيد بن جابر ، وهو يومئذ على الفرات والابلة »[٤١] غير ان ابن الجوزي أورد الشطر الاول من هذا النص ، ولكنه ذكر ان مصلى العيد كان «في الجبان» بدل «بني حمان»[٤٢] ولعل ماجاء في ابن الجوزي أدق ، لان مصلى العيد كان يقام عادة في أماكن بعيدة عن الازدحام •

---

(٣٤) الاشتقاق ٣٢٥ انساب الاشراف ٤ ــ ٢/١٨٨ •
(٣٥) الطبري ١/٣١٢٢ •
(٣٦) الاشتقاق ٢٥٣ •
(٣٦أ) الطبقات لخليفة بن خياط ١٨٣ •
(٣٧) طبقات خليفة ١٨٢ •
(٣٨) ابن سعد ٧ ــ ٢/٣٦ •
(٣٩) الاغاني ١٩/٤٦ •
(٤٠) الطبري ١/٣١٢٢ •
(٤١) الطبري ٣/١٤٠ •
(٤٢) المنتظم (مخطوط) ٨/١٥ •

وعند الجبان شيد عيسى بن سليمان قصره ، وبتربه دفن مالك بن سمع[43] .

المربد :

ذكرنا من قبل ان الحزيز بين العقيق واعلى المربد ، وقول ابن شميل «اذا جلست في بطن المربد فما أشرف من اعلاه فهو حزيز»[44] فموقع المربد هو في شمالي الحزيز.

يقع المربد في الاطراف الغربية من البصرة ، وارضه من الكذّان أي الحجارة الكلسية البيضاء الرخوة[45] وقد مر به المسلمون عند نزولهم البصرة لاول مرة[46] .

ونظرا لوقوع المربد عن مدخل البصرة الغربي من جهة الصحراء فقد صار فيه سوق لمنتوجات أهل الصحراء ، وخاصة الابل ، وقد رددت الاخبار ذكر سوق الابل في المربد[47] ثم أصبح سوقه من أجل أسواق البصرة[48] .

وكان المربد موئلا للبدو الوافدين على البصرة ، ومكانا يلتقي فيه الشعراء والادباء واللغويون الذين يعنون باللغة العربية الفصحى الخالصة[49] وكان للمربد دور كبير في الحياة الثقافية في البصرة ، فضلا عن انه كان فيه مجتمع الناس في الاحداث السياسية المهمة ، حيث يجتمعون ويناقشون الامور العامة

---

(٤٣) انساب الاشراف ٤ ـ ١٦٥/٢ . (٤٤) لسان العرب ٢٠٠/٧ .

(٤٥) الطبري ٣٧٩/١ ، المعارف لابن قتيبة ٢٤٦ ، جمهرة اللغة ٢٥٩/١ ، لسان العرب ١٣٣/٥ ، ٢٢٨/١٧ .

(٤٦) الطبري ٣٧٩/١ .

(٤٧) الطبري ٤٣٧/٢ ، ٢٢/٣ الكامل للمبرد ٢٨١ ، ٦٠٣ اساس البلاغة ٣١٤ ، لسان العرب ١٥١/٤ ، وعن علاقة المربد بالبدو وشعرائهم الذين يؤمون البصرة انظر : طبقات فحول الشعراء ٤٧ ، ١٦٢ ، ١٨٠ ، ٣٧٦ ، ٤٠٧ .

(٤٨) ياقوت ٤٨٣/٤ عن ابي قاسم الحميري .

(٤٩) البيان والتبيين ١٨٧/١ ، ١٣٢/٢ ، الاغاني ١٦٩/٢٠ ، ياقوت ٤٨٤/٤ .

كالذي فعلوه عندما قدمت عائشة البصرة[٥٠] وعندما توترت العلاقة بين تميم والازد وبكر عقب وفاة يزيد بن معاوية[٥١] .

ولما ثار عبدالرحمن بن الاشعث وتقدم بجيشه الى البصرة ، وكان عسكر الحجاج في الزاوية نصح عباد بن الحصين بن الاشعث ان يخندق على المربد وما يليه حتى اذا ما تقدم جيش الحجاج من الزاوية يكون متعبا[٥٢] .

وعسكرت فيه بنو تميم استعدادا لمقاومة يزيد بن المهلب عندما ثار على الامويين[٥٣] وتدل هذه الحوادث ان المربد كان في القرن الاول الهجري ساحة كبيرة تتسع لعدد عظيم من الناس ، ويصلح ان يكون ميدان قتال بين جيوش كثيرة العدد .

غير ان عددا من المباني شيدت فيه ، وخاصة في أطرافه الشرقية ، فمنذ زمن خلافة عثمان بن عفان على الأقل كان فيه للدباغين موضع يقع على يمين (جنوب) سكة المربد[٥٤] التي كانت تصله بالمسجد الجامع ، كما كان عنده أيضا قصر زربي الذي وصف بان منظره الخارجي كالح وداخله زهرة[٥٥] ، وكان في أعلاه (شماليه) قصر ضمرة بن المغيرة بن المهلب[٥٦] .

ويبدو ان العمران بدأ يزحف على المربد تدريجيا ، فقد ذكرت المصادر عددا من قصور رجالات في البصرة عند المربد منذ أوائل العصر العباسي ، ومن هذه القصور دار ابن مصاد التي أخذها جعفر بن سليمان واعاد تشيدها قصرا

---

(٥٠) الطبري ٣١١٨/١ ، التاريخ لخليفة ١٦٠ ، انساب الاشراف ٢٢٦/٢ .
(٥١) الطبري ٤٥٠/٢ ، انساب الاشراف ٢ ــ ١١٠/١ ، الاغاني ٣٠/٢١ .
(٥٢) انساب الاشراف ٣٤٥ طبعة اهلورت ٨٧٥/٦ مخطوطة المغرب .
(٥٣) الطبري ١٣٨٣/٢ ، الكامل للمبرد ٦١ ، ٨١ ، ابن الاثير ٧٢/٥ .
(٥٤) الطبري ٣١٢٠/١ تاريخ خليفة ١٦١ .
(٥٥) عيون الاخبار ٤٦/٢ .
(٥٦) المحاسن والمساوىء ٣١٧ .

له [٥٧] وكانت خلفه دار عمرو بن العلاء[٥٨] وفيه أيضا قصر اسحاق بن سليمان[٥٩] ، وفيه ايضا دار سليمان بن علي[٦٠] .

وفي حضرة المربد تقع دار الحكم بن الحارث[٦١] ثم اصبح المربد محلة نسب اليها عدد من رجال الفكر والعلم ذكر بعضهم السمعاني[٦٢] .

وعند المربد تقع جفرة خالد ، وكانت في أوائل بناء البصرة تدعى جفرة نافع ، وهي كما يدل اسمها منخفض من الارض ، عسكر فيها خالد بن اسيد في ثورته على انصار الامويين في أوائل خلافة عبدالملك ، ثم نشب قتال انكسر فيه[٦٣] .

وفي طرف المربد كان مسجد الانصار ، وقد نزل فيه ابراهيم بن عبدالله[٦٤] عندما اعلن الثورة على ابي جعفر المنصور ، ثم عسكر في مسجد الحرورية وعند مسجد الانصار كان شمس الوزانين[٦٥] التي كانت عندها دار سليط بن سليط (من بني عامر بن لؤي) ، وكانت تعرف بدار سليمان ابن ثوابة [٦٦] .

وفي المربد كان للتبانين موضع خاص بنى عنده عمرو بن فصيل (من بني قيس بن ثعلبة) دارا صارت فيما بعد لبني المنجم[٦٧] .

وفي المربد بنى محمد بن سليمان حوضه المشهور[٦٨] وكان الماء يؤتى

(٥٧) النقائض ٤٢ ، وانظر عن قصر جعفر عيون الاخبار ٢١٧/١ ، لطائف المعارف ١٦٧ ، الحيوان للجاحظ ٢٤/٦ ، البلدان للجاحظ ٣٩٨ .
(٥٨) البيان والتبيين ٣٢١/١ .
(٥٩) الطبري ٣٧٩/٣ ، مقاتل الطالبيين ٣٣١ .
(٦٠) مقاتل الطالبيين ٣٧٧ . (٦١) طبقات خليفة ١٨١ .
(٦٢) الانساب ٥٢٠ ، وانظر ياقوت ٤٨٤/٤ .
(٦٣) الطبري ٧٩٩/٢ ، ٨١٧ ، انساب الاشراف ٤ ـ ١٦/٢ ، ياقوت ٩٢/٢ ـ ٣ ، تهذيب ابن عساكر ٦٤/٥ .
(٦٤) انساب الاشراف ٢ ـ ١٢٤/٢ ، العيون والحدائق ٥٦ .
(٦٥) الاغاني ١٨/١٧ . (٦٦) طبقات خليفة ١٧٤ .
(٦٧) طبقات خليفة ٦٤ . (٦٨) فتوح البلدان ٣٦٣ .

اليه بقنوات من رصاص مسافة فرسخ وقد ظلت حتى سنة ٤٨٣ حيث خربت ، وعن ذلك يقول ابن الجوزي «وخربت وقوف البصرة التي وقفت على الدواليب التي تدور وتحمل الماء فتطرحه في قناة الرصاص الجارية الى المصانع التي أماكنها على فرسخ من الماء • وحكى طالوت بن عباد انه رأى محمد بن سليمان أمير البصرة في المنام ، فقال ما فعل الله بك ، فقال غفر لي ، ولولا حوضي في المربد لهلكت • وكان محمد قد ابتدأ بهذا المصنع عند خروجه الى مكة وعاد الى البصرةفاستقبل بمائه فشربه وصلى على جانبه ركعتين شكرا لله تعالى على تمام هذه المصلحة ، فعمل مصنعا ووقف عليه وقوفا »(٦٩) •

وبالقرب من المربد انشئت المدرسة النظامية ، حيث يذكر ابن الاثير ان صدقة نهب البصرة سنة ٤٩٩ «ولم يسلم منهم الا المحلة المجاورة لقبر طلحة والمربد ، فان العباسيين دخلوا المدرسة النظامية وامتنعوا بها وحموا المربد(٧٠) » •

تعرض المربد لبعض النكبات ، فلما تقدم أبو طاهر الجنّابي الى البصرة أحرق المربد (٧١) •

ومن أبرز المعالم الاثرية عند المربد هي قبور انس بن مالك والحسن البصري وابن سيرين والزبير التي لاتزال معالمها قائمة •

يذكر البستي ان « محمد بن سيرين قبره بازاء قبر الحسن البصري ، مشهور يزار وقد زرتهما غير مرة»(٧٢) ويقول الاصطخري «وخارج المربد في البادية قبر انس بن مالك والحسن البصري وابن سيرين والمشاهير من علماء البصرة»(٧٣) •

لم أجد في الكتب اشارة الى المحلة التي دفن فيها انس والحسن البصري

---

(٦٩) المنتظم ٥٣/٩ .　　(٧٠) ابن الاثير ٤٠٤/١٠ .
(٧١) مسكويه ١٠٥/١ ، تكملة الطبري ٤٠ ، المنتظم ١٧٣/٦ .
(٧٢) مشاهير علماء الانصار للبستي ٨٨
(٧٣) المسالك ٨٠ ــ ١ .

وابن سيرين سوى ان ابن سعد يروى عن بكار بن محمد انه قال « ادركت مسجد محمد بن سيرين ومسجد انس ومسجد حفصة بالعرانيس المعراة في دار ابن سيرين لايدخلها صبي[٧٤] ولم اجد في المصادر اشارة الى الخطة التي كانت فيها العرانيس المعراة ، علما بان النص قد يوحي بان ابن سيرين وأنساً دفنا في مسجديهما بالعرانيس •

اما الزبير فقد قتل بوادي السباع ودفن هناك[٧٥] ، ويذكر ابن الجوزي في سنة ٣٨٦ « ان أهل البصرة من شهر المحرم ادعوا انهم كشفوا عن قبر عتيق فوجدوا فيه ميتا طريا بثيابه وسيفه ، وانه الزبير بن العوام ، فأخرجوه وكفنوه ودفنوه بالمربد بين الدربين ، وبنى عليه الاثير ابو المسك عنبر بناءا ، وجعل الموضع مسجدا ، ونقلت اليه القناديل والالات والحصر والسمادات ، واقيم فيه قوام وحفظة ووقف عليه وقوفا[٧٦] » ولعل القبر العتيق كان في وادي السباع ، والمهم انه نقل الى المربد وظل مكانه معروفا حتى اليوم • والواقع ان الهروى يذكر ان «قبر الزبير بن العوام بالمربد»[٧٧] •

ورد في تعليق على كتاب ابن حوقل ان البصرة «طمست محالها فلم يبق بها الا محال معلومة ، كالنحاسين وقساميل وهذيل والمربد وقبر طلحة» وكان القاضي قد سور على مابقى سورا بينه وبين السور القديم دون نصف فرسخ[٧٨] •

ويذكر ياقوت ان المربد «هو الان بائنة عن البصرة بينهما نحو ثلاثة أميال ، وكان مابين ذلك كله عامرا ، وهو الان خراب ، فصار المربد كالبلدة المفردة في وسط البرية »[٧٩] •

---

(٧٤) ابن سعد ٧ ـ ١٤٨/١ .

(٧٥) ابن سعد ٣/٦٠ ، ٧٨ ، انساب الاشراف ٢٥٤/٢ ، ٢٥٨ ، المعارف ٩٧ ، مروج الذهب ٣٦٥/٢ ، سير اعلام النبلاء ٦٤/١ .

(٧٦) المنتظم ١٨٧/٧ .

(٧٧) الاشارات الى معالم الزيارات ٣٢

(٧٨) صورة الارض ٦٤ .

(٧٩) ياقوت ٤٨٤/٤ .

وقال ابن بطوطة عند كلامه عن مشاهير البصرة « ومنها مشهد الزبير ابن العوام .. وهو بخارج البصرة ولاقبة عليه ، وله مسجد وزاوية فيها الطعام لابناء السبيل ... وعلى ستة اميال منها بقرب وادي السباع قبر انس ابن مالك خادم رسول الله (ص) ولا سبيل لزيارته الا في جمع كثيف لكثرة السباع وعدم العمران . ومنها قبر الحسن بن ابي الحسن البصري سيد التابعين (رض) ومنها قبر محمد بن سيرين .. وذلك كله داخل السور القديم ، وهي اليوم بينها وبين البلد نحو ثلاثة أميال »[٨٠] .

سكة المربد :

تتشعب من المربد شوارع أهمها سكة المربد التي تمتد بينه وبين الجامع. ويدل تردد ذكرها على انها كانت في القرون الاولى أهم سكك البصرة ، وكانت فيما يبدو واسعة عريضة تيسر مرور الخيل والابل فيها ، ولابد ان عرضها لم يكن أقل من خمسين ذراعا ، وهو عرض السكك الواسعة في الكوفة[٨١].

وقد حاول زياد ان يحدد البناء في سكة المربد فكان «يبعث الى سكة المربد فيمسحها فان زيد فيها بناء أمر بهدمه[٨٢] » غير ان تقييداته لم تدم .

وفي سكة المربد بيوت عدد من رجالات البصرة ، ففي مدخلها تتفرع سكة الدباغين ، وعندها يقع قصر زربي مولى عبدالله بن عامر والقيم على دوابه[٨٣] ، وكان مكان هذا القصر في الاصل اصطبلا[٨٤] ثم صار لمسلم بن عمر بن الحصين بن قتيبة ، ثم اقتسمه أولاد مسلم . وقد ذكره مسكين الدارمي في شعره فقال :

---

(٨٠) رحلة ابن بطوطة ١/١١٥ ـ ١١٧ .
(٨١) البلدان لليعقوبي ٣١٠ وانظر الطبري ٢/٤٥٢ .
(٨٢) انساب الاشراف ٤ ـ ٢/١٩٣ .
(٨٣) فتوح البلدان ٣٥٥ ـ ٦ ، تاريخ خليفة ١٦٠ .
(٨٤) ياقوت ٤/١١١ ـ ٢ .

أقمت بقصر زربي زمانا
ومربده فدار بني بشير
لعمرك ما الكناسة لي بام
ولا بأب فاكرم من كبير[٨٥]

وهذا الشعر قد يدل على ان قصر زربي كان بقربه مربد للجمال وكذلك دار بني بشير الذين لانعلم عنهم شيئا . ويذكر ابن قتيبة ان هذا القصر كان خارجه كالح وداخله زاهر[٨٦] ويقع هذا القصر عند الدباغين[٨٧] .

وفي سكة المربد كان مسجد بني قيس[٨٨] ، وبقربه دار عفان القيسي التي آلت في أواخر القرن الثاني الى ميّة زوجة معاوية الثقفي[٨٩] ، ويقول ابو نعيم الاصبهاني انه في هذا الشارع دفن عائذ المزني عند المنارة[٩٠] ، غير ان ابا نعيم لم يحدد المنارة التي أشار اليها ، حيث ان المصادر ذكرت عدة منائر في البصرة ومنها منارة المسجد الجامع[٩١] ، ومنارة بني اسيد[٩٢] .

وفي سكة المربد الدار التي صارت لعمر بن حبيب والتي تتفرع بقربها سكة تأخذ لبني عامر[٩٣] .

وفي هذه السكة دار عبدالله بن عون بن ارطبان[٩٤] ويذكر ابن سعد ان دارا أخرى لابن عون في العطارين .

وفي هذه السكة ايضا دار العقار[٩٥] ، ولعل هذه هي دار تسنيم بن الحواري ، اذ ان ابن دريد يقول ان غضبان بن العقار كانت له دار تسنيم الحواري [٩٦] .

---

(٨٥) ياقوت ٤/١١١ .
(٨٦) عيون الاخبار ٢/٤٦ .
(٨٧) تاريخ خليفة ١٦٢ .
(٨٨) الطبري ٢/٤٥١ .
(٨٩) النقائض ٧٣١ .
(٩٠) اخبار اصبهان ١/٦٥ .
(٩١) فتوح البلدان ٣٤٨ .
(٩٢) فتوح البلدان ٣٥٥ .
(٩٣) الطبري ٣/٢٢ .
(٩٤) ابن سعد ٧ ـ ٢/٢٧ ، ٣٠ .
(٩٥) النقائض ١١٥ .
(٩٦) الاشتقاق ٢٠٩ .

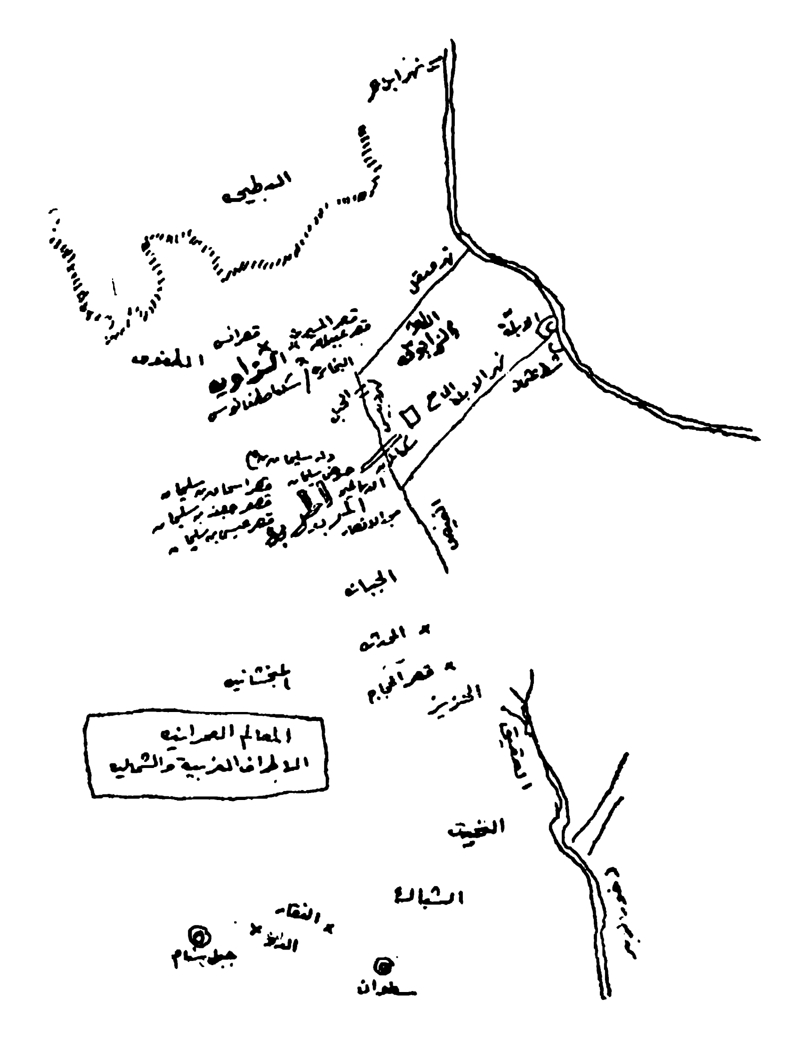
وفي سكة المربد دار فليحة ، وكانت في الاصل لمحجن بن الاذرع وفي قبلة هذه الدار كانت دار صفوان بن المعطل السلمي[٩٧] .

وفي هذه السكة ايضا مسجد للحرورية [٩٨] وفيها دفن جد التنوخي[٩٩] وقد ذكرنا من قبل ان ابراهيم بن عبدالله عسكر عنده بعد ان انتقل من مسجد الانصار .

وأبرز ما في سكة المربد هو باب عثمان الذي ينسب الى عثمان بن ابي العاص الثقفي[١٠٠] وقد صار هذا الباب الذي نستطيع تحديد موقعه من السكة ، يطلق على الرقعة التي حوله فكان كالمحلة ، وبقربه سوق البزازين ، وهي سوق مشهورة[١٠١] . وقد عين زياد على باب عثمان شيبان والي الشرطة، وأوكل اليه مطاردة الخوارج[١٠٢] ، وكانت عنده مربعة باب عثمان[١٠٣] .



(٩٧) تاريخ خليفة ١٨١ .
(٩٨) طبقات خليفة ٤٤٩ .
(٩٩) الخطيب ٧٩/١٢ .
(١٠٠) فتوح البلدان ٣٤٦ .
(١٠١) النقائض ٩٠٨ ، احسن التقاسيم ١١٧ .
(١٠٢) الكامل للمبرد ، وانظر عن موقعه في سكة المربد الطبري ١٨٥٣/٣ .
(١٠٣) اسماء المغتالين من الشعراء : نوادر المطبوعات ٥٢ .


الزاوية
الحربية
المعالم العمرانية
الأطراف الغربية والشمالية

الفصل الثامن

المعالم العمرانية في الاطراف الشمالية

كانت أطراف العمران في شمالي البصرة الطفوف وعندها يقع قصر أنس[١] ، وقد نسب هذا القصر الى صاحبه انس بن مالك الصحابي الذي استوطن البصرة منذ بداية تأسيسها وكان من أبرز رجالها ، والراجح ان موقع قصره كان في المكان الذي يدعى اليوم خربة أنس ، وكان يبعد عن البلد فرسخين[٢] . وهذا القصر أشبه بالضيعة ، فقد كانت تحيطه المزارع والبساتين[٣] ، وبقربه نهر عدي[٤] وكانت منطقته نزهة وصفها الشعراء ، فقال فيه الخليل بن احمد :

زر وادي القصر نعم القصر والوادي	لابد من زورة في غير ميعاد
ترى به السفن كالطلحان واقفة	والضب والنون والملاح والهادي[٥]

كان قصر أنس يقع في الزاوية[٦] التي كان بها عند مجيء المسلمين

---

(١) ابن سعد ٧ ـ ١١/١ ، البكري ٨٩١ ؛ وانظر فتوح البلدان ٣٥٤ ، ثمار القلوب ٧٩ ابن الفقيه ١٢٠ .

(٢) الطبقات لخليفة ٩١ تهذيب ابن عساكر ١٤١/٢ ، البخاري : كتاب الصلاة ، باب من اين تؤتي الجمعة ، البكري ٨٩٢ ، رحلة ابن بطوطة ١١٧/١ .

(٣) الحيوان للجاحظ ٣٠/٦ ، ثمار القلوب للثعالبي ٤١٨ .

(٤) الطبري ١٨٤٩/٣ .

(٥) عيون الاخبار ٢٠٧/١ ، الحيوان للجاحظ ٣٠/٦ ، ويذكر الاصبهاني الاغاني ١٥/١٨ ، وياقوت (١٨/٤أ) ان البيتين قيلا في قصر عيسى بالخريبة .

(٦) ياقوت ٩١١/٢ ، البكري ٨٩١ ، فتح الباري ٢٦٢/٢ .

دسكرة[٧] ، ولعل المقصود بها أبنية قديمة وقد عسكر فيها الامام علي أول قدومه البصرة[٨] وقد اتخذها الحجاج مقرا له عند مقاتلته عبدالرحمن بن الاشعث[٩] ، ويقول خليفة ان وقعة الجبل كانت بالزاوية ناحية الطف[١٠] .

ويذكر ابن سعد ان المطر انقطع مرة فكادت مزرعة أنس تموت جفافا ، فدعا أنس فسقطت الامطار ، وكان سقوطها « لم يجاوز قصر المسيرين ولا قصر الفيضان[١١] » .

تقع بين الزاوية والمسجد الجامع أرض عبدالله بن عثمان الثقفي اشتراها منه عبيدالله بن زياد[١٢] وبنى عليها قصره الابيض[١٣] الذي صرف عليه فيما يقال مليون درهم ، وزخرفه بأنواع النقوش والزخارف[١٤] ، ويقع هذا القصر في النصف بين الزاوية والفرضة[١٥] .

يقول البلاذري ان « قصر المسيرين كان لعبدالرحمن بن زياد ، وكان الحجاج سيّر عيال من خرج مع عبدالرحمن بن الاشعث الكندي اليه فحبسهم فيه ، وهو قصر في جوف قصر ، ويتلوه قصر عبيدالله بن زياد والي جانبه جوسق »[١٦] ، فاذا كان المقصود بقصر عبيدالله بن زياد هذا القصر ، فيكون بقربه الجوسق وقصر المسيرين .

يقول الهمداني « وبنى عبيدالله بن زياد داره بها (البصرة) وفيها باب

---

(٧) فتوح البلدان ٣٤٢٥ . (٨) تاريخ خليفة ١٦٥ .

(٩) الطبري ١٠٦٤/٢ ، تاريخ خليفة ٢٨١ تاريخ اليعقوبي ٣٣٢/٢ ، انساب الاشراف ٣٤٠ ، طبع اهلورت ، ياقوت ٩١١/٢ ، ابن الاثير ٤٦٥/٤ ، ٤٦٩ .

(١٠) تاريخ خليفة ١٠٢ . (١١) ابن سعد ٧ ـ ١٣/١ .

(١٢) الطبري ٤٥٧/٢ .

(١٣) الطبري ٢١٧٥/١ ، انساب الاشراف ٤ ـ ١٠٩/٢ ، الاغاني ١٩١/١٧ .

(١٤) الحيوان ٤٧٣/٥ ، البيان والتبيين ١٩٣/٣ ، ياقوت ٧٩٢/١ .

(١٥) التاريخ لخليفة ١٦٥ . (١٦) فتوح البلدان ٣٥٥ .

السكة التي تنفذ الى سكة اصطفانوس ، وباب آخر الى السكة التي تعرف بالبخارية »[١٧] ، ويظهر من هذا النص انه كان بقرب هـذا القصر سـكتا اصطفانوس والبخارية ، والراجح انهما كانتا في جنوبي القصر ، ومما يدل على ان هاتين السكتين متقاربتان قول خليفة بن خياط ان جارية بن قدامة السعدي له دار « في معترض بين سكة اصطفانوس وسكة البخارية »[١٨] .

والبخارية هم اتراك أسرهم عبيدالله بن زياد عندما غزا ما وراء النهر ، ونقلهم الى البصرة ، فأوطنهم فيها ، وكان عددهم يبلغ حوالي ألفين وقد جعلهم في العطاء ، وشاركوا في بعض الحروب[١٩] ومن المعقول ان يسكنهم عبيدالله ابن زياد بالقرب من قصره للافادة منهم في حمايته . وان اسكانهم في هذه المنطقة يدل على انها كانت عند اسكانهم أرضا فضاء .

اما سكة اصطفانوس فقد نسبت الى رجل كان يعمل في الديوان في زمن ولاية زيـاد[٢٠] في هذه السـكة بيـوت عـدد من رجـالات البـصرة الاولين ومنهم أبو بكرة[٢١] وأنس بن مالك[٢٢] وعمران بن الحصـين[٢٣] وأبو القين الاسلمي[٢٤] وخالد بن عبدالله الاسلمي[٢٥] وجارية بن قدامـة السعدي[٢٦] .

ويذكر الجاحظ « ولم أجد أهل سكة اصطفانوس ودار جارية ، وباعة مربعة بني منقر يشكون ان كلبا كان في أعلى السكة ، وكان لا يجوز محرس

---

(١٧) البلدان لابن الفقيه ١٩١ ، ياقوت ٥٢٢/١ .
(١٨) الطبقات لخليفة .
(١٩) انظر كتابي « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة » ٨٦ ـ ٨٧.
(٢٠) يـاقوت ٤٧٧/١ . (٢١) الطبقات لخليفة ٥٣ .
(٢٢) كذلك ٩١ . (٢٣) كذلك ١٠٦ .
(٢٤) كذلك ١٠٩ ؛ اخبار القضاة ٢٩٢/١ .
(٢٥) كذلك ١٨٤ .
(٢٦) كذلك ٤٤ وانظر ياقوت ٢٧٧/١ ، ٣٠٠ .

الحارس أيام الاسبوع ، حتى اذا كان يوم الجمعة أقبل قبل صلاة الغداة من موضعه ذلك الى باب جارية ، ولايزال هنالك مادام على معلاق الجزار شيء من اللحم ، وباب جارية تنحر الجزور في جميع أيام الجمع خاصة »[٢٧] .

ويظهر من هذا النص انه بالقرب من سكة اصطفانوس كانت مربعة بني منقر ، وهم من تميم .

الخريبة

الخريبة من معالم البصرة التي تردد ذكرها في الاخبار ، واسمها يوحي بأنه كان فيها بناء أو ابنية مخربة . وينقل ياقوت عن الزجاجي ان « الخريبة سميت كذلك لان المرزبان كان قد ابتنى به قصرا وخرب بعده ، فلما نزل المسلمون البصرة ابتنوا عنده أبنية وسموها الخريبة[٢٨] » ، وينقل ياقوت عن حمزة الاصبهاني بأن « البصرة بنيت سنة ١٤ على طرف البر الى جانب مدينة عتيقة من مدن الفرس كانت تسمى وهشتاباد اردشير ، فخربها المثنى بن حارثة الشيباني بشن الغارات عليها ، فلما قدم العرب سموها الخريبة »[٢٩] وقول حمزة غير صحيح في تفاصيله ، لان المثنى لم يعرف عنه انه قام بأية حركات في منطقة البصرة ، كما انّ وهشتاباد اردشير هي على الارجح فرات البصرة التي تقع على الضفة الشرقية من دجلة البصرة ، وكانت مركزا اداريا في العصر الساساني والاسلامي ، الا ان هذا النص يدل على وجود خربة أو بقايا أبنية في هذه المنطقة . ويقول المدائني انه كان في الخريبة دسكرتان من الدساكر السبعة التي وجدها العرب في تلك المنطقة[٣٠] .

يذكر البلاذري ان الخريبة كانت مسلحة للاعاجم ففتحها خالد بن الوليد

---

(٢٧) الحيوان ٢/٤٣ .
(٢٨) البكري ٤٩٥ ، ياقوت ٢/٤٢٩ .
(٢٩) ياقوت ٢/٣٢٦ .
(٣٠) ابن سعد ٧ ـ ١/٤ ، فتوح البلدان ٣٤٠ ، الطبري ١/٢٣٧٨ .

فخلت منهم « وان عتبة عندما قدم منطقة البصرة « فرق أصحابه فيها ونزل هو بالخريبة .. وكتب عتبة الى عمر يعلمه نزوله وأصحابه بحيث نزلوا فكتب اليه يأمره بان ينزلهم موضعا قريبا من الماء والرعى ، فأقبل الى موضع البصرة »[٣١] ، أي ان الخريبة كانت اول مكان اتخذه عتبة مقرا له قبل انتقاله الى موقع المسجد الجامع ، وقد يدل توزع القوات العربية على ان الخريبة تقع في غربي البصرة وراء مواقع بقية المقاتلة .

ينقل ياقوت رواية العمراني عن الزمخشري قوله « خزينة موضع بالبصرة تسمى بصيرة الصغرى » ثم يستدرك ياقوت على ذلك فيقول بأن « هذا وهم لا ريب فيه لان الموقع معروف الى الان بالبصرة بالراء المهملة[٣٢] ، ويذكر البكري ان « الخريبة في البصرة »[٣٣] وينقل ابن منظور « وقيل خريبة موضع بالبصرة يسمى بصيرة الصغرى »[٣٤] ، وقد ورد ذكر البصيرة في احدى خطب الامام علي حيث ذمهم بقوله « يا اهل البصرة والبصيرة »[٣٥] وهذا يدل على ان البصيرة قديمة ، وانها مكان معين بارز ، والراجح ان موقعها في منطقة الخريبة ، وانها تبعد عن قلب البصرة مسافة تكفي لتبرير انفرادها وتميزها عنها .

يروى ان زيادا عندما قدم البصرة وعمل على استتباب الامن فيها أمر بمنع التجول ليلا ، فكان يؤخر صلاة العشاء « فاذا فرغ امهل بقدر ما يرى ان انسانا بلغ الخريبة ثم يأمر صاحب الشرطة بالخروج ، فيخرج ولا يرى انسانا الا قتله »[٣٦] ويدل هذا النص على تطرف موقعها من البصرة ، أي انها كانت في أقصى العمران من البصرة .

---

(٣١) فتوح البلدان ٣٤٠ ، الطبري ٢٣٨٤ .

(٣٢) ياقوت ٤٢٩/٢ . (٣٣) البكري ٤٩٥ .

(٣٤) لسان العرب ٣٣٨/١ . (٣٥) وانظر ابن حنبل ٤٠/٥ .

(٣٦) انساب الاشراف ٤ ـ ١٨١/١ ، الطبري ٧٦/٢ .

(٣٧) الحيوان ٩٢/٢ .

ويذكر الجاحظ « قد تنبح الكلاب في الخريبة وكلاب بني سعد غير نابحة »[٣٧] وهذا يدل على ان الخريبة كانت في جهة بني سعد أي في الجانب الشمالي الغربي من البصرة .

يذكر الطبري ان عائشة عندما جاءت البصرة نزلت مع من معها الخريبة[٣٨] ورد في عدد من النصوص ان الخريبة كان فيها القتال في معركة الجمل فينقل سيف بن عمر كتابا للامام علي ذكر فيه « من عبدالله امير المؤمنين : اما بعد فلما التقينا في النصف من جمادى الآخر بالخريبة فناء من افنية البصرة »[٣٩] ، ويقول اليعقوبي « وكانت وقعة الجمل بموضع يقال له الخريبة »[٤٠] ويقول البلاذري ان وقعة الجمل كان بالخريبة[٤١] وينقل ياقوت بيتا من الشعر :

اني أدين بما دان الوصي به   يوم الخريبة من قتل المحلينا[٤٢]

وتقضي صحة هذه الروايات ان يكون في الخريبة فضاء كبير يتسع لنشوب معركة كبيرة ، ويجدر ان نلاحظ ان روايات اخرى تذكر ان معركة الجمل نشبت قرب الحدان ، وعند الزابوقة ودار الرزق وقصر عبيدالله بن زياد .

وفي الخريبة اتخذ ابراهيم بن عبدالله مقره الاخير بعد ان استولى على البصرة ، ثم رحل منه متوجها الى الكوفة[٤٣] ولابد ان اختياره الخريبة مقرا له راجع الى وجود فضاء يتسع جنده الذين انضموا الى ديوانه .

وعندما تقدم صاحب الزنج لدخول البصرة وزع خيالته للهجوم عليها من ثلاثة أوجه ناحية بني سعد ، والمربد ، والخريبة[٤٤] وهذا النص قد يدل على

---

(٣٨) الطبري ٣١٧٠/١ .
(٣٩) الطبري ٣٢٢٨/١ .
(٤٠) التاريخ ٢١٠/٢ .
(٤١) ياقوت ٢٤٥/٢ .
(٤٢) ياقوت ٤٢٦/٢ .
(٤٣) الطبري ٣١٠/٣ ، العيون والحدائق ٢٥١ .
(٤٤) الطبري ١٨٥٢/٣ .

ان موقع المربد كان متوسطا ، وان الخريبة كانت اما في جنوبيه أو شماليه ، وهي على أي حال في الطرف الثاني من بني سعد ، وانها كانت في الجهة الغربية من المدينة ، وتدل المعلومات الاخرى المتوفرة من المصادر انها كانت في شمالي المربـد .

وفي سنة ٥٨٨ حاصر بنو عامر البصرة ، فقاتلهم أميرها فيمن معه من الجند « فوقعت الحرب بينهم بدرب الميدان بالخريبة »[٤٥] .

ان عسكرة الجيوش في الخريبة تدل على وجود ارض فضاء فيها ، غير انه ينبغي ان نشير الى وجود عدد من المنشآت والخطط في الخريبة ، فقد نقل البلاذري عن « القحذمي وغيره : كان اول حمام اتخذ بالبصرة حمام عبدالله بن عثمان بن ابي العاص الثقفي ، وهو موضع بستان سفيان بن معاوية الذي بالخريبة[٤٦] ولاريب في ان اتخاذ الحمام يدل على وجود ارض فضاء فيها ، لان زيادا منع انشاء الحمامات الا في الاماكن التي لا تضر الناس[٤٧] غير انها تتطلب أيضا موقعا غير بعيد من مساكن الناس ليتيسر لهم المجيء اليها ، فلابد ان الخريبة لم تكن بعيدة عن منازل الناس .

ويذكر ابن سعد ان بني زياد كانت لهم في البصرة اربع خطط منها واحدة في الخريبة[٤٨] .

ويبدو ان كثيرا من سكانها في القرون الاولى لم يكونوا من الاغنياء ، فيروي هشام ابن الكلبي ان زيادا أراد ان يختبر مدى نجاح تدابيره الامنية فبعث « بقطيفة منسوجة بذهب ، فالقيت بالخريبة ، فمكثت ليالي واياما ما يمسها أحد »[٤٩] وكان سليمان بن علي والي البصرة يتصدق على فقراء الخريبة بأموال كثيرة[٥٠] .

---

(٤٥) ابن الاثير ١٢/٣٤ . (٤٦) فتوح البلدان ٣٥٣ .
(٤٧) انساب الاشراف ٤ ــ ١/١٩٣ . (٤٨) ابن سعد ٧ ــ ٢/١٠ .
(٤٩) انساب الاشراف ٤ ــ ١/١٧٢ . (٥٠) انساب الاشراف ٣/٩٠ .

ذكرنا من قبل ان عثمان بن أبي العاص بنى في الخريبة أول حمام بالبصرة ويذكر البلاذري ان هذا الحمام في مكان بستان سفيان بن معاوية[٥١] ويظهر من هذا النص ان الحمام قد ترك فيما بعد ، وان سفيان بن معاوية والي المنصور على البصرة انشأ فيه بستانا ، ولابد ان يكون هذا البستان قد انشيء في ولايته أي في أوائل خلافة المنصور •

ويقول البلاذري ان بستان سفيان بن معاوية كان بالقرب من قصر عيسى ابن جعفر ، الذي ولي البصرة في زمن خلافة المنصور • وهذا القصر أقام فيه الرشيد سنة ١٨٠ هـ عندما مر بالبصرة في طريق عودته من مكة[٥٢] وقد أشاد بعض الشعراء بجمال هذا القصر[٥٣] وظل القصر قائما حتى زمن ثورة صاحب الزنـج[٥٤] •

وقد ظلت الخريبة معمورة ، ونسب اليها عدد من العلماء ومنهم عبدالله ابن داوود الهمداني (ت ٢١١)[٥٥] ، وكانت للخليل بن احمد في الخريبة بستان ورثها عن ابيه[٥٦] •



(٥١) فتوح البلدان ٣٥٣ .
(٥٢) الطبري ٣/٦٤٦ ؛ وانظر : نور القبس ٧٠ ، ١٦١ .
(٥٣) الاغـاني ١٨/١٥ ، ياقوت ٤/١١٨ .
(٥٤) الطبري ٣/١٨٤٩ .
(٥٥) المعارف ٢٢٧ وانظر الانساب للسمعاني مادة « خريبة » .
(٥٦) نور القبس ٥٦ .

الفصل التاسع

معــالم عمرانيــة عــامة

الســوق

ذكرت المصادر التي فيها معلومات عن أحوال البصرة في القرن الاول الهجري « السوق » في البصرة بأل التعريف وبصيغة المفرد[1] ، مما يدل على انه كان في البصرة في الازمنة الاولى سوق واحدة رئيسة .

وذكرت المصادر عددا من الدور التي كانت في السوق وممن ذكرتهم في السوق دار كل من عبدالله بن عون بن ارطبان[2] وسمرة بن جندب[3] ، وربيعة بن مغيرة[4] ، وأبي عبدة[5] ، وكانت دارهما « حضرة السوق » .

وذكر المدائني ان زياد بن ابي سفيان في زمن ولايته البصرة « كان الجعد النحري على السوق » وكان « يأتيه عماله على دار الرزق والكلاء والسوق »[6] . وذكر وكيع ان اياس بن معاوية قاضي البصرة في أواخر العهد الاموي كان يقول « سوق البصرة وهي مثل مسجد الجامع من سبق في مكان فهو أحق ما جلس عليه ، فاذا قام آخر فجلس عليه فهو أحق به »[7] ان هذا النص يظهر ان هذا السوق كان مجرد ساحة خالية من الابنية ، وليست فيه محلات مثبته للبائعين ، وانه لم يقتصر على بيع سلعة مفردة ، وانما كانت تباع فيه مختلف السلع . أما والي السوق فكان فيما يظهر ينظر في الخلافـات

---

(١) انظر ابن سعد ٧ ـ ٢/١٥ ، ٢٩ ؛ ٤٦ وانظر ادناه .

(٢) ابن سعد ٧ ـ ٢/٢٦ ، ٣٠ .

(٣) الاشتقاق ٢٨٢ .

(٤) الطبقات لخليفة ٥٧ .

(٥) الطبقات لخليفة ٥٣ .

(٦) انساب الاشراف ٤ ـ ٢/١٨٦ .

(٧) اخبار القضاة ١/٣٢٩ .

والمشاكل التي قد تنجم من البيع ، بما في ذلك اختلاف المكاييل والمقاييس والاختلافات التي تظهر في البيوع والاجارات واعمال السوق .

ان وجود السوق عند المسجد الجامع أمر طبيعي بالنظر لاهميته العامة وموقعه المركزي ، ولعله كان عند باب الاصبهاني ، غير انه من المؤكد لم يكن في الرحبة لان المصادر لم تشر الى موقعه فيها ، ولعله كان في الجهات الشرقية أو الشمالية الشرقية فيقول ابن قتيبة ان عبدالله بن عامر احتفر في البصرة نهرين احدهما في السوق والاخر يعرف بام عبدالله[٨] . ومع ان المصادر لم تذكر مأخذ هذا النهر أو تحدد موقعه الا ان الراجح انه كان يأخذ من الأبلة ، لان نهر معقل لم يكن قد حفر آنذاك .

يقول البلاذري « واحتفر بلال نهر بلال وجعل على جنبيه حوانيت ونقل اليها السوق ، وجعل ذلك ليزيد بن خالد القسري »[٩] ومعنى هذا ان هذا السوق حل محل السوق الاول الذي عند المسجد الجامع ، وان كان من المحتمل أيضا ان السوق الاول بقي ولكن قلت اهميته .

ويلاحظ ان اسواقا مماثلة شيدت في زمن الخليفة هشام بن عبدالملك في كل من الكوفة[١٠] ، والفسطاط[١١] ، والمدينة وجعلت فيها حوانيت . واورد السمهودي تفاصيل عن سوق هشام الذي شيده في المدينة ، واستياء أهل المدينة من تشييده ثم هدمهم له بعد وفاة هشام[١٢] ، ولعل كل الاسواق الاخرى ، ومنها سوق البصرة شيدت على نفس الطراز ، ويدل بناء الحوانيت فيها على احتمال جباية الضرائب عليها باعتبارها « غلة » او اجارة لهذه الحوانيت ، كالذي حدث في اسواق الكرخ في زمن خلافة المهدي[١٣] ، غير

---

(٨) المعارف لابن قتيبة ١٤٠ . ويذكر البلاذري ان زيادا سقف السوق (انساب ١٥١/٣) ، ولعله يقصد هذا السوق .
(٩) فتوح البلدان ٣٦٣ . (١٠) فتوح البلدان ٢٨٥ .
(١١) فتوح مصر لابن عبدالحكم ١٣٦ . (١٢) وفاء الوفا ٥٤١/١ — ٥٤٤ .
(١٣) الطبري ٣٢٣/٣ ؛ الخطيب ٨٠/١ .

ان المصادر لم تشر الى ذلك ٠

لم تذكر المصادر موقع نهر بلال والسوق الذي عليه من البصرة علما بأن بلالا قام بعدة أعمال عمرانية في البصرة فيذكر البلاذري « وكان بلال بن أبي بردة الذي فتق نهر معقل في فيض البصرة وكان قبل ذلك مكسورا يفيض الى القبة التي كان زياد يعرض فيها الجند »[١٤] ، كما يذكر « بلالان لبلال بن أبي بردة »[١٥] كما يذكر ان الحمام الثالث الذي اتخذ بالبصرة هو « حمام مسلم بن أبي بكرة في بلال اباد »[١٦] غير ان المصادر لم تذكر العلاقة المكانية بين هذه الانهار ٠

يذكر عريب ان الحسن بن خليل بن ريسان امير البصرة من قبل شفيع « احرق السوق حول الجامع[١٧] » ، وليس من الواضح هل انه احرق سوق بلال ام كان في البصرة في ذلك الزمن عدة اسواق ، منها السوق الذي حول الجامع ٠

وقد ذكر عدد من الاسواق المختصة في الازمنة الاولى دون ان يحدد موقعها ، فمما ذكر « العطارون » كانت فيها دار لعون بن خلف[١٨] ومر بها دينار السجستاني مولى آل المهلب ابان ثورتهم[١٩] ٠ ويذكر الجاحظ انها قرب نهر الجوبار[٢٠] ٠

ويذكر البلاذري ان مولى لفاختة بنت قرظة سأل « أن يكتب له معاوية كتابا منشورا له سوق الطعام بالبصرة فلا يبيع فيها أحد »[٢١] ، غير انه لم يحدد موقع هذا السوق الذي نرجح انه عند الكلاء ٠

ويروي مؤلف تاريخ الخلفاء ان بلال بن أبي بردة « بنى سوقاً وقال انه

---

(١٤) فتوح البلدان ٣٦٣ وانظر ياقوت ٤/٨٣٥ ٠
(١٥) فتوح البلدان ٣٦٤ ٠
(١٦) فتوح البلدان ٣٥٢ ٠
(١٧) تكملة الطبري ٣٥ ٠
(١٨) ابن سعد ٧ ــ ٢/٣٠ ٠
(١٩) العيون والحدائق ٢٠٧ ٠
(٢٠) الحيوان ٣/١٢٦ ٠
(٢١) انساب الاشراف ٤ ــ ٢/٢٠٧ ٠

اسكنها الفساق وباعة النبيذ في موضع سوق الغنم ، ثم نقل باعة الغنم الى الرحبة التي للقصابين[٢٢] وقد ذكرت رحبة القصابين في حوادث ثورة آل المهلب حيث انهزم أصحاب عدي اليها •

وذكر مؤلف العيون والحدائق سوق الزيادي التي يباع فيها الغلالة[٢٣]•

ولا يصح في بحث الاسواق ان نغفل المربد والكلاء وما كان في كل منهما من بيوعات لمنتوجات الصحراء في المربد والطعام وما يتصل به في الكلاء • وقد أشرنا الى ما كان في كل منهما من اسواق عند الكلام عن المعالم العمرانية في كل منهما • كما انه يجدر التنويه بالدور الخاصة التي كان بعضها اشبه بالخانات وكانت مراكز للبيع أيضا •

وفي أواخر القرن الرابع الهجري اشارت المصادر الى وجود ثلاث اسواق كبيرة فيها ، فيذكر المقدسي « أسواقها ثلاث : سوق الكلاء على النهر ، وسوق الكبير ، وباب الجامع » وذكر أيضا ان بالبصرة « ثلاثة جوامع : أحدها في الاسواق بهي جليل عامر آهل ليس بالعراق مثله على اساطين مبيضة وجامع آخر على باب البادية ، وهو كان القديم ، وآخر على طرف البلد »[٢٤] ومن الواضح ان في نص المقدسي اضطرابا اذ انه عند كلامه عن الاسواق يميز بين السوق الكبير والسوق الذي عند باب الجامع ، وفي كلامه عن الجوامع يذكر ان احدها في « الاسواق » وغير واضح أيا من هذه الاسواق يقصد •

ويذكر ناصري خسرو الذي زار البصرة سنة ٤٤٣ هـ •

« وينصب السوق في البصرة في ثلاث جهات كل يوم ، ففي الصباح يجري التبادل في سوق خزاعة ، وفي الظهر في سوق عثمان ، وفي المغرب في سوق القداحين ، والعمل في السوق هكذا : كل من معه مال يعطيه للصراف ويأخذ منه صكا ثم يشتري كل ما يلزمه ، ويحول الثمن على الصراف فلا

---

(٢٢) تاريخ الخلفاء ٢١٥ ب •
(٢٣) العيون والحدائق ٢٠٧ •
(٢٤) احسن التقاسيم ١١٧ •

يستخدم المشتري شيئا غير صك الصراف »[٢٦] • وواضح من هذا النص ان ناصرى خسرو عني بوصف نشاط عمل السوق ، اما ذكره مواقع هـذا النشاط في خزاعة ، و (باب ؟) عثمان ، والقداحين فلم يرفقه توضيح لمواقع هذه الاماكن ، ولا ذكر لتخصص هذه الاسواق ، أو فعالياتها في غير المواعيد التي يقوم فيها النشاط •

الحمامات

يذكر ابن سعد ان اقامة الحمامات بالبصرة واتخاذ الآبار بالبادية لم يكن مسموحا به الا باذن من الخليفة[٢٧] ويقول المدائني ان الحمامات لم تكن تبنى في البصرة الا بأذن الولاة »[٢٨] ، ولعل روايتي ابن سعد والمدائني متكاملتان من حيث ان بناء الحمامات كان يتطلب اذنا من الخليفة ومن الولاة • غير انه يلاحظ ان كلا الروايتين تنص صراحة على ان هذا كان محصورا في البصرة ، ولا نعلم فيما اذا كان ذلك عاما في بقية ارجاء الدولة • كما اننا لا نعلم فيما اذا كان ذلك راجع لاسباب اقتصادية أو صحية ، أو انه نتيجة متابعة تقاليد قديمة •

ولاريب في ان بناء الحمامات له تأثيره على الصحة العامة لما يتطلبه الحمام من مواد للاحراق وما تفرزه من مياه قذرة مما يؤثر في الاحوال الصحية للمنطقة ، ويذكر البلاذري « كان زياد يمنع الحمامات الا في الاماكن التي لا تضر بأحد »[٢٩] •

يروي البلاذري عن القحذمي وغيره « كان اول حمام اتخذ بالبصرة حمام عبدالله بن عثمان بن ابي العاص الثقفي ، وهو موضع بستان سفيان بن معاوية الذي بالخريبة وعند قصر عيسى بن جعفر »[٣٠] •

---

(٢٦) رحلة ناصري خسرو ١٤٦ • (٢٧) ابن سعد ٧ ــ ٢/١٠ •
(٢٨) فتوح البلدان ٣٥٣ ؛ انساب الاشراف ٥٠٢/١ •
(٢٩) انساب الاشراف ٤ ــ ١ •
(٣٠) فتوح البلدان ٣٥٢ ، ابن الفقيه ١٨٩ •

يذكر البلاذري اتخذ مسلم بن ابي بكرة حماما ولم يكن بالبصرة غيره ، فكان يستغله في كل جمعة الف درهم وكرى حنطة »[31] ولكنه ذكر في مكان آخر ان الحمام الثالث الذي بني في البصرة هو « حمام مسلم بن أبي بكرة في بلالاباذ ، وهو الذي صار لعمرو بن مسلم الباهلي »[32] .

أما الحمام الآخر الذي انشىء في البصرة فهو في احدى الروايات الذي بناه سياه الاسواري [33] وفي رواية اخرى حمام فيل مولى زياد [34] .

ثم تتابع انشاء الحمامات فبنى المنجاب بن راشد الضبي حماما باسمه ، وريطة زوجة زياد حماما باسمها[35] .

وتلا ذلك بناء عدة حمامات ذكر منها حمام لعبيدالله بن أبي بكرة ، والحكم بن أبي العاصي ، والحصين بن أبي الحر العنبري ، ولبابة بنت اوفى الجرشي التي اذن لها في بناء حمامين احدهما في اصحاب القباء والاخر في بني سعد[36] .

وبنى أيضا بلج بن كثبة التميمي السعدي حماما[37] وأشار بشار الى حمام في بني يشكر[38] .

واذن سليمان بن عبدالملك لتوبة الشاعر ان يبني حماما « فاتخذ حماما الى جانب منزله في بني عنبر الرابية »[39] .

---

(31) انساب الاشراف ١/٥٠٢ ، ابن الفقيه ١٨٩ .
(32) فتوح البلدان ٣٥٤ . (33) انساب الاشراف ١/٥٠٢ .
(34) فتوح البلدان ٣٥٢ ، الحيوان للجاحظ ١٩٠/٧ .
(35) انساب الاشراف ١/٥٠٢ ، ابن الفقيه ١٨٩ .
(36) فتوح البلدان ٣٥٣ .
(37) فتوح البلدان ٣٥٤ ، ياقوت ٢٦٢/٢ ، الاشتقاق ٢٦٠ ، وصاحب هذا الحمام هو بلج بن شيبان الذي كان يخلف صاحب حرس زياد ، انساب الاشراف ٤ — ١/ ١٧٨ .
(38) ديوان بشار بن برد ١٢٥/١ . (39) ابن سعد ٧ — ١٠/٢ .

ومن حمامات البصرة المذكورة حمام منجاب[٤٠] وحمام افراذادين في قنطرة قرة[٤١] .

كانت الحمامات تدر أرباحا كبيرة ، فيروي البلاذري ان حمام مسلم كانت تدر في كل يوم ألف درهم وطعاما كثيراً[٤٢] وفي رواية اخرى انها تدر عليه « في كل جمعة ألف درهم وكرى حنطة »[٤٣] .

ان النصوص التي صيغت بفعل الماضي من اذن الخليفة أو السلطان ببناء الحمامات تدل على ان ذلك كان في زمن الامويين ، وانه لم يستمر في العصر العباسي ، غير انه لا توجد معلومات عن الحمامات في العصر العباسي .

سور البصرة

كان الغرض من تشييد البصرة ان تكون قاعدة للمقاتلة الذين يقومون بالفتوح ، ليستقروا فيها مع عيالاتهم بعد أوبتهم من ميادين القتال ، أي انه لم يكن الغرض من انشائها ان تكون قلعة يتحصن فيها أهلها من الاخطار الخارجية ، لذلك لم تكن حاجة الى تسويرها ، يضاف الى ذلك انها كانت في مراحلها الاولى في طور النمو السريع الذي يصعب حصر نطاقه ، والواقع انها طوال القرنين الاول والثاني الهجريين لم تعان من حصار مضنك ، ولم تتعرض الا الى هجمات وقتية قام بها الخوارج بعد موت يزيد بن معاوية

---

(٤٠) ابن الفقيه ١٩١ ، ياقوت ٢/٣٣٠ عن المؤرخ ابن سيرين .
(٤١) العميان والبرصان للجاحظ ٢٦١ (طبعة عبدالسلام هارون) .
(٤٢) فتوح البلدان ٣٥٢ .
(٤٣) انساب الاشراف ١/٥٠٢ ؛ ويجدر ان نشير ان ابن عبدالحكم يذكر في كتابه «فتوح مصر» وهو اسم كتاب قديم من خطط الفسطاط ذكر ان في الفسطاط سبع حمامات هي حمام بسر وحمام التبن وحمام السوق ، وحمام الفار ، وحمام سهل ، وحمام أبي مرة وهي حمام الزيان بن عبدالعزيز ؛ وانظر عن الحمامات في العراق عموما ، وفي البصرة خاصة : موروني : العراق بعد الفتح الاسلامي ٢٦٨ ـ ٢٧٠ .

ودخول عبدالرحمن بن الاشعث فيها في زمن الحجاج • كل هذا ادى الى عدم ظهور حاجة ملحة لاقامة سور حولها •

غير ان الخليفة أبا جعفر المنصور بعد ان تولى الخلافة وبنى بغداد ، ارتأى تحصين البصرة والكوفة ، فاستعمل في سنة ١٥٥ على البصرة الهيثم ابن معاوية العتكي وضم اليه سعيد بن دعلج وامره ببناء سور لها يطيف بها ؛ وخندق عليها من دون السور من اموال اهلها ففعل ذلك(٤٤) ويقول خليفة « ان الهيثم بن معاوية ولي سنة ١٥٦ وأخذ أهل البصرة بالخندق(٤٥) » ؛ وقد ذكر الجاحظ الخندق وأشار الى انه بعيد عن الباطنة وعن الجبّان(٤٦) •

لم أجد اشارة الى امتداد هذا السور ونطاقه او كلفة بنائه او مدى بقائه أو الدور الذي أداه في حماية البصرة ، ويبدو انه كان سورا ضعيفا ، ومن المؤكد انه بعد قرن من بنائه زال أو ضعف لدرجة انه لم يذكر مطلقا في أحداث دخول صاحب الزنج البصرة سنة ٢٥٧ هـ •

وبالرغم من ان افتقاد البصرة لسور قوي يحميها ، يسر لصاحب الزنج دخول المدينة وما تلاه من قتل وتخريب ، الا ان الخلافة العباسية بعد قضائها على صاحب الزنج لم تدرك اهمية بناء سور للبصرة حتى سنة ٢٨٦ حيث قوي أمر أبي سعيد الجنّابي ووصوله الى القطيف فخشي ولاة الامر ببغداد من هجومه على البصرة ، فكتبوا الى والي البصرة •• « والى محمد بن هشام المتولي أعمال الصدقات والخراج والضياع بها في عمل سور على البصرة ، فقدرت النفقة على ذلك اربعة عشر ألف دينار ، فأمر بالانفاق عليه ، فبني »(٤٧) ، غير ان بناء هذا السور لم يرافقه ما يتطلب من العناية ، وخاصة في زمن وزارة علي بن عيسى حيث أخّر « اطلاق أرزاق من يحفظ السور

---

(٤٤) الطبري ٣/٢٧٤ ـ ٥ .
(٤٥) تاريخ خليفة ٤٥٦ .
(٤٦) البخلاء ٣٢ .
(٤٧) الطبري ٣/١٨٨ ، المنتظم ٦/١٨ (مخطوط) مروج الذهب ٤/٢٦٤ .

بالبصرة حتى أخلوا بمراكزهم فدخلها القرمطي وقتل اهلهـا »[٤٨] ، وعن اقتحام أبي طاهر الجنّابي القرمطي هذا السور يقول مسكويه ان ابا طاهر « وصل اليها بسلاليم نصبها بالليل على سورها ، وصعد الى أعلى السور ، ثم نزل الى البلد وقتل البوابين الذين على أبواب السور ، وفتح الابواب ، وطرح عن كل مصراعين منها حصى ورملا كان معه على الجمال لئلا يمكن اغلاق الباب عليه »[٤٩] ويظهر من هذا النص ان السور كان عاليا ، وله عدة أبواب عليها بوابون موكلون بها • وقد عنى البريدي بسور البصرة وأمر « ان يثبت لحفظ السور رجل زيادة على رسم من يحفظه ومن ينضم اليه وسائر النفقات الراتبة[٥٠] والراجح ان هذا السـور هو الذي أشـار اليه ناصري خسرو حيث قال عن البصرة التي زارها سنة ٤٤٣ هـ « للبصرة سـور عظيم يحيط بها ما عدا الجزء المطل على النهر •• وكان معظم البصرة خرابا ونحن هناك والجهات العامرة متباعدة جدا ، من واحدة لاخرى نصف فرسخ من الخراب ، ولكن بابها وسورها محكمان قويان »[٥١] •

ويبدو ان هذا السور خرب فيما بعد وجدده اسماعيل ، حيث يـذكر صاحب المناقب المزيدية ان اسماعيل استعد وبنى سور البصرة•• وعزم على الحرب ما استطاع في ظاهر مدينته ثم الاعتصام بعد ان عجز عن الحرب في قلعته ، وجعل لها بابا الى المدينة لمسـيرته وبابا الى البحر لهزيمتـه « غير ان صدقة افتتح المدينة بعون الله عنوة وثلم سـورها وهدمه وحصر الجمـع وهزمـه »[٥٢] •

وقد ورد في تعليق على كتاب ابن حوقل ان البصرة «طمست محالها فلم يبق بها الا محال معلومة كالنحاسين وقساميل وهذيل والمربد وقبر طلحة ، وقد

---

(٤٨) تجـارب الامم ١/١٠٩ •

(٤٩) تجارب الامم ١/١٠٥ تكملة الطبري ٤٠ ، الكامل لابن الاثير ٨/٤٩ (طبعة بولاق) •

(٥٠) تجـارب الامم ١/٢٢٣ •

(٥١) سفرنـامه ٩٤ ـ ٩٥ •

(٥٢) المناقب المزيدية ٢/٤٩٢ •

بقي في محلة سورت في وسط الخراب كأنه سفينة في وسط الصحراء ، وكان القاضي عبدالسلام الجيلي قد سور على مابقى سورا بينه وبين السور القديم دون نصف فرسخ سنة ٥١٦»[٥٣] .

غير ان هذا السور لم يقف حائلا دون هجوم البدو عليها وعيثهم بها في سنة ٥٤١[٥٤] وقد وصف الحريري أثر هذا العيث بكتاب أرسله الى المسؤولين قال فيها «لو اطلع مولانا على مافاجأ البصرة من الفتك والقهر والنهب والاسر الى مامنوا به من الشنات وافتضاح الخفرات واحراق المساكن والخانات وانتشار الفساد الى قرى السواد لرأى منظراً يحرق الاكباد ويبلى العين الجماد وقد أشرفت البصرة على العضاء واللحاق بصحراء ، وان يؤرخ اندراسها في هذه الدولة الغراء اذ كان توالى عليها من الاحداث في هذه السنين للرعية بترتيب النجدة القوية واسقاط معاوية الذرب في الهرب من العرب ، فالاخطاء في تنفيس الكرب من القرب» [٥٥] .

وفي سنة ٥٨٨ «اجتمع بنو عامر في خلق كثير واميرهم عميرة وقصدوا البصرة .. فخرج اليهم الامير محمد فيمن معه من الجند ، فوقعت الحرب بينهم بدرب الميدان بجانب الخريبة ، ودام القتال الى آخر النهار ، فلما جاء الليل ثلم العرب في السور عدة ثلم ، ودخلوا المدينة من الغد»[٥٦] .

ولما ولى البصرة أبو المظفر ياتكين (ت ٦٤٠) « بنى سورا على بني مازن وسورا على المدينة محكما بالابواب الحديدية ، وجدد في البصرة الخانات وغير ذلك واسرع في اصلاح السور وحفر الخندق» [٥٧] .

---

(٥٣) ابن حوقل ٦٤ . (٥٤) خريدة القصر ٤ ــ ٧٣٨/٢ .
(٥٥) خريدة القصر ٤ ــ ٦٤١/٢ ــ ٢ (٥٦) الكامل لابن الاثير ٨٠/١٢ .
(٥٧) الحوادث الجامعة ١٨١ .

القسم الثاني

اطـراف البصـرة

١ ـ الأطراف الشـمالية : البطيحة ونهر عمر

٢ ـ الأطراف الشـرقية : انهار الجانب الغربي

نهر معقل والكلاء

نهر الابلة وشط عثمان

٣ ـ الأطراف الجنوبيـة : نهر ابي الخصيب


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل العاشر

البطيحة ونهر عمر

شيدت البصرة في رقعة تبعد عن دجلة قرابة اربعة فراسخ ، ولم يكن فيها عند بنائها نهر يربطها بدجلة ، علما بان ماء دجلة كان مجاً مالحاً ، وقد حاول بعض الولاة والمتنفذين معالجة ذلك ببناء صهاريج لجمع ماء المطر ، فيذكر البلاذري « وكانت الولاة والاشراف بالبصرة (لا ؟) يستعذبون الماء من دجلة ويحتفرون الصهاريج ، وكان للحجاج بها صهريج معروف يجتمع فيه ماء المطر ، وكان لابن عامر وزياد وابن زياد صهاريج يبيحونها للناس »[1] ثم حفر سليمان بن علي حوضا في رحبة بني هاشم [2] . ولعل أهم هذه المنشآت هي الأحواض التي اتخذها محمد بن سليمان بن علي بالبصرة ووقف عليها ضيعة تنفق غلتها على دواليبها وابلها ومصلحتها . وظلت هذه الاحواض حتى سنة ٤٨٣هـ حيث دمرت على أثر ثورة المنجم المتنبي ، فيقول ابن الجوزي في كلامه عن آثار هذه الثورة «وخربت وقوف البصرة التي وقفت على الدواليب التي تدور وتحمل الماء فتطرحه في قناة الرصاص الجارية الى المصانع التي أماكنها على فرسخ من الماء ، وحكى طالوت بن عباد أنه « رأى محمد بن سليمان أمير البصرة في المنام فقال له مافعل الله بك ؟ فقال غفر لي ولولا حوض المربد لهلكت . وكان محمد قد ابتدأ بهذا المصنع عند خروجه الى مكة ، وعاد الى البصرة فاستقبل بمائه فشربه وصلى علي جانبه ركعتين شكرا لله

---

(١) فتوح البلدان ٣٦٩

(٢) فتوح البلدان ٣٧٠ ؛ انساب الاشراف ٣/٩٠ .

على تمام هذه المصلحة ، فاصبح طالوت فعمل مصنعا ووقف عليه وقوفا»[٣] .

ويبدو أن أهل البصرة اعتمدوا منذ أوائل أيام تأسيسها على مياه البطيحة ، فقد كان أعذب من ماء دجلة [٤] ؛ وكان ماء البطيحة يصل الى طفوف البصرة ، أي أطرافها ، ولكن يصعب تحديد مواقعها التي لم تكن ثابتة ، اذ تعتمد على كمية ماء البطيحة الذي يزداد في أوقات الفيضان أو في الأزمنة التي تخرب فيها المشاريع الاروائية في الشمال فيقل مايذهب من الماء الى المزارع وينصرف الى البطيحة ، ولابد ان ماء البطيحة ازداد في أوائل سني الفتوح الاسلامية بسبب ما رافق الفتح من اضطراب في أحوال الري [٥] .

ذكر البلاذري ان الاحنف بن قيس شكا للخليفة عمر بن الخطاب مايلقاه أهل البصرة من عناء بسبب الماء ، وقال في شكواه «نزلنا سبخة نشاشة لايجف نداها ولاينبت مرعاها .. يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين»[٦] ،و يقول انه «كان شرب الناس قبل ذلك من مكان يقال له دير قاووس ، فوهته في دجلة فوق الابلة باربعة فراسخ ، يجري في سباخ لاعمارة على حافاته ، وكانت الارواح تدفنه[٧] » وقد حفر نهرا الابلة ومعقل لتوفير الماء الى أهل البصرة، غير انهما لم يوفرا أعذب المياه التي كانت تتوفر في البطيحة والتي كان ماؤها أعذب وهي قريبة من البصرة ؛ ويقول المدائني «قدم مصعب البصرة وماء البطيحة يفيض على السباخ حتى كاد يصير في نهر معقل ، فاتخذ المسناة التي نسبت اليه ، وحاز تلك الارضين لنفسه ، فاقطعها عبدالملك الناس، فاحتفروا الانهار فهي اليوم قطائع عبدالملك» [٨] ؛ ويقول ابن الفقيه ان مسناة

---

(٣) المنتظم ٩/٥٣ ، وانظر ايضا ابن الاثير ١٠/٦٨ .
(٤) فتوح البلدان ٣٦٩ (٥) فتوح البلدان ٢٩٢ ؛ الاعلاق النفيسة ٩٥
(٦) فتوح البلدان ٣٥٥ (٧) فتوح البلدان ٣٥٦ ؛ وانظر ابن الفقيه ١٨٩
(٨) انساب الاشراف ٥/٢٨١

مصعب كان قد بناها زياد ، ولكنها نسبت فيما بعد الى مصعب[٩] .

وذكر القحذمي بعض هذه الاراضي حيث قال « كان سليمان (بن عبدالملك) اقطع يزيد بن المهلب ما اعتمل من البطيحة ، فاعتمل الشرقي ، والجبال ؛ الخستل والريحية ، ومغيرتان وغيرها ، فصارت حوزا ، فقبضها يزيد بن عبدالملك ، ثم اقطعها هشام ولده ثم حيزت بعده »[١٠] .

وقال القحذمي ايضا «حدثني أرقم بن ابراهيم أنه نظر الى حسان النبطي يشير من الجسر ومعه عبد الاعلى بن عبدالله يحوز كل شيء من حد نهر الفيض لولد هشام بن عبدالملك ، فلما بلغ دار عبدالاعلى رفع الذرع ، فلما كانت الدولة المباركة قبض ذلك اجمع ، فوقف ابو جعفر الجبان فيما وقف على أهل المدينة ، واقطع المهدي العباسة ابنته امرأة محمد بن سليمان الشرقي»[١١] .

ولعل هذه الاراضي هي ماذكره البلاذري «احتفر كثير بن عبدالله السلمي ، وهو ابو العاج عامل يوسف بن عمر الثقفي على البصرة نهرا من نهر ابن عتبة الى الخستل فنسب اليه »[١٢] .

ومن هذه الاراضي ايضا ماذكره وكيع «ان ابا العباس أمير المؤمنين كان اقطع سليمان بن عبدالله بن الحارث بن نوفل ارضا في نهر معقل تنسب الى جراباذ خمسمائة جريب كان سليمان بن عبدالملك قبضها من عبدالملك بن الحجاج بن يوسف ، تشرع على نهر معقل ومسناة مصعب الى جانب نهر ابي سبرة»[١٣] .

وقد شكا أهل البصرة من ملوحة مائهم الى عدي بن ارطاة والخليفة عمر

---

(٩) ابن الفقيه ١٩١
(١٠) فتوح البلدان ١٦٨
(١١) فتوح البلدان ٣٦٧
(١٢) فتوح البلدان ٣٦٥
(١٣) أخبار القضاة ٩٣/٢

ابن عبدالعزيز ، فأذن الخليفة لعدي ان يحفر لهم نهرا ، فحفر نهر عدي وكان من قبل خورا في نهر البصرة حتى فتقه عدي بن ارطاة الفزاري عامل عمر بن عبدالعزيز من بثق شيرين»[14] .

وظلت شكوى البصريين من ملوحة الماء ، فلما وليها عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز حفر لهم نهر ابن عمر [15] ليعذب ماء أهل البصرة وطوله اربعة فراسخ من أسفل البطائح الى فيض البصرة «وهو مما يلي قصر أنس بن مالك» و «يصب في نهر البصرة ، وما صار في فيض البصرة وقع في نهر الابلة حتى يخرج الى دجلة العوراء»[16] .

وكان الماء الذي يأتي نهر ابن عمر « نزراً قليلا ، وكان عظم ماء البطيحة يذهب في نهر الدير ، فكان الناس يستعذبون من الابلة ، حتى قدم سليمان ابن علي البصرة ، واتخذ المغيثة وعمل مسنياتها على البطيحة ، فحجز الماء عن نهر الدير ، وصرفه الى نهر ابن عمر ، وانفق على المغيثة ألف ألف درهم »[18] .

ويذكر البلاذري ان سليمان اتخذ المغيثة وضرب مسناتها على البطيحة وسكر القندل فعذب ماء البصرة [19] .

وقد أصبح نهر عمر بعد ذلك صالحا للملاحة ، وذكر الطبري ان الزنج سلكوه في ثورتهم [20] ، كما سلكه الديالمة عندما كانوا يحاربون لشكرستان في سنة ٣٨٦ هـ[21] .

و «لما اتخذ سليمان بن علي المغيثة احب المنصور ان يستخرج ضيعة من البطيحة ،فأمر باتخاذ السبيطية ، فكره سليمان بن علي وأهل البصرة ذلك

---

(١٤) فتوح البلدان ٣٦٨ ــ ٩
(١٥) كذلك ٣٦٩ ــ ٣٧٠
(١٦) ابن رسته ٩٤
(١٧) ابن رسته ١٨٥
(١٨) فتوح البلدان ٣٧٠
(١٩) انساب الاشراف ٣/٩٠
(٢٠) الطبري ٣/١٩٩٦ ــ ٢٠٠٠
(٢١) ذيل تجارب الامم ٣/٢٧٤

«ولعل هذا ماقصد به البلاذري في قوله : وأراد المنصور استخراج مزارع من البطيحة وضج أهل البصرة وقالوا لن نستعذب الماء من البطيحة واتوا عبدالله ابن علي فقالوا انزل يا أمير المؤمنين نبايعك ، فكفهم سليمان وصرفهم[٢٢] .

ويذكر وكيع « ان المنصور هم ان يسكر نهر ابن عمر فوفد اليه وفد من أهل البصرة فيهم سوّار وداوود بن ابي هند وسعيد بن ابي عروبة فكلموه ، فقال سوّار يا أمير المؤمنين ان اردت ان تقتل مائةألف من الناس عطشا فاسكره ويا أمير المؤمنين اني احذرك أهل البصرة ، قال يا سوّار اتخوفني بأهل البصرة ، لهممت ان أوجه اليهم بقائد يجثم على أكبادهم حتى يأتي على آخرهم، فقال يا أمير المؤمنين لم أذهب حيث ذهبت ولكن خوفتك دعوة اليتيم والارملة ومن لا حيلة له ، فأحسن الرجوع واضرب عما كان عزم عليه[٢٣] .

أما البلاذري فيقول انه عندما سمع الناس بعزم ابي جعفر استاؤوا فارسل أبو جعفر ثلاثة من كبار الفقهاء ، « فقدموا عليه ومعهم صورة البطيحة ، فأخبروه انهم يتخوفون ان يملح ماؤهم قال ما أراه كما ظننتم ، وأمر بالامساك . ثم انه قدم البصرة فأمر باستخراج السبيطية فاستخرجت له ، فكانت فيها اجمة لرجل من الدهاقين يقال له سبيط فنسبت الضيعة اليه بسبب اجمته فقيل السبيطية[٢٤] .



---

(٢٢) أنساب الاشراف ١١١/٣
(٢٣) اخبار القضاة ٥٨/٢
(٢٤) فتوح البلدان ٣٧٠ ـ ١ ، وانظر أيضا : الجهشياري ١٢٣

الفصل الحادي عشر

انهار الجانب الغربي من دجـلة

ذكر سهراب الأنهار الآخذة من الجانب الغربي من دجلة العوراء مبتدئاً من البطائح فقال وهو يعدد الاهوار التي في أدنى دجلة ان «الهور الرابـع واسمه المحمدية وفيه منارة حسان ، وهو أعظم الاهوار ، وبعده زقاق قصب وهو ماد الى نهر ابي الاسد ، ويمر النهر بالحالة وقرية الكوانين ويصب الى دجلة العوراء . واذا خرج الخارج من نهر ابي الاسد فان دجلة العوراء تستقبله معترضة له فالطريق الى البصرة على يمين الخارج ، ويسرته الى عبدسي والمذار، وليس لها هناك مصب ولا مخرج بل هي نهاية يلحقها المد والجزر فاذا عطف الخارج من نهر ابي الاسد منه مر مادا الى الدسكرة والمفتح وعباذان وسليمانان، ويصب في البحر اسفل عبادان »[1] .

يتبين من هذا النص ان البطائح تمتد الى الاطراف العليا من دجلة العوراء وهي تمتد الى نهر ابي الاسد ، وانه تقع على هذا النهر «الحالة» و « قريـة الكوانين » ثم يصب الى دجلة . ولم أجد في المصادر ذكراً للحـالة وقريـة الكوانـين .

ويذكر ابن خرداذبة في وصفه الطريق بين بغداد والبصرة ان هذا الطريق يمر بالبطائح « ثم في نهر أبي الاسد ، ثم في دجلة العوراء ثم في نهر معقل ، ثم في فيض البصرة »[2] .

يذكر البلاذري ان ابا الاسد الذي نسب اليه هذا النهر كان أحد قواد المنصور ، وقد وجهه الى عبدالله بن علي عندما كان مقيما بالبصرة ، وفي رواية

---

(1) سهراب ١٣٥ (2) المسالك ٥٩

أخرى انه أرسله لامداد عيسى بن موسى حين كان يحارب ابراهيم بن عبدالله «وهو حفر النهر المعروف بابي الاسد عند البطيحة» وفي رواية اخرى يذكر أن أبا الاسد أقام على فم النهر لان السفن لم تدخله لضيقه عنها فوسعه ونسب اليه [٣] .

وقد تردد ذكر نهر ابي الاسد في أخبار حوادث الزنج [٤] .

يذكر ياقوت ان نهر ابي الاسد يأخذ من دجلة قرب نهر دقلة [٥] . والنهر الاخير هو أحد الانهار الخمسة الكبيرة التي يذكر ياقوت انها تتفرع من دجلة ، وهذه الانهار هي « ساسي ، والغراف ، ودقلة ، وجعفر ، وميسان ، تلتقي هي ونهر الفرات قرب مطارا »[٦] .

تردد ذكر مطارا في الكتب ، وذكر ياقوت انها تقع بين نهر أبي الاسد ونهر الدير[٧] ، وانها « على ضفة دجلة والفرات في ملتقاهما بين المذار والبصرة»[٨] ، وذكر ان «في جنوب مطارا من الجانب الشرقي نهر جعفر المنسوب الى جعفر مولى سلم بن زياد »[٩] .

لم يرد ذكر لمطارا عند البلاذري ، ولا عند الطبري ، وأول ذكر لها في سنة ٣٢٥ هـ عندما توترت العلاقة بين ابن رائق والبريدي ، فسير البريدي غلامه (اقبال) الى مطارا ، وسيّر معه جيشاً هزم ابن رائق[١٠] ، وظل البريدي مقيماً فيها[١١] .

وفي سنة ٤٤٤ هـ تحركت جيوش الملك الرحيم والبساسيري من المنزلة الى

---

(٣) فتوح البلدان ٢٩٣
(٤) الطبري ١٧٠٩/٣ ، ١٨٦٠ ، ١٩٠٩
(٥) ياقوت ٨٣٠/٤
(٦) ياقوت ٥٥٣/٢
(٧) ياقوت ٤٣٩/٤
(٨) ياقوت ٥٦١/٤
(٩) ياقوت ٨٣٨/٤
(١٠) مسكويه ٣٧٢/١ ؛ ابن الاثير ٣٣٥/٨
(١١) ابن الاثير ٣٤٤/٨

مطارا[١٢] ، وفي سنة ٤٩٥ هـ بنى اسماعيل صاحب البصرة قلعةبالابلة والاخرى بالشاطيء مقابل مطارا [١٣] .

وفي سنة ٥٦٢ هـ نهب ابن سنكا البصرة وسار الى مطارا[١٤] .

ذكر سهراب بعد الكلام عن نهر أبي الاسد «صفة انهار البصرة العظام التي في الجانب الغربي من دجلة العوراء ، وذلك ان البصرة على فيض لهـا ، وهذه الانهار تصب اليه ، والمد والجزر يلحق الى أواخرها ، ويجزر عنها .

وأول نهر يلقاه الخارج من نهر ابي الاسد يمنة وهو مار الى البصرة نهر يقال له نهر المرأة ، وبينه وبين نهر ابي الاسد فرسخان .

والثاني يقال له نهر الدير ، وبينه وبين نهر المرأة ثلاثة فراسخ .
والثالث نهر يقال له بثق شيرين ، وبينه وبين الدير ستة فراسخ .
والرابع نهر يقال له نهر معقل وبينه وبين بثق شيرين فرسخان .
والخامس نهر يقال له نهر الابلة ، والابلة هي فوهته ، وبينه وبين نهـر معقل اربعة فراسخ .

والسادس نهر يقال له اليهودي وبينه وبين الابلة اربعة فراسخ .
والسابع نهر يقال له نهر أبي الخصيب وبينه وبين اليهودي فرسخ .
والثامن نهر يقال له نهر الأمير ، وبينه وبين نهر أبي الخصيب فرسخ .
والتاسع نهر يقال له نهر القندل بينه وبين نهر الامير فرسخان .

وهذه الانهار التسعة كلها تصب الى فيض البصرة وأطوالها اربعة فراسخ وأقل وأكثر ، والفيض يصب عند عبادان في دجلة العوراء في وقت الجزر وهو كثير.. وما في هذه الانهار نهر الا ويحمل منه انهار كثيرة تسقي تلك الضياع

---

(١٢) ابن الاثير ٥٨٨/٩
(١٣) ابن الاثير ٣٣٨/١٠ ؛ وانظر ٤٠٢ ، ٤٠٤
(١٤) ابن الاثير ٣٢٨/١١

فهذه انهار البصرة المشهورة العظام التي في الجانب الغربي من دجلة العوراء (١٥) .

ان معظم هذه الانهار احتفظت باسمائها حتى اليوم، ويتبين من مقارنة الابعاد التي ذكرها بابعادها على الخرائط الحالية ان سهراب أخطأ في تقدير المسافة بين نهر معقل والابلة ، فذكر انها اربعة فراسخ ، وهي في الواقع لاتزيد على فرسخ ، وذكر المسافة بين نهر الابلة واليهودي أربعة فراسخ وهي في الواقع لاتزيد على فرسخين .

على افتراض ان الفرسخ الاسلامي هو ستة كيلومترات(١٦) .

اسم النهر	موقعه الحالي	المسافة بين كل نهر والذي يليه بتقدير ابن سيرابيون	المسافة على الخريطة الحالية
نهر ابي الاسد	القرنة	٢ فرسخ = ١٢كم	١٥ كم
نهر المرأة	قريتي الشاقي والجفلة	٣ فرسخ ١٨كم	١٥كم
نهر الدير	عند قرية الدير	٦ فرسخ ٣٦كم	٣٥كم
بثق شيرين	قرية المعبدي	٢ فرسخ ١٢كم	١٢كم
نهر معقل	المعقل	٤ فرسخ ٢٤كم	٦ كم
نهر الابلة	العشار	٤ فرسخ ٢٤كم	٥ر١١كم
نهر اليهودي	نهر اليهودي	١ فرسخ ٦كم	٥ر٦ كم
نهر ابي الخصيب	نهر ابي الخصيب	١ فرسخ ٦كم	٥ر٢ كم
نهر الأمير	نهر ابي الطوس	٢ فرسخ ١٢كم	٥ر٨ كم(١٧)
نهر القندل	نهر الجندل		

(١٥) سهراب ١٣٥ ـ ١٣٦
(١٦) هينز : المكاييل والاوزان الاسلامية ٩٤
(١٧) شط العرب وشط المعقل والبصرة للدكتور محمد طارق الكاتب ١٠٦

فاما نهر المرأة فان الساجي يقول ان المرأة التي نسب اليها النهر اسمها طماهيج ، وان خالد بن الوليد عند نزوله البصرة صالح أهل هـذا النهـر « من رأس الفهرج الى نهر المرأة »[١٨] ويقول البكري ان المرأة التي نسب اليها «هي رباب بنت موسى» [١٩] ، ويقول البلاذري ان ابا موسى هو الذي فتح نهر المرأة [٢٠] .

وقد تردد ذكر نهر المرأة في اخبار ثورة صاحب الزنج ، حيث ذكر الطبري ان القائد العباسي نصيراً أقام فيه[٢١] ، كما أقام فيه أبو حمزة[٢٢] ، وان صاحب الزنج أرسل اثنين من قواده الى نهر الدير ونهر المرأة ونهر أبي الاسد[٢٣] .

أما نهر الدير ، فلعله سمي بدير الدهدار الذي كانت عند فوهته[٢٤] ولعل كلمة الدهدار هي تحريف «دختر» أي الاخت . ويذكر يـاقوت ان «نهر الدير نهر كبير بين البصرة ومطارا ، بينه وبـين البصرة نحو عشريـن فرسخا »[٢٥] .

وقد تردد ذكر نهر الدير في أخبار حركات صاحب الزنج حيث ذكر الطبري ان صاحب الزنج أرسل أحد قواده الى «نهر الديـر ونهر المرأة ونهـر ابي الاسد .. فمضى حتى صار الى نهـر الدير [٢٦] ، وان بهبوذ وصل على نهر الدير[٢٧] ، وان عيسى القائد العباسي انحاز ومن كان معه الى نهر الدير على طريق أقشى[٢٨] والراجح ان النهر القديم ، يرجع الى أزمنة سابقة للاسلام .

وبالقرب من نهر الدير كانت المغيثة التي عملها سليمان بن علي [٢٩] وقد

---

(١٨) ياقوت ٤/٨٤٤
(١٩) البكري ١٣٠٤
(٢٠) فتوح البلدان ٢٤٠
(٢١) الطبري ٣/١٩٠٧
(٢٢) الطبري ٣/١٩٨١
(٢٣) الطبري ٣/١٩٩٠
(٢٤) ياقوت ٢/٦٦٠ ، ٦٦٠ ، ٤/٨٢٩ ، الانساب للسمعاني ٢٣٧
(٢٥) ياقوت ٣/٨٤٤
(٢٦) الطبري ٣/١٩٩٠
(٢٧) الطبري ٣/٢٠٢١
(٢٨) الطبري ٣/١٧٦٤
(٢٩) فتوح البلدان ٣٦٤

أدى انشاء مسناتها الى تناقص مياه نهر الدير وتحولها الى نهر ابن عمر ، وقد تحدثنا عنها .

يذكر البلاذري ان بثق شيرين نسب الى شيرين امرأة كسرى بن هرمز ، وكان بجانبه في العصر الاموي خور[٣٠] ولعل هذا الخور كان قديما جزءا من النهر ثم انقطع عنه نتيجة اضطراب أحوال الري ابان السني الاولى من الفتح الاسلامي ، فلما ولي عدي بن ارطاة وصل هذا الخور ببثق شيرين [٣١] ، وينسب ابن الفقيه هذا العمل الى زياد[٣٢] وقد سد بثق شيرين ، وولي القاضي اياس بن معاوية سده بالقصب[٣٣] وقد تم هذا في خلافة عمر بن عبدالعزيز وواليه عدي بن عمر الذي قام بحفر نهر ابن عمر . ان بثق شيرين ظل نهرا منتظم الجريان ، وتردد ذكره في أخبار حركات صاحب الزنج حيث كانت تسلكه سفنه وسفن الجيش العباسي[٣٤] .

وفي مدخل بثق شيرين تقع المشان [٣٥] وهي التي ولد فيها الحريري صاحب المقامات[٣٦] ويبدو ان اهميتها ازدادت في القرن السادس الهجري فكانت مقر صدرية وممن تولى صدريتها ابو زيد المظهر بن سلار فخرالدين[٣٧]

وعند بثق شيرين تقع بهزان [٣٨] .

وبالقرب من بثق شيرين يقع نهر عدي[٣٩] وكان نهر عدي « خورا من نهر البصرة حتى فتقه عدي بن ارطاة الفزاري عامل عمر بن عبد العزيز ، من بثق شيرين»[٤٠] وقد وفر حفر النهر الماء العذب لأهل البصرة[٤١] .

---

(٣٠) فتوح البلدان ٣٦٦
(٣١) فتوح البلدان ١٦٢
(٣٢) كتاب البلدان ١٩١
(٣٣) اخبار القضاة ٣٢٧/١
(٣٤) الطبري ١٨٦٠/٣ ، ١٩٩٠ ، ١٩٨٠
(٣٥) الطبري ١٩٨٠/٣
(٣٦) خريدة القصر ٤ ــ ٦٠١/٢
(٣٧) كذلك ٤ ــ ٦٧٦/٢
(٣٨) فتوح البلدان ٣٦٩
(٣٩) الطبري ١٩٨٠/٣ ، ١٩٩٩ ــ ٢٠٠٠
(٤٠) فتوح البلدان ٣٦٨
(٤١) فتوح البلدان ٣٦٩

الفصل الثاني عشر

نهر معقل والكلاء

نهر معقل هو المسلك الرئيس لتجارة البصرة مع العراق والاهواز ، وقد ظل كذلك حتى بعد ان تظم مجرى الابلة في زمن هارون الرشيد [١] ، وتدل أهميته في المواصلات على غزارة مائه بالرغم من الانهار التي كانت تأخذ منه .

يقول القحذمي والمدائني ان نهر معقل حفر في زمن ولاية زياد على البصرة في خلافة معاوية ، وقد أشرف على حفره معقل بن يسار الصحابي المشهور ، فسمي النهر باسمه ، رغم انه حفر بأمر زياد [٢] . والراجح ان فوهته عند المعقل الحالية [٣] .

يجري نهر معقل مستقيما الى مكان القبة التي كان زياد يعرض عندها الجند ، ثم ان زياداً « رده الى مستقبل الجنوب حتى أخرجه الى أصحاب الصدقة بالجبل ، فسمي ذلك العطف نهر دبيس » وهذا قصار « كان يقصر الثياب على هذا النهر » .

وذكر الجاحظ مايدل على قرب نهر دبيس من الفيض ومن سيحان حيث قال ان الذباب يجتمع في البصرة في زمن محدودة يعصر فيها التمر « وليس بين جزيرة نهر دبيس وبين موضع الذبان الا فيض البصرة ولا بين ما يكون من ذلك نهر اذرب (التيراب ؟) وبين موضع الذبان مما يقابله الاسيحان وهو ذلك التمر وتلك المعصرة ، ولاتكون تلك المسافة الا مائة ذراع أو أزيد شيئا أو أنقص شيئا » [٥]

وفي زمن خلافة هشام بن عبدالملك « فتق بلال بن ابي بردة نهر معقل في

---

(١) ابن رسته ١٨٥

(٢) فتوح البلدان ٣٥٧ ياقوت ٨٤٥/٤ وانظر أيضا ابن سعد ٧ ـ ٨/١ ، الاشتقاق ١٨٠ .

(٣) طارق الكاتب : شط العرب والبصرة ص ٣٥ .

(٤) فتوح البلدان ٣٥٧ (٥) الحيوان ٤٠٥/٥

فيض البصرة ، وكان قبل ذلك مكسورا يفيض الى القبة التي كان زياد يعرض فيها الجند»[6] ولعل هذا النهر الذي يربط نهر معقل بالفيض هو نهر بلال الذي حفره بلال وجعل على جنبيه حوانيت ، ونقل اليها السوق ، وجعل ذلك ليزيد بن خالد القسري [7] .

وجاء في مخطوطة تاريخ الخلفاء ان بلالا « كان قد حفر بالبصرة نهره المعروف نهر بلال وبنى داره وقال انه اسكنها الفساق وباعة النبيذ في موضع سوق الغنم ثم نقل باعة الغنم الى الرحبة التي للقصابين»[8]. ولعل هذه الدار قرب نهر بلال .

ولما كان نهر معقل طريق المواصلات الرئيس ، فقد اتخذ عليه جباة العشور مقرهم ، ومدوا عليه سلسلة تسمى الحبل ، لحصر السفن القادمة الى البصرة وتفتيشها واخذ العشور منها [9] وقد ذكر الحبل في عدد من المناسبات [10] .

يذكر البلاذري ان «عبيدالله بن ابي بكرة اقطع سويد بن منجوف خمس مائة جريب فهي تسمى سويدان ، وقال خلاد بن عبيد سبع مائة جريب ، ثلاث مائة بالغوثية ، وأربعمائة بالمسرقان ناحية نهر معقل »[11] ولعل المسرقان تقع في الاطراف الشمالية من نهر معقل ، وان الغوثية هي التي تقع عند بثق شيرين .

وعند نهر معقل تقع الجنبذة فيروي مؤلف العيون والحدائق ان عديا «شخص الى البصرة فلما دخل نهر معقل واشرفت له البصرة ورأى الجنبذة التي تسمى الشهار طاق فنظر فاذا سفينة.. »[12].

---

(٦) فتوح البلدان ٣٦٢ ياقوت ٨٣٥/٤
(٧) فتوح البلدان ٣٦٣ (٨) تاريخ الخلفاء ٢١٥ ب
(٩) فتوح البلدان ٣٥٧ ياقوت ١٩٨/٢
(١٠) انظر الطبري ١٨٥٥/٢ . البكري ٤٢١
(١١) انساب الاشراف ٤٩٩/١ (١٢) العيون والحدائق ٤٩

وكانت لابن نخذاو الثقفي أرض شارعة على نهر معقل ستين جريبا خاصمه فيها رجل من بني تميم (١٣) .

الكلاء ودار الرزق :

والراجح ان الكلاء كان يقع على نهر معقل ، وهو الرصيف الذي كانت ترسو عليه السفن (١٤) ، وقد ورد في البلاذري انه عندما تقدم ابن الاشعث عزم الحجاج «ان يصادر طعام التجار في الكلاء»(١٥) ولاريب في ان ذكر طعام التجار فيه دون غيره يدل على ان الكلاء كان المركز الرئيس لتجار الاطعمة ، ومما ساعد على ذلك كونه على نهر معقل الذي هو أقرب الى السفن القادمة من كسكر وكور دجلة . وقد ذكر المقدسي ان في الكلاء أحد أسواق البصرة الثلاثة ، والسوقان الاخران هما السوق الكبير وباب الجامع»(١٦) .

وفي الكلاء يقع دار الزبير(١٧) ، ويقول عنها ابن دريد «كانت الدار التي في الكلاء وفي السوق تعرفان بالزبير ، ودار الهرامزة لسمرة بن جندب ، فوقع بينه وبين المنذر بن الزبير كلام عند معاوية ، فخونه المنذر وقال قد اخذت أمواله بمائة ألف ، فباعها سمرة منه وكانت تساوي أكثر من ذلك (١٨) .

وقد ظلت الى القرن الرابع الهجري حيث كان ينزلها البحريون من أهل الجهاز (١٩) .

وبالقرب من الكلاء يقع قصر الزيت الذي نسب اليه القاضي عبدالله بن محمد بن أبي بردة(٢٠) ، ولم أجد لهذا القصر ذكرا في أخبار الازمنة الاولى مما يدل على انه حديث النشأة ، ومن المحتمل ان هذا القصر كان بالقرب من نهر بلال الذي شق من نهر معقل ، واقيم عليه سوق في أواخر العهد الاموي .

---

(١٣) أخبار القضاة ٣٠٢/١ (١٤) ياقوت ٤٩٢/٤
(١٥) انساب الاشراف ٣٤٠ (طبعة اهلورت) الطبري ١٠٦١/٢
(١٦) احسن التقاسيم ١١٧
(١٧) ابن سعد ٧٦/٣ ، ٧٧ حيث يذكر دورا اخرى له
(١٨) الاشتقاق ٢٨٢ ، انساب الاشراف ٨٩٥/١٢ مخطوطة المغرب
(١٩) مروج الذهب ٢٤٢/٢ (٢٠) ياقوت ١١٢/٤ ، ٩٦٥/٢

ومن المحتمل ايضا انها كان يقع في بلال اباد التي يذكر البلاذري انه انشئت فيها ثالث حمام في البصرة ، وهي حمام مسلم بن أبي بكرة ، ثم آلت الى عمرو ابن مسلم الباهلي وكانت تغل كل يوم ألف درهم وطعاما كثيرا[٢١] .

وبالقرب من الكلاء تقع دار الرزق ، وقد وصفها المدائني وأوضح ماحولها من معرض كلامه عن حركة المثنى بن مخربة الذي خرج في البصرة فاتخذ مسجدا واجتمع اليه قومه ، ودعا الى المختار ، ثم اتى دار الرزق فعسكر عندها ، وجمع الطعام في المدينة ، ونحر الجزور ، فوجّه اليه القباع (والي البصرة) عبّاد بن الحصين صاحب شرطته ، وقيس بن الهيثم ، في الشرط والمقاتلة ، فاخذوا في سكة الموالي حتى خرجوا الى السبخة ، فوقفوا ، ولزم الناس دورهم فلم يخرج أحد ، فجعل عباد ينظر هل يرى أحدا يسأله ، فلم ير أحدا ، فقال اما هاهنا رجل من بني تميم ، فقال خليفة أبو الاعور مولى بني عدي ، عدي الرباب ، هنا دار معاد مولى بني عبدشمس ، قال دق الباب ، فدقه فخرج اليه وراد ، فشتمه عباد وقال ويحك انا واقف هنا لم تخرج الي قال لم أدر ما يوافقك ، قال شدّ عليك سلاحك واركب ، ففعل ووقفوا ، وأقبل أصحاب المثنى فواقفوهم ، فقال عبّاد لورّاد قف مكانك مع قيس ، فوقف قيس بن الهيثم ووراد ، ورجع عباد فأخذ في طريق الذباحين والناس وقوف في السبخة حتى أتى الكلاء .

ولمدينة الرزق أربعة أبواب : باب مما يلي البصرة ، وباب الى الخلالين ، وباب الى المسجد ، وباب الى مهب الشمال ، فأتى الباب الذي يلي أصحاب السقط ، وهو باب صغير فدعا بسلم فوضعه على حائط المدينة ، فصعد ثلاثون رجلا ، وقال لهم الزموا السطح فاذا سمعتم التكبير فكبروا على السطوح ورجع عباد الى قيس بن الهيثم ، وقال لورّاد : حرش القوم[٢٢] .

لاريب في ان السبخة التي ذكرها المدائني كانت تقع في الشمال على طرف

---

(٢١) فتوح البلدان ٢٥٢ (٢٢) الطبري ٢/٦٨١

البطيحة ، وهي غير السبخة التي في الجزيرة والتي كان قـد اصلحها زياد في زمن ولايته [٢٣] .

ويظهر هذا النص ان سكة الموالي كانت بين السبخة والبصرة ، ويتبين من هذا النص ان دار الرزق كانت قريبة من الكلاء ، وانه كان لها باب عند النهر ، وعنده أصحاب السقط ، وهم الذين يبيعون المواد الغذائية اليابسة ، ولابـد ان المقصود بالنهر ، هو نهر معقل ، وان موقـع أصحاب السقط في جهتـه الشمالية .

ويظهر من هذا النص ان دار الرزق كانت ناحية عن البصرة ، اذ ان لهـا بابا متجها الى البصرة ، أما المسجد الذي كان أحد أبواب دار الرزق متجها اليه فهو على الارجح المسجد الذي اتخذه المثنى بن مخربة ، وليس المسجد الذي في البصرة ، ويبدو ان هذا المسجد كان شرقي مدينة الرزق ،ووقوعه على مسافة من المدينة يجعله صالحا لان يتخذ مقرا لثائر ، أما الباب المتجه للخلالين فينبغي أن يكون مواجها للجنوب ان هذه الاستنتاجات قائمـة على أساس ان الابواب الاربعة الرئيسة موزعة على الجهات الاربعة .

كانت دار الرزق كبيرة ، ولذلك كانت تسمى أحيانا «مدينة الرزق» أو قريـة الرزق . وسعتها ضرورية لاستيعاب مايودع فيها من حبوب لتوزع على الناس في بداية كل شهر .

ويذكر المدائني ان دار الرزق بناها زياد ثم زاد فيها عبيدالله ابنـه ، وانه كان عامل زياد عليها عبدالله بن الحـارث بن نوفل ثم رواد بن أبي بكرة »[٢٤] .

تقع دار الرزق في الزابوقة حيث يقول ابن دريد «مدينة الرزق وهي التي

---

(٢٣) فتوح البلدان ٣٦١ (٢٤) أنساب الاشراف ١٨٦/١٠٤ .

يقال لها الزابوقة »[٢٤] ويقول خليفة بن خياط ان حكيم بن جبلة لقي طلحة والزبير قبل معركة الجمل في الزابوقة وهي مدينة الرزق بحضرة كلاء البصرة[٢٥] .

وبالقرب من دار الرزق تقع مقبرة بني حصن ، فيذكر سيف بن عمر ان عائشة وطلحة والزبير عندما قدموا البصرة واستعدوا لمقاتلة الامام علي « ساروا من مقبرة بني مازن ، فأخذوا على مسناة البصرة من قبل الجبانة حتى انتهوا الى الزابوقة ، ثم أتوا مقبرة بني حصن ، وهي متنحية الى دار الرزق ، فباتوا يتأهبون وبات الناس يسيرون اليهم ، وأصبحوا وهم على رجل في دار الرزق »[٢٦] .

وينقل خليفة عن المدائني عن الهذلي ان طلحة والزبير انحدروا من موضع الدباغين في المربد «فأخذوا في سكة المربد حيث خرجوا على مقبرة بني مازن ثم مقبرة بني حصن ثم خرجوا مع المسناة حتى نزلوا الجبل» وينقل عن ابي اليقظان ان طلحة والزبير ومن معهما ساروا حتى أتوا الزابوقة[٢٧] .

ومقبرة بني حصن منسوبة الى عبدالله بن حصن ، أحد بني ثعلبة (من بكر) وكان والي شرطة البصرة في زمن زياد[٢٨] .

وبالقرب من مقبرة بني حصن كانت خطط بني مرحض ، وخطة بني حربة، وهم حي من بني العنبر ، وكانت خطتهم يسار المقبرة[٢٩] ، وعند مقبرة بني حصن حانوت لرجل «يبيع فيها الاسقاط»[٣٠] .

---

(٢٤) الاشتقاق ٣٣٢
(٢٥) تاريخ خليفة ١٦٠ وانظر أيضا ١٦٣
(٢٦) الطبري ٣١٢٣/١ (٢٧) تاريخ خليفة ١٦٢
(٢٨) الطبري ٧٧/٢ ، البيان والتبيين ١٣٣/٢ ، الاغاني ٧٧/٨ ، البكري ٤٥٢
(٢٩) ياقوت ٢٣٤/٢ (٣٠) البخلاء ١٢٠

الانهار المتفرعة من نهر معقل :

تفرعت من نهر معقل عدة أنهار صغيرة لارواء الاراضي الزراعية التي بقربه ، ومن أشهر هذه الانهار المرغاب الذي يقول الطبري أنه أحد الانهار المتفرعة من نهر معقل[٣١] ، وكان يمر بقطيعة تبلغ مساحتها ثمانية الاف جريب لهلال بن أحوز المازني ، أقطعه اياها يزيد بن عبدالملك[٣٢] . ويذكر ابن الكلبي ان معاوية بن ابي سفيان اقطع المرغاب كابس بن ربطة[٣٣] ، ويذكر البلاذري ان البشير بن عبدالله بن أبي بكرة حفر المرغاب والسواقي والمعترضات بالتغلب ، ولكن حميري بن هلال خاصمه فحكم خالد بن عبدالله القسري لحميري[٣٤] ، وقد آل المرغاب الى الخليفة المهدي ، فادعاه قوم من أهل البصرة بحجة انهم أحيوا أرضه ، وحكم لهم عبيدالله بن الحسن العنبري قاضي البصرة ، فاذعن المهدي ثم عزل القاضي[٣٥] ، ولا نعلم عن تطور ملكيتها سوى انها بيعت في زمن هارون الرشيد بعشرين مليون درهم[٣٦] .

وبحيال المرغاب قطيعة لصعصعة بن معاوية ، عم الاحنف[٣٧] وقطيعة ذات الخفافين على نهر معقل ودجلة كانت لعبدالرحمن بن ابي بكرة فاشتراها عربي النجار مولى امة الله بنت ابي بكرة[٣٨] ، ولعل قطيعة معقلان التي ذكرها البلاذري كانت تقع عليه[٣٩] .

وفي شمال نهر معقل تقع خراباذ ، وهي قطيعة بينها وبين مسناة مصعب تبلغ خمسمائة جريب وهي بجانب نهر أبي سبرة فكانت لابن الحجاج فقبضها منه سليمان بن عبدالملك ثم أقطعها أبو العباس لسليمان بن عبيدالله[٤٠] .

---

(٣١) الطبري ١٨٤٢/٢
(٣٢) فتوح البلدان ٣٦٣ ويقول ياقوت انها ثمانية عشر الف جريب (٤٩٩/٤)
(٣٣) الانساب ٤١١ (طبعة الكويت) (٣٤) فتوح البلدان ٣٦٣
(٣٥) أدب الكاتب للصولي ٢١٢ (٣٦) الاغاني ٣٢/١٧
(٣٧) فتوح البلدان ٣٦٣ (٣٨) فتوح البلدان ٣٦٦
(٣٩) فتوح البلدان ٣٦٥ (٤٠) أخبار القضاة ٩٣/٢

يقول الجاحظ ان الثوري كانت له قطيعة بين الجبــل ونهر مرّة تبلغ مساحتها خمسمائة جريب[٤١] ، ولما كان الجبل عند نهر معقل ، فتكون قطيعة الثوري على نهر معقل ، ونهر مرة قربه ، غير ان البلاذري يذكر ان نهر مــرة ينسب الى مرة بن ابي عثمان ، وان زيادا اقطعه مائة جريب على نهر الابــلة وأمره فحفر لها نهرا فنسب اليه ، وان هذه القطيعة خرجت من أيدي ولده وصارت لآل الصفاق بن حجر بن بجير العقوي الازدي [٤٢] .

أما الرقعة الجنوبية من نهر معقل فكانت تسمى الجزيرة لانها محاطة بمياه الانهار : معقل ودجلة والابلة ودبيس. ويذكر وكيع ان المهــدي عندما زار البصرة وطاف بالجزيرة ومضى في نهر الابلة ثم في دجلة ثم رجع في نهر معقل فرأى أموالا عظاما ، فقال لعبيدالله : أرأيت أن رجلا اقطعناه قطعة فوجدنا في يده أكثر مما اقطعناه ؟ قال يا أمير المؤمنين انما هذا بمنزلة ثوبي هذا لا أسأل عنه ، قال كذبت[٤٣] . وكان موقف عبيدالله العنبري المعارض لرغبة المهدي سبباً لعزل القاضي[٤٤] وتنصل بالمرغاب الذي ذكره الصولي[٤٥] .

يروي البلاذري عن العقوي الدلال « كانت الجزيرة بين النهرين سبخة ، فاقطعها معاوية بعض بني اخوته ، فلما قدم الفتى لينظر اليها أمر زياد بالماء فأرسل فيها ، فقال الفتى انما اقطعني أمير المؤمنين بطيحة لا حاجة لي فيهــا ، فابتاعها زياد منه بمائتي ألف درهم ، وحفر أنهارها ، واقطع منها روّادان لروّاد ابن ابي بكرة »[٤٦] ولاريب في أن المقصود بذلك هذه الجزيرة .

ويقول ابن الاثير ان المنجم الذي ظهر في البصرة ســنة ٤٨٣ ، قصــد

---

(٤١) البخلاء ١١٠ ؛ ونرجح ان كلمة « الجبل » وردت خطا والصحيح « الحبل »
(٤٢) فتوح البلدان ٣٥٩ ـ ٦ (٤٣) اخبار القضاة ١١٧/٢
(٤٤) اخبار القضاة ١٢٢/٢
(٤٥) الصولي أخبار الراضي والمتقي ٩٩
(٤٦) فتوح البلدان ٣٦٠

الجزيرة التي هي مكان القلعة بنهر معقل ، وأحرقوا ايضا النحاسين وغيرهـا من الأماكن [٤٧] .

يمتد على نهر معقل أحد جسري البصرة ، وهو الجسر الاصغر ، وكان يقع في الطرف الشرقي من الكلاء[٤٨] .

أما الجسر الثاني فهو الجسر الاكبر ، ويدعى الجسر الاعظم [٤٩] ، ويبدو انه كان ممتدا على دجلة [٥٠] ، فهو يقع في شرق الجسر الاصغر وقد عسكر عند هذا الجسر المهلب بن ابي صفرة [٥١] ومصعب بن الزبير [٥٢] كما أقام عنده ابو جعفر المنصور عندما زار البصرة سنة ١٤٢ [٥٣] ، واصبح مكان اقامة ابي جعفر يسمى «عسكر ابي جعفر»[٥٤] .



(٤٧) ابن الاثير ٦٤/١٠
(٤٨) الطبري ١٢٥٠/٢ ، وانظر أيضا ٥٨٤/٢ ، ٥٩١
(٤٩) الطبري ٢٣٦٧/١ ، ٥٨٤/٢ ، ٥٩١ ، ٧١٩
(٥٠) الطبري ٢٠٢٥/١ ، أخبار القضاة ٧٦/٢
(٥١) أخبار القضاة ٧٦/٢
(٥٢) الطبري ٥٩١/٢ ، انساب الاشراف ٢٢٥٣/٥
(٥٣) الطبري ٧١٩/٢
(٥٤) تاريخ خليفة ٤٤٧ ، أخبار القضاة ٧٦/٢ ، الاغاني ٢٦٠/٧

الفصل الثالث عشر

نهر الابلة وشط عثمان :

نهر الابلة من أهم أنهار البصرة ، ويوازي ان لم يفق في أهميته نهر معقل وقد حفظ لنا البلاذري نصا عن تاريخ حفره فقال : « حدثني جماعة من أهل العلم قالوا : كان لدجلة العوراء ، وهي دجلة البصرة ، خور ، والخور طريق الماء لم يحفره أحد ، يجري فيه ماء الامطار اليها ويتراجع ماؤه فيه عند المد ، وينضب عند الجزر . وكان طوله قدر فرسخ . وكان لحده مما يلي البصرة فورة واسعة تسمى في الجاهلية الاجانة وسمته العرب في الاسلام الجزارة ، وهو على مقدار ثلاثة فراسخ من البصرة بالذرع الذي يكون به نهر الابلة كله أربعة فراسخ ، ومنه يبتدىء النهر الذي يعرف اليوم بنهر الاجانة .

فلما أمر عمر بن الخطاب (رض) أبا موسى الاشعري أن يحتفر لأهل البصرة نهراً ابتدأ الحفر من الأجانة وقاده ثلاثة فراسخ حتى بلغ به البصرة ، فصار طول نهر الابلة أربعة فراسخ ، ثم انطم ما بين البصرة وبثق الحيرى ، وذلك على قدر فرسخ من البصرة .

وكان زياد بن ابي سفيان واليا على الديوان وبيت المال من قبل عبدالله ابن عامر بن كريز ، وعبدالله يومئذ في البصرة من قبل عثمان بن عفان ، فأشار على ابن عامر ان ينفذ حفر نهر الابلة من حيث انطم حتى يبلغ به البصرة ، وكان يريث ذلك ويدافع به ، فلما شخص ابن عامر الى خراسان واستخلف زيادا ، أقرّ حفر أبي موسى الاشعري على حاله وحفر النهر من حيث انطم حتى بلغ به البصرة ، وولى ذلك عبدالرحمن بن ابي بكرة ، فلما فتح عبدالرحمن الماء جعل يركض فرسه ، والماء يكاد يسبقه[1] وقد نقل ياقوت

---

(١) فتوح البلدان ٣٥٦ ، وانظر ايضا ابن الفقيه ١٨٩ـ١٩٠ ، الجهشياري ٨٩

كلام البلاذري وأضاف « وهذا الى الآن على ذلك »[٢] .

أما الساجي فيقول في كتاب البصرة « ان نهر الجوبرة من أنهار البصرة القديمة ، وكان ماء دجلة ينتهي الى فوهة الجوبرة فيستنقع فيه الماء مثل البركة الواسعة ، فكان أهل البصرة يدنون منه أحيانا ويغسلون ثيابهم ، وكانت فيه اجاجين وانقرة وخرت وآلات القصار فلذلك سمى نهر الاجانة »[٣] ، وقد ذكر البلاذري ان « الجوبرة صيد فيها الجوبرة فسميت بذلك »[٤] .

ويقول أيضا ان زياداً « ترك نهر أبي موسى ، وهو الاجانة ، واحتفر من دجلة الى مسناة البصرة ثم قاده مع المسناة الى التيراب فيض البصرة »[٥].

ويقول المدائني « نزل البصرة على عين ماء لا ماء الاجانة ، واليه ينتهي خليج الاجانة حتى كلم الاحنف عمر ، فكتب الى ابي موسى يأمره ان يحفر لهم نهرا ، فاحفر من الاجانة ، من الموضع الذي يقال له ايكن وكان قد حفره الماء ، فحفره ابو موسى وعبره الى البصرة ، فلما استغنى الناس عنه طموه من البصرة الى بثق الحيرى ، ورسمه قائم الى اليوم »[٦] واذا اعتبرنا المعلومات الواردة في هذه النصوص الثلاثة ، وهي الوحيدة المتوفرة لدى ، متكاملة ، فان كان قرب نهر الابلة خور طوله فرسخ ، في آخره موضع يدعى ايكن ، وعليه فوهة نهر الجوبرة ، ويمتد منها الى جهة البصرة غورة في الارض تتجمع فيه المياه المستنقعة تدعى الاجانة وفي نهاية الفرسخ الثاني منه مكان يسمى بثق الحيرى الذي يبعد عن البصرة فرسخا واحدا وانه تم في زمن عمر ابن الخطاب وصل مستنقع الاجانة بنهر الابلة ، ثم وصل بالبصرة ولكن يبدو ان الحفر لم يكن منظما أو عميقا ، ولم يعن بكريه وتنظيمه ، ولذلك انطم

(٢) ياقوت الحموي ٨٣٢/١ ـ ٣ (٣) ياقوت ٨٣٣/٤
(٤) فتوح البلدان ٣٦٢ وانظر ايضا ياقوت ١٤١/٢
(٥) ياقوت ٩٠٥/١ (٦) ياقوت ٨٣٢/٤

بعد أمد قصير ، فأعاد زياد في زمن عثمان بن عفان حفره وتعميقه ، غير أن الحفر الجديد كان قريبا من الحفر القديم وليس مجرد تعميق للحفر القديم .

ويقول خليفة بن خياط انه في سنة ٣٠ احتفر زياد نهر الابلة حتى انتهى به الى موضع الجبل (الحبل ؟) والذي ولي حفره لزياد عبدالرحمن بن أبي بكرة وهو يومئذ ابن ست عشرة سنة »[٧] ولعل الخور المشار اليه موقعه عند نهر الخورة الحالي على بعد قرابة كيلومتر جنوبي نهر العشار ، وانه جرت محاولة لمده الى البصرة ، ثم مد نهر الابلة ووصل نهر الخور به .

وقد نشرت دراسات حديثة لتعيين فوهة نهر الابلة ، فقدر الشيخ عبدالقادر باش اعيان موقعها قرب كوت الزين مقابل المحمرة[٨] ، ورجح الدكتور مصطفى جواد انه جنوب نهر العشار الحالي وانه هو نهر الخورة[٩].

وناقش الدكتور محمد طارق الكاتب هذه الآراء ورجح ان نهر الابلة هو نهر العشار الحالي[١٠] .

الفيض :

يروي البلاذري عن أبي عتبة ان زياداً لما تولى البصرة عندما كان عبدالله ابن عامر في خراسان أتم حفر الابلة ، ثم قام بحفر الفيض[١١] ، و « كان احتفاره الفيض من لدن دار فيل مولى زياد وحاجبه الى موضع الجسر »[١٢] .

ويقول الساجي ان زيادا « ترك نهر أبي موسى وهو الاجانة ، واحتفر من دجلة الى مسناة البصرة، ثم قاده مع المسناة الى التيراب فيض البصرة»[١٣].

ويقول خليفة انه في سنة ٣١ افتتح ابن عامر فيض البصرة من الطازات فشقه وسط البصرة[١٤] .

---

(٧) تاريخ خليفة ١٤٢
(٨) البصرة في أدوارها التاريخية
(٩) سومر م ٩ ص ٦٣
(١٠) شط العرب في البصرة والتاريخ ٩٤ ـ ١٠٣
(١١) فتوح البلدان ٣٥٦
(١٢) فتوح البلدان ٣٥٧
(١٣) ياقوت ١/٦٠٥
(١٤) تاريخ خليفة ١٤٣

لم أجد في المصادر ذكرا للتيراب ولا للطازات •

اما الفيض فقد تردد ذكره في أخبار الازمنة الاولى للبصرة ، وذكره اللغويون البصريون والجغرافيون العرب •

فاما اللغويون فقد كان كلامهم مقتضباً[١٥] •

واما الجغرافيون فقد ذكر ياقوت « فياض نهر بالبصرة قديم واسع عليه قرى ومزارع ، قاله نصر ، والمعروف الفيض »[١٦] •

وقال ناصري خسرو ان نهري معقل والابلة (وقد سماهما القناتين) « يلتقيان ويكونان قناة واحدة تسير مسافة فرسخ واحد ناحية الجنوب »[١٧]، ولكنه لا يذكر مصباً له •

ويذكر سهراب « ان انهار دجلة الغربية كلها تصب الى فيض البصرة ، والفيض يصب في دجلة العوراء عند عبادان »[١٨] •

في الاخبار الواسعة التي أوردها الطبري عن حركات صاحب الزنج ، ذكر فيها نهر الفياض ، وموقعه في بعض النصوص قرب النهر اليهودي وفي البعض الاخر عند نهر الامير الذي يقع على بعد فرسخ جنوبي نهر أبي الخصيب •

فقد ذكر مالكاً قائد الزنج « أقام في مؤخر النهر اليهودي ، فعسكر هنالك في موضع قريب من النهر المعروف بالفياض ، فكانت المير تتصل بعسكر الخبيث مما يلي سبخة الفياض »[١٩] •

وذكر أيضا ان ارخنج المطهرى ، وهو قرب دبا « ينفذ الى نهر الامير المقابل للفياض من جانبيه »[٢٠] وان صاحب الزنج عندما كان في دبا اطلق سراح أحد الاسرى « ووجه معه من صيره الى الفياض »[٢١] وان الموفق أمر

---

(١٥) انظر الجمهرة ٩٩٩/٣ ، لسان العرب ٧٦/٩ ، الصحاح للجوهري ٥٣٦/١

(١٦) ياقوت ٩٢٦/٣

(١٧) سفرنامه ١٤٦

(١٨) سهراب ١٣٦

(١٩) الطبري ٢٠١٥/٣

(٢٠) كذلك ١٧٤٢/٣

(٢١) كذلك ١٧٧٤/٣

ابنه « ابا العباس بالمصير الى نهر الأمير والنهر المعروف بالفياض »[٢٢] .

والراجح ان الفياض هو اسم نهر الفيض في مجراه الادنى ، وانه يصل الى نهرالاميروربماالىأبعد من ذلك ، ولا يصب في دجلة ، بل قد يصب فيما نسميه اليوم خور عبدالله .

الانهار الآخذة من الابلة :

تأخذ من الابلة عدة أنهار منها :

١ ــ نهر ازّى الذي يقول الساجي ان نهر الاجانة اتصل به[٢٣] .

٢ ــ حمرانان وهيقطيعة منالخليفة عثمان بنعفان لمولاهحمران بن ابان[٢٤].

٣ ــ نهر مرّة وهو يروي مائة جريب[٢٥] ، وكان الثوري يمتلك عليه خمسمائة جريب تمتد من هذا النهر الى كرسي الصدقة[٢٦] .

٤ ــ نافعان ، وهي قطيعة نافع بن الحرث الثقفي[٢٧] .

٥ ــ شبلان[٢٨] .

٦ ــ نهر بشّار[٢٩] ، وهو منسوب الى بشّار اخي قتيبة[٣٠] ويسقي أرضا مساحتها اربعمائة ، أو سبعمائة جريب[٣١] .

٧ ــ ربيعتان ، وهو يسقى ارضا لربيعة بن الصلت[٣٢] .

٨ ــ اشعب ابي عامر[٣٣] .

---

(٢٢) كذلك ٣/٢٠١٥ — (٢٣) ياقوت ٤/١٢٤
(٢٤) ياقوت ٤/٨٢٤ وانظر ايضا البلدان ٣٥٧
(٢٥) فتوح البلدان ٢٥٤ — (٢٦) البخلاء ٩١
(٢٧) فتوح البلدان ٢٥٠ — (٢٨) ياقوت ٢/٢٥٦
(٢٩) ياقوت ٢/١٨٤ — (٣٠) المعارف ٨/١٧
(٣١) ياقوت ١/٦٢٧ — (٣٢) الاشتقاق ٣٠٤
(٣٣) ياقوت ٣/٢٩٤ .

ولا نستطيع ان نحدد بدقة مواقع هذه الانهار ، كما اننا لا نستطيع تحديد موقع كراباذ التي يقول مسكويه انها تبعد عن الابلة فرسخا[٣٤] .

وتقع بلدة الابلّة في الجانب الشمالي من النهر وعلى زاوية ملتقاه بدجلة، وفيها مسجد العشار[٣٥] .

لم يكن نهر الابلة صالحا لملاحة السفن الكبيرة بسبب وجود دوّارة في مدخله تعيق دخول السفن ، وقد ظل هذا الوضع الى ان أمرت زبيدة باغراق سفن محملة بالحجارة في الدوارة فسدتها وانتظم مجرى النهر ، غير ان الابلة ظلت الميناء الرئيس لسفن البحر[٣٦] .

شـط عثمـان :

وفي جنوبي نهر الابلة يمتد شط عثمان ، وهو اقطاع واسع يبلغ عشرة آلاف جريب اقطعها الخليفة عثمان بن عفان لعثمان بن أبي العاص الثقفي . ونقل ياقوت كتاب اقطاع الخليفة وفيه تحديد هذا الاقطاع . وقد جاء فيه « هذا كتاب عبدالله عثمان امير المؤمنين لعثمان بن ابي العاص ، اني اعطيتك الشط لمن ذهب الى الابلة من البصرة ، والمقابلة لقرية الابلة ، والقرية التي كان الاشعري عمل فيها ، واعطيتك ما كان الاشعري عمل من ذلك ، واعطيتك براح ذلك الشط اجمة وسبخة فيما بين الخرارة الى دير جابيل الى القبرين اللذين على الشط المقابلين للابلة.. وكتب تاريخه لثمان بقين من جمادي الاخرة سنة تسع وعشرين »[٣٧] ويقول القحذمي ان عثمان بن ابي العاص اشترى هذا الاقطاع بمال له في الطائف ، أو بدار زيدت في المسجد[٣٨] .

---

(٣٤) تجارب الامم ٢٩٤/١

(٣٥) تاريخ خليفة ٩٨ سنن ابي داود ١٨٩/٤ المقدسي ١١٨

(٣٦) الاصطخري ٨١ ، ابن حوقل ٢٢٧/١ سفرنامه ٩٩

(٣٨) ياقوت ٢٩٠/٣ ، ويذكر ابن دريد ان عمر بن الخطاب هو الذي اقطع عثمان بن أبي العاص شط عثمان (اشتقاق ٣٠٢) ، غير ان هذه الرواية مشكوك فيها لان عمر لم يشجع الاقطاعات ؛ ولا يعقل ان يقطع هذه الارض الواسعة

ويتبين من هذا الكتاب ان شط عثمان اقطاع واسع يمتد من الابلة الى الخرارة ، أي حوالي فرسخ ، وضلعها الاخر يمتد على شاطيء دجلة العوراء الى دير جابيل .

ويقول القاسم بن سلام « أرض البصرة كانت يومئذ كلها سباخاً وآجاماً، فاقطع عثمان بن عفان عثمان بن أبي العاص الثقفي بعضها فاستخرجها وأحياها[٣٨] .

كان شط عثمان اقطاعا واسعا ليس له نهر خاص به ، وانما قسم الى اقطاعات صغرى لكل منها نهر ، فيذكر البلاذري ان عثمان بن أبي العاص « اقطع أخاه حفص بن أبي حفص حفصان .

واقطع ابا امية بن ابي العاص أميتان .

واقطع الحكم بن ابي العاصي حكمان .

واقطع اخاه المغيرة مغيرتان .

فكان نهر الارحاء لابي عمرو بن ابي العاصي الثقفي .

.. واقطع زياد في الشط الجموم ، وهي زيادان »[٣٩] .

وكان زياد يمهل المقطعين سنتين ، فاذا لم يعمروها خلال ذلك استردها منهم ، وبهذه القاعدة أصبحت الجموم لابي بكرة ، ثم صارت لعبدالرحمن ابن أبي بكرة ، ويبدو انها انتقلت فيما بعد الى زياد مولى بني الهيثم لان البلاذري يقول « زيادان نسب الى زياد مولى بني الهيثم »[٤٠] .

ولابد ان هذه الاقطاعات كان لكل منها انهار فرعية ترويها ، غير اننا لا نستطيع تحديد مواقعها بدقة ، ولا نعلم فيما اذا كانت تأخذ مياهها من الابلة أو من دجلة العوراء .

اما المنطقة الواقعة بين البصرة وشط عثمان ، فان وكيعاً ذكر ما يشير

---

(٣٨) الاموال ٢٨٤ .
(٣٩) فتوح البلدان ٣٦١
(٤٠) فتوح البلدان ٣٦١

الى ما كان حولها حيث روي عن خالد بن عبدالعزيز الثقفي « ان يحيى بن خالد ابتاع من الرشيدالسباخ وبعث القصبي في حيازتها ، فقدم فسكن (سكر ؟) انهار الشط ، وادعى ليحيى نحوا من شطر أموال الناس واحضر أربعة نفر شهدوا على جرايته من يحيى ، فأنفذ عمر (بنحبيب العدوي القاضي) شهادتهم ثم احضرهم بأعيانهم في نحو من ستين ؛ فشهدوا أن آخر حقوق الناس مسناة الوحش ، وهي مسناة كان الناس سنّوها على عماراتهم ليحولوا بين الوحش وبين خراب ما عمروا ؛ وكانت على نحو ميل من دجلة ، وكانت حقوق الناس وراءها الى نهر يدعى الحاجر كان أبو جعفر أمر بحفره للحول بين الناس وبين الدخول في السباخ ، فيأخذوا أكثر من قطائعهم ، فكان الحاجر محفورا من نهر الاساورة بالبصرة الى دير خائل (جابيل ؟)[41] ، ان هذا النص يظهر ان مسناة الوحش ونهر الحاجر كانا يمتدان من الشمال الى الجنوب وان نهر الحاجر يقع في الطرف الغربي القريب من الصحراء ، وان طرفه الشمالي يصل نهر الأساورة ، وطرفه الجنوبي ينتهي عند دير جابيل .

فأما نهر الاساورة فقد حفره عبدالله بن عامر سنة ٣١ [42] وهو يبدأ من دار فيل الذي يبدأ منه نهر الفيض[43] ويذكر خليفة انه يمتد الى الشباك التي تقع قرب سفوان[44] ، أي ان هذا النهر يمتد مسافة طويلة الى الجنوب الغربي من البصرة ، غير انه لم يذكر في الاخبار المفصلة التي اوردها الطبري عن حركات صاحب الزنج في هذه المنطقة ، ولعل خليفة اطلق اسمه على الحاجر الذي كان يبدأ بنهر الاساورة ويجري جنوبا ، وان لم يكن يصل الى الشباك كما زعم خليفة .

سمي نهر الاساورة باسم القوة العسكرية التي قاتلت العرب في الاحواز

---

(٤١) أخبار القضاة ١٤٣/٢ ـ ٤

(٤٢) تاريخ خليفة ١٤٣ ، فتوح البلدان ٣٥٧ ، ٣٧٢

(٤٣) فتوح البلدان ٣٥٧ (٤٤) تاريخ خليفة ١٤٢

ثم انضمت الى العرب لقاء منحهم نفس امتيازات العرب في العطاء ، وقد اسكنت هذه القوة في البصرة ، وحالفوا بني تميم ، وكانت منهم أم عبيدالله ابن زياد والي البصرة . والراجح انه كان يجري في الجهات الجنوبية الغربية من البصرة حيث كانت خطط بني تميم(٤٥) . ولما ترك عبيدالله بن زياد البصرة بعد وفاة يزيد تقدم الخوارج ونزلوه(٤٦) .



---

(٤٥) انظر التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص
(٤٦) انساب الاشراف ٤ ــ ٢/٩٨

المعالم العمرانية
في المناطق الشمالية والشرقية

البطيحة

الفصل الرابع عشر

انهار الأطراف الجنوبية

لم يذكر من الانهار التي تخترق البصرة غير نهر أم عبدالله الذي حفره عبدالله بن عامر في ولايته البصرة وكان هذا النهر يمر في وسط البصرة وسوقها[١] ، ولم تذكر المصادر مأخذ هذا النهر ، غير ان البلاذري يذكر انه كان يمر ببيوت البصرة ، ونقل قولا لحارثة بن بدر الغداني يظهر فوائد هذا النهر وأضراره لاهل البصرة ، فقد كان « يستقي منه الضعفاء من أبواب دورهم ، ويأتيهم منافعهم فيه الى منازلهم ، وهو مغيض لمياههم » غير انه « ينز منه دورهم ، ويبعضون له في منازلهم ويغرق فيه صبيانهم »[٢]. وكان على نهر أم عبدالله نخل أمر بعقره عبيدالله بن زياد عندما وصله خبر موت يزيد[٣] .

أما الانهار الاخرى في الاطراف الجنوبية من مدينة البصرة فقد ورد ذكر كثير منها في الوصف المفصل الذي قدمه الطبري عن حركات صاحب الزنج عندما تقدم من الاحواز الى البصرة في سنة ٢٥٥ ، فقد ذكر الطبري ان صاحب الزنج عبر دجلة عند دبا ثم « سار حتى الارخنج المعروف بالمطهري ، وهو ارخنج ينفذ الى نهر الامير المقابل للفياض من جانبيه .. ومضى حتى انتهى الى قصر يعرف بالجوهري على السبخة المعروفة بالبرامكة .. ثم سار حين أصبح حتى وافى السبخة التي تشرع على النهر المعروف بالديناري ، ومؤخرها يفضي الى النهر المعروف بالمحدث ؛ وبعد ان بات ليلته تابع سيره نحو البصرة » .. حتى اذا قابل النهر المعروف بالرياحي اخبر انه قد آتاه قوم من ناحية القرية الشارع على نهر حرب المعروفة بالجعفرية »[٤] .

---

(١) تاريخ خليفة ١٤٣ ، المعارف ١٤٠

(٢) فتوح البلدان ٣٥٩ ، الحيوان ١٩٨/٥

(٣) فتوح البلدان ٣٧١

(٤) الطبري ١٧٧٦/٣

وعند نهر حرب اشتبك مع أهل البصرة في معركة انهزموا فيها الى نهر حرب ، وفي اليوم التالي قاتل أهل البصرة ودحرهم ، وطارد بعضهم الى نهر نافذ ، وتوغل بعض قواده الى نهر الشاذاني ، ثم اتخذ صاحب الزنج مقرا له في قنطرة على نهر كثير[٥] وقام بحركة استطلاعية الى نهر السيابجة ، واشتبك في قتال مع البصريين واندحر فوقع أصحابه في نهر كثير ، ونهر الشيطاني ، ونهر الشاذاني ، فحول مقره الى مكان يدعى المعلى على نهر شيطان[٦] .

ثم تقدم أهل البصرة للهجوم على مقر صاحب الزنج ، وسلكوا نهر أم حبيب ولكنهم اندحروا فعادوا الى البصرة مذعورين ، وأرسل صاحب الزنج رؤوس عدد من قتلاهم في قارب أخرجه من نهر أم حبيب نحو البصرة فوقف القارب عند مشرعة القيار [٧] .

وبعد هذا الانتصار الكبير انصرف صاحب الزنج «باصحابه الى سبخة بمآخير انهارهم ، أردب يقارب النهر المعروف بالحاجر ، قال شبل هي سبخة أبي قرة موقعها بين النهرين : نهر أبي قرة والنهر المعروف بالحاجر .. وهذه السبخة متوسطة النخل والقرى والعمارات »[٨] .

ان الاماكن المذكورة في هذا الوصف متتابعة من الجنوب الى الشمال ، وأقربها الى البصرة هي قنطرة نهر كثير ونهر شيطان .

ويتبين من هذا الوصف ان نهر أم حبيب كان يمتد في جنوب البصرة الى الغرب من نهر شيطان ، وانه كانت تقع عليه عند البصرة مشرعة القيار وقد سمي هذا النهر بام حبيب ابنة زياد بن ابي سفيان[٩] ، وكان نهرا واسعا تدخله الشذا والسفن [١٠] وكان على هذا النهر قصر هزاردر ، وهو قصر كثير الابواب ، وروى المدائني ان هذا القصر بناه شيرويه الاسواري لمرجانة

---

(٥) الطبري ١٧٧٩/٣
(٦) الطبري ١٧٨١/٣ ـ ٢
(٧) الطبري ١٧٨٦/٣
(٨) الطبري ١٧٨٦/٣ ـ ٧
(٩) فتوح البلدان ٣٥٧
(١٠) الطبري ١٧٨٣/٣

أم عبيدالله بن زياد لما تزوجها [١١] ، ولعله لم يكن بعيدا عن نهر الاساورة .

أما نهر السيابجة فقد سمى بقوم أصلهم من السند ، استوطنوا البصرة وحالفوا بني تميم وكانوا يحرسون المسجد الجامع بالبصرة[١٢] .

أما نهر ابي قرة فقد ذكر الطبري ان صاحب الزنج بعد ان اوقع بأهل البصرة « انصرف باصحابه الى سبخة بمآخير انهارهم اردب يقارب النهر المعروف بالحاجر .. هي سبخة ابي قرة ، وموقعها بين النهرين نهر ابي قرة والنهر المعروف بالحاجر[١٣] والاردب هي القناة التي يجري فيها الماء على وجه الارض[١٤] ، ولايبعد ان تكون على هذا النهر موقع قنطرة قرة التي يذكر البلاذري انها نسبت الى قرة بن حيان الباهلي وكان عندها نهر قديم اشترته ام عبدالله بن عامر فتصدقت به مغيضا لاهل البصرة»[١٥] ، وذكر خليفة بن خياط ان بحضرتها دار ولد شقران مولى الرسول[١٦] ، وذكر الجاحظ انه كانت حمام افراذ اذين في قنطرة قرة[١٧] وكانت عند هذه القنطرة دار عبدالله ابن ذرة [١٨] .

اما نهر كثير فربما كان النهر الذي ذكر البلاذري انه منسوب الى ابي العاج كثير بن عبدالله السلمي عامل يوسف بن عمر ، وانه يمتد من نهر ابن عتبة الى الخستل[١٩] ، ويذكر البلاذري ايضا نهر عمرو بن عتبة بن ابي سفيان [٢٠] . وقد ذكر النهر الاخير مع الاساورة ونهر أم حبيب وهزاردر ، ولعل ذكرهم معا ناجم عن تقارب مواقعهم . ويجدر التنبيه الى ان الخستل هي غير الخست التي تقع في طرف البطيحة، ونهر كثير قريب من نهر السيابجة،

---

(١١) فتوح البلدان ٣٥٨
(١٢) فتوح البلدان ٣٧٤
(١٣) الطبري ١٧٨٦/٣
(١٤) لسان العرب ٤٠١/١
(١٥) فتوح البلدان ٣٧١
(١٦) الطبقات لخليفة ن حياط ٧
(١٧) كتاب البرصان ٢٦١
(١٨) طبقات خليفة ١٧٧
(١٩) فتوح البلدان ٣٦٤
(٢٠) كذلك ٣٥٧

حيث ان صاحب الزنج عندما كان مقيما على قنطرة نهر كثير أرسل قوة استطلاعية الى نهر السيابيجة[٢١] اما قنطرة نهر كثير فلم ترد في المصادر اشارة اخرى اليها •

اما نهر الشاذاني فان نص الطبري المذكور اعلاه يظهر انه يقع شمالي نهر كثير حيث ان قوات صاحب الزنج طاردت البصريين بعد انكسارهم اليه ، ولم ترد في المصادر اشارة اخرى الى هذا النهر أو الى من تسمى باسمه •

أما نهر شيطان فيبدو انه يقع جنوبي نهر كثير ، لان صاحب الزنج انتقل اليه بعد ان دحره البصريون[٢٢] ، ويذكر ابن الفقيه ان زياداً حفره[٢٣] •

أما نهر نافذ فقد ذكر الطبري ان صاحب الزنج بعد ان كسر البصريين عند نهر حرب حتى وصلوا اليه • ويذكر الطبري في مكان آخر ان بهبوذ قائد الزنج « اجتاز من مؤخر نهر ابي الخصيب ، واعترض في معترض يؤدي الى النهر المعروف باليهودي ، ثم سلك نهر نافذ حتى خرج منه الى نهر الابلة (ثم عاد) فولج النهر المعروف بالسعيدي ، وهو نهر يؤدي الى نهر ابي الخصيب[٢٤] وهذا النهر بالقرب من نهر حرب[٢٥] كما انه قريب من هزاردر اذ ان الطبري يذكر ان الزينبي القائد العباسي عسكر بقرب هذا النهر، فأرسل اليه صاحب الزنج من قاتل من ناحية نافذ وناحية هزاردر فانهزم[٢٦]•

ويذكر البلاذري ان نهر نافذ سمي بنافذ مولى عبدالله بن عامر ، وكان قد تولى حفره لعبدالله ، ثم اصبح النهر لآل الفضل بن عبدالرحمن بن الحارث ابن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب[٢٧] •

وفي هذه المنطقة يقع نهر المغيرة بين دير جابيل ونهر ابي الخصيب[٢٨]

---

(٢١) الطبري ٣/١٧٨١

(٢٢) ابن الفقيه ١٢١

(٢٣) الطبري ٣/١٩٨٠

(٢٤) الطبري ٣/٢٠٢٢

(٢٥) الطبري ٣/١٧٧٨

(٢٦) الطبري ٣/١٨٣٥

(٢٧) فتوح البلدان ٣٥٩

(٢٨) الطبري ٣/١٩٨٨

ولما تقدم الموفق من دجلة لمقاتلة صاحب الزنج ، اختار موضعا في الجانب الغربي من دجلة يعسكر به فيما بين دير جابيل ونهر المغيرة ، وأمر بقطع النخل واصلاح موضع الخندق ، وان يحف بالخنادق ويحصن السور ليأمن بيات الفجار(٢٩) ، ولما استولى الموفق على نهر أبي الخصيب أمر ابنه أباالعباس «بالقصد في أصحابه الى الموضع المعروف بعسكر ريحان ، وهو بين النهر السفياني والموضع الذي لجأ اليه صاحب الزنج ، وان يكون سلوكه بجيشه في نهر المغيرة ، حتى يخرج بهم في معترض نهر ابي الخصيب فيوافي منه عسكر صاحب الزنج»(٣٠) . ومما يؤيد موقع نهر المغيرة هو ان الموفق عندما اتخذ مقره في الفرات وزع قواته ، فوضع نصيرا في أول العسكر ، آخره بالموضع الموازي لنهر جوى كور وجعل زيرك التركي موازيا مابين نهر ابي الخصيب والنهر المعروف بالمغيرة(٣١) .

ذكرنا ان صاحب الزنج وصل الشاذاني بعد ان تحرك من الجعفرية (٣٢) ، ان الجعفرية قرية تشرع على نهر حرب(٣٣) وهي في غربي النهر ، وعندها سبخة(٣٤) .

أما نهر حرب ، فكانت عليه قنطرة (٣٥) ، وقد نسب هذا النهر الى سلم ابن زياد ، وصارت فيما بعد لعبد الاعلى حفيد عبدالله بن عامر (٣٦) .

أما نهر الرياحي فيقع جنوبي نهر حرب(٣٧) وهو منسوب الى رياح مولى آل جدعان(٣٨) .

أما النهر المحدث الذي تفضي اليه سبخة نهر الديناري(٣٩) فلم أجد له ذكرا في المصادر .

---

(٢٩) الطبري ٣/٢٠٢٠
(٣٠) الطبري ٣/٢٠٩١
(٣١) الطبري ٣/١٩٨٨
(٣٢) الطبري ٣/١٧٧٩
(٣٣) الطبري ٣/١٧٧٧
(٣٤) الطبري ٣/١٧٧٩
(٣٥) الطبري ٣/١٨٨١
(٣٦) فتوح البلدان ٣٥٨
(٣٧) الطبري ٣/١٧٣٦
(٣٨) فتوح البلدان ٣٦٤
(٣٩) الطبري ٣/١٧٧٦

اما النهر الديناري فقد نزله صاحب الزنج بعد ان أعلن ثورته في فرات البصرة ، وقد عبر دجلة للوصول اليه [٤٠] كما لجأ اليه انكلاي ابن صاحب الزنج بعد مقتل أبيه ، « وأقام فيه متخفيا بالادغال والآجام »[٤١] .

الانهار بعد دير جابيل :

ذكر سهراب الانهار الرئيسة التي تأخذ من دجلة في الجانب الغربي بعد الابلة وحدد مواقعها التقريبية ، كما أورد الطبري عددا من الانهار في تلك المنطقة منسقة حسب مواقعها .

فقد ذكر سهراب ان نهر الابلة يتلوه النهر اليهودي ، وبينهما اربعة فراسخ ، ثم نهر ابي الخصيب وبينهما فوسخ ، ثم نهر الامير وبينهما فرسخ ، ثم القندل وبينهما فرسخان[٤٢] .

وذكر الطبري ان الموفق عندما استقر في الموفقية واستعد لمهاجمة صاحب الزنج رتب قواته بحيث وضع نصيرا في أول العسكر ، آخره بالموضع الموازي لنهر جوي كور ، يتلوه زيرك ومكانه موازيا مابين نهر أبي الخصيب ونهر المغيرة .

ثم يتلو ذلك قوات علي بن الجهشيار ، فمضارب ابي احمد وابنه حيال دير جابيل [٤٣] .

وذكر الطبري ايضا توزيع الموفق قواته عندما عبر الجانب الغربي لدخول مدينة صاحب الزنج .

فقد أمر صاعد بن مخلد بالخروج على نهر ابي شاكر وتقدم القواد من مواليه وغلمانه من فوهة نهر ابي الخصيب الى نهر الغربي وكان فيمن خرج من حد دار الكرنبائي الى نهر ابي شاكر راشد ولؤلؤ .. ومن نهر ابي شاكر

---

(٤٠) الطبري ٣/١٧٤٢
(٤١) الطبري ٣/٢٠٩٣
(٤٢) سهراب ١٣٦
(٤٣) الطبري ٣/١٩٨٨

الى النهر المعروف بجوى كور جماعة من قواد الموالي والغلمان ثم من نهر جوى كور الى نهر الغربي مثل ذلك •

وأمر شبلا ان يقصد في أصحابه ومن ضم اليه الى نهر الغربي •

•• دار الكرنبائي بفوهة نهر ابي الخصيب [٤٤] •

ويتبين من مجمل هذه ان المواقع تتابع من الشمال الى الجنوب كما يلي : دير جابيل ـ نهر المغيرة ـ نهر أبي الخصيب ـ نهر أبي شاكر ـ نهر جوى كور ـ نهر الغربي • ثم نهر الامير فالقندل •

فأما النهر اليهودي فانه يقع بين نهر الابلة وابي الخصيب ، وهو يبعد عن الابلة أربعة فراسخ ، وعن ابي الخصيب فرسخا[٤٥] ، وهو يقابل نهر جطى الذي يقع في الجانب الشرقي من دجلة[٤٦] ، ولايزال محتفظا باسمه اليوم •

وفي أواخر نهر اليهودي تقع المطوعة[٤٧] وكان قد عسكر فيها سليمان ابن جامع قبل توجه جيوش صاحب الزنج الى البطيحة[٤٨] وقد ذكر المقدسي المطوعة من مدن البصرة[٤٩] •

وبالقرب من المطوعة يقع النهر السعيدي الذي يؤدي الى ابي الخصيب[٥٠] وبالقرب منه أيضا يقع الفياض ، حيث ان الطبري يذكر ان مالكا قائد الزنج لما انهزم من مكانه في الديناري ، رده صاحب الزنج في جمع الى مؤخر النهر اليهودي فعسكر بقرب نهر الفياض في مؤخر الديناري[٥١] وسنتحدث عن نهر الديناري وموقعه فيما بعد •

ويجدر ان نذكر هنا عددا من الانهار الواقعة في هذه المنطقة فمن هذه

---

(٤٤) الطبري ٢٠٨٦/٣ ـ ٧

(٤٥) سهراب ١٣٦

(٤٦) الطبري ١٩٨٦/٣

(٤٧) الطبري ٢٠٠٧/٣

(٤٨) الطبري ١٩٠٠/٣

(٤٩) احسن التقاسيم ٥٣ ، ١١٤

(٥٠) الطبري ٢٠٢٢/٣

(٥١) الطبري ٢٠١٣/٣ ـ ١٥

الانهار النهر السفياني الذي لجأ اليه صاحب الزنج بعد ان أقصاه الموفـق عن ابي الخصيب[٥٢] .

وبالقرب من نهر السفياني يقع عسكر ريحان «وهو بين النهر المعروف بالسفياني والموضع الذي لجأ اليه» وقد أمر الموفق ابنه ابا العباس بالقصد في أصحابه الى عسكر ريحان وان يكون سلوكه بجيشه في النهر المعروف بنهر المغيرة ، حتى يخرج بهم في معترض نهر ابي الخصيب[٥٣] .

وبالقرب من النهر السفياني ، وفي جنوبيـه يقـع نهر القواريري ونهر المساوان ، حيث ان الموفق وصل الى هذين النهرين عندما طارد صـاحب الزنج وأقصاه عن نهر السفياني[٥٤] .



(٥٢) الطبري ٣/٢٠٨٨ (٥٣) الطبري ٣/٢٠٩١

(٥٤) الطبري ٣/٢٠٨٨ ـ ٩

الفصل الخامس عشر

نهر ابي الخصيب وما حوله

نهر أبي الخصيب نسب الى أبي الخصيب مرزوق مولى ابي جعفر المنصور[1] وهو يسمى أيضا نهر الاتراك[2] ولم تذكر المصادر سبب هذه التسمية .

كان نهر أبي الخصيب نهرا عريضا غزير الماء[3] ، ولم يكن عليه جسر أو قنطرة[4] عندما ثار صاحب الزنج الذي اتخذ مقره على هذا النهر ووضع على فوهته « سلسلة حديد عظيمة قطع بها نهر ابي الخصيب ليمنع الشذا من دخوله » ، كما شيد عليه أيضا قنطرة بالساج[5] ولما هدم الموفق القنطرة اعاد صاحب الزنج اصلاحها ونصب دونها ادقالا وصب بعضها ببعض وألبسها الحديد واسكر امام ذلك سكرا بالحجارة ليضيق المدخل على الشذا وتحتد جريه الماء فيه »[6] .

ثم نصب صاحب الزنج وراء القنطرة جسرين عظيمين[7] فاما الجسر الاول فكانت في وسطه ادقال محكمة هدمت بعد حرقه ، وكانت بقربه الحضيرة التي تعمل فيها الشذوات والسميرات وجميع الآلات التي كان صاحب الزنج يحارب بها[8] . ويبدو انه كانت بالقرب من الحضيرة دار مصلح ، والسجن[9] .

---

(1) فتوح البلدان ٣٦١
(2) الطبري ١٩٨٨/٣ ، ٢٠٠١ ، ٢٠٠٤
(3) الطبري ٢٠٠٣/٣ — ٤
(4) كذلك ١٨٦٥/٣
(5) كذلك ٢٠٤٦/٣
(6) كذلك ٢٠٤٦/٣
(7) كذلك ٢٠٤٦/٣ ، ٢٠٥٠
(8) كذلك ٢٠٦١/٣
(9) كذلك ٢٠٦٢/٣

وبالقرب من الجسر تقع دار الهمداني ، وهو احد قادة جيش صاحب الزنج ، وكانت هذه الدار محصنة بسور عال ، وتولى صاحبها حياطتها ابان حركات الزنج[١٠] ، وكان يسكنها خلق كثير[١١] ، وفي ظهرها سوق عظيمة اسمها سوق المباركة ، وقد حوصرت هذه السوق من جهة الدار ومن جهة نهر أبي شاكر ، وكان لاستيلاء الموفق عليها أثر سيء على أحوال صاحب الزنج[١٢] .

اما الجسر الثاني فقد كان بقربه المسجد الجامع الذي اقامه صاحب الزنج ، ويبدأ منه شارع يؤدي الى مصلى الأعياد في طرف الصحراء ، وبالقرب من المصلى يقع جبل ابي عمرو اخي المهلب ، وكذلك جبل ابي مقاتل الزنجي[١٣] .

ولعل في هذه المنطقة كان منزل احمد بن موسى القلوص ، وهو من المنازل الواغلة التي أقام فيها صاحب الزنج مع عياله وولده ، وكان بقربها سوق الحسن الذي أصبح السوق الرئيس بعد انتقاله الى دار القلوص[١٤] .

وفي أواخر الجانب الغربي دار المهلبي[١٥] وكانت محصنة يسكن قربها خلق كثير[١٦] ، وقد لجأ اليها صاحب الزنج بعد ان دخل جند الموفق دار ابي عيسى[١٧] .

غير ان ابرز ما في الجانب الغربي الذي تحول اليه صاحب الزنج واتخذ مقره فيه هو مدينته التي اسسها[١٨] وقد سماها المختارة « وكانت في منعتها وحصانتها بالسور والخنادق المحيطة بها ، وما عوّر من الطرق المؤدية اليها

---

(١٠) الطبري ٣/٢٠٥٤ ؛ وانظر ٣/٢٠٠٤
(١١) ٣/٢٠٧٥ (١٢) الطبري ٣/٢٠٥٥
(١٣) ٣/٢٠٦٤ ؛ ٢٠٦٥ ، وانظر عن المسجد الجامع ٣/٢٠٣٤
(١٤) ٣/٢٠٥٣ (١٥) ٣/٢٠٧٥ ، ٢٠٨٧ ، ٢٠٨٨ .
(١٦) ٣/٢٠٧٤ (١٧) ٣/٢٠٧٥

واعد من المجانيق والعرادات والقسي الناووكية وسائر الالات على سورها ما لم ير مثله ممن تقدم من منازعي السلطان »[١٩] وقد اتخذ صاحب الزنج بقصره بابا انتزعه من حصن اروخ بالبصرة[٢٠] ، وكانت لداره مسناة[٢١] ويمتد سورها الى نهر منكي ونهر ابن سمعان[٢٢] ، وجوى كور[٢٣] ، والغربي[٢٤] وبالقرب من قصره دار ابنه انكلاى[٢٥] ، وبقربه يقع الميدان[٢٦].

اما الجانب الشرقي أي الجنوبي من نهر ابي الخصيب فقد كانت في فوهته « دار محمد بن يحيى الكرنباني » وهي بازاء دار صاحب الزنج في شرقي نهر ابي الخصيب ، تشرع على النهر وعلى دجلة[٢٧] « وهي على قرنة نهر أبي الخصيب في الجانب الشرقي منه »[٢٨] . وقد عنى صاحب الزنج بتحصين هذه المنطقة بعد ان انتقل الى الجانب الشرقي و « احتفر خندقا عريضا من حد جوى كور الى نهر الغربي ، وكان أكثر عنايته بتحصين ما بين دار الكرنبائي الى النهر المعروف بجوى كور ، لانه كان في هذا الموضع جل منازل اصحابه ومساكنهم »[٢٩] .

وفي الجانب الشرقي بعد الجسر الاول كانت دار مصلح احد قواد صاحب الزنج[٣٠] وفي هذا الجانب أيضا كان « سجن فيه خلق كثير ممن كان اسر من العساكر التي كانت تحارب صاحب الزنج ومن سائر الناس »[٣١] .

وفي هذا الجانب ايضا كانت دار محمد بن ابراهيم بن ابي عيسى ، ودار

---

(١٨) ١٩٧٣/٣ ، ١٩٨٢
(١٩) ١٩٨٢/٣ وانظر ٢٠٢٩/٣
(٢٠) ٢٠٦٠/٣
(٢١) ١٩٨٣/٣
(٢٢) ٢٠١١/٣ ، ٢٠٣٤
(٢٣) ٢٠٤١/٣
(٢٤) ٢٠٥٧/٣
(٢٥) ٢٠٦٥/٣
(٢٦) ٢٠٤٦/٣ ، وانظر ٢٠٠٦/٣
(٢٧) الطبري ٢٠٤٤/٣ ، ٢٠٥٣ ، ٢٠٨٧ ، ٢٠٨٨
(٢٨) ٢٠٧٥/٣ ، ٢٠٨٧
(٢٩) ٢٠٥٧/٣ ، وانظر ٢٠٣٢/٣
(٣٠) ٢٠٦٢/٣
(٣١) ٢٠٦١/٣

مالك بن اخت القلوصي ، وقد سكن صاحب الزنج دار ابن ابي عيسى بعد احراق قصره ومنازله »[٣٢] وقد هدمها شبل[٣٣] ، أما دار مالك فقد سكنها انكلاى ابن صاحب الزنج[٣٤] .

وفي مؤخرة نهر ابي الخصيب كانت تقع دار ابن سمعان[٣٥] ، وكان عندها بيادر جليل قدرها[٣٦] .

وبجانب هذه البيادر تقع سوق الميمونة وهي مطلة على دجلة ، وبالقرب منها دار سليمان بن جامع ، وفي الطرف الاخر دار الجبائي وفيها خزائن صاحب الزنج والجامع الذي انشأه[٣٨] وفي هذا الجامع شارع يؤدى الى المصلى ، وبالقرب منه جبل ابي عمرو المهلبي وموضع الجسر الثاني[٣٩] .

وفي أواخره أيضا نهر عبدالله ، الذي ورد ذكره في الطبري عند الكلام عن تقدم أبي العباس من نهر الغربي واجتيازه المختارة ، فقد قام سليمان بن جامع قائد صاحب الزنج « ووغل في النهر مصاعدا في جمع كثير ، فانتهى الى النهر المعروف بعبدالله ، واستدبر أصحاب أبي العباس وهم في حربهم »[٤٠] وفي مؤخرة نهر أبي الخصيب يقع الدهرشير[٤١] .

وبالقرب من المختارة عاصمة صاحب الزنج كان يقع نهر منكي ، فقد اتخذ عنده الموفق مقره عندما تقدم لدك سور المختارة[٤٢] وحاول ان يبدأ بهدم السور مما يلي هذا النهر[٤٣] ، وفي الهجوم الاول على المختارة اتخذ الموفق مقرّه في سبخة نهر منكي[٤٤] ولما استعد للهجوم الاخير على المختارة

---

(٣٢) ٣/٢٠٦٧ ، ٢٠٧١ ، ٢٠٧٦
(٣٣) ٣/٢٠٧١
(٣٤) ٣/٢٠٦٧
(٣٥) ٣/٢٠٧٠
(٣٦) ٣/٢٠٧٩
(٣٧) ٣/٢٠٣٤
(٣٨) ٣/٢٠٣٥
(٣٩) ٣/٢٠٦٥
(٤٠) ٣/٢٠٠٢
(٤١) ٣/٢٠١٥
(٤٢) ٣/٢٠٣٢
(٤٣) ٣/١٨٧١
(٤٤) ٣/٢٠٠٣

طلب من ابنه ابي العباس ان يتقدم « من ورائهم من مؤخر النهر المعروف بمنكي »[٤٥] . وكانت على نهر منكي قنطرتان اشتد عليهما القتال قبيل التغلب على مدينة المختارة[٤٦] . وعند حصار الموفق المختارة أرسل اليها ثلاث قوات ، احداها تأتي من نهر منكي ، والثانية من نهر الغربي والثالثة من دجلة[٤٧] .

وفي جنوبي نهر منكي يقع نهر ابن سمعون ، فلما تقدم الموفق للهجوم الاخير على المختارة « اتخذ مقرا له بين نهر منكي ونهر ابن سمعون[٤٨] وقد انهزم اليه أصحاب الزنج وقاتلوا عنده بضراوة[٤٩] .

وفي أسفل أي جنوب نهر أبي الخصيب يقع نهر أبي شاكر[٥٠] ، فلما تقدم الموفق للهجوم على آخر معاقل صاحب الزنج في أواخر أبي الخصيب « أمر صاعد بن مخلد بالخروج على نهر أبي شاكر في الجانب الشرقي أيضاً » ووضع بعض قواته المتقدمة « من نهر أبي شاكر الى النهر المعروف بجوى كور »[٥١] ، وعندما أراد مهاجمة سوق صاحب الزنج امر بعض قواته بالتقدم من نهر ابي شاكر[٥٢] .

يقع نهر جوى كور جنوبي نهر أبي الخصيب ، وفوهته من دجلة[٥٣] ، وكان من المعالم البارزة المؤثرة في تنظيم الموفق قواته عند الهجوم على مدينة صاحب الزنج ، فقد وضع بموازاته آخر قواته[٥٤] كما انه عند اعادة توزيع قواته وضع جماعة من قواده من نهر أبي شاكر الى نهر جوى كور ،

---

(٤٥) ٣/٢٠٣٢ – ٣ (٤٦) ٣/٢٠٠٣ – ٤
(٤٧) ٣/٢٠١١ (٤٨) ٣/٢٠٠٥ – ٦
(٤٩) ٣/٢٠٧٥ (٥٠) ٣/٢٠٨٦ – ٧
(٥١) ٣/٢٠٥٧ (٥٢) ٣/٢٠٥٧
(٥٣) ٣/٢٠٤١ ، وانظر ١٩٨٨ ، ويسمى النهر اليوم « البكيع » وعليه قرية جيكور (محمد طارق الكاتب ٨٥) .
(٥٤) ٣/١٩٨٨

وجماعة اخرى من نهر أبي شاكر الى جوى كور[٥٥] .

ولما عبر الموفق الى الجانب الغربي عنى صاحب الزنج بتحصينات المنطقة ، فكان مما عمله ان « احتفر خندقا عريضا من حد جوى كور الى نهر الغربي ، وكان أكثر عنايته بتحصين ما بين دار الكرنبائي الى النهر المعروف بجوى كور ، لانه كان في هذا الموضع جل منازل اصحابه ومساكنه ؛ وكان من جوى كور الى نهر الغربي بساتين ومواضع قد اجلوها ، والسور والخندق محيطان بها » ، غير ان الموفق هاجم النهر واستولى عليه[٥٦] .

وفي الجنوب من جوى كور يقع نهر الغربي[٥٧] ؛ وكان « من حد جوى كور الى نهر الغربي بساتين ومواضع لاتباع صاحب الزنج اخلوها عندما تقدم الموفق لمحاصرة المختارة ، وقد عنى صاحب الزنج بتحصينها فاحاطها بسور وخندق ، ثم عاد مع انصاره للتحصن فيها وقاوموا الموفق عندما حاول هدم السور ، ولكن استطاع في الاخير هدمه واجلاء اتباع صاحب الزنج عنه[٥٨] .

وفي المحاولة الاولى لمهاجمة قاعدة صاحب الزنج امر الموفق قوة بقيادة مسرور البلخي « بالقصد الى نهر الغربي ليضطر صاحب الزنج الى تفريق أصحابه ، غير ان هذا أرسل قائده بهبوذ[٥٩] الى النهر الغربي فصد تقدم مسرور[٦٠] ، وعندما عبر الموفق لمهاجمة المختارة ، وزع قواته فارسل مسرورا البلخي الى نهر الغربي[٦١] وعندما تقدم للهجوم على صاحب الزنج بعد ان لجأ هذا الى دار المهلبي ارسل راشداً ولؤلؤا فوقفا بقواتهما من نهر جوى كور

---

(٥٥) ٢٠٨٧/٣
(٥٦) ٢٠٥٧/٣
(٥٧) ٢٠٨٧/٣
(٥٨) ٢٠٥٧/٣ — ٨
(٥٩) ٢٠٠٣/٣
(٦٠) ٢٠٠٦/٣
(٦١) ٢٠١١/٣

الى نهر الغربي ، وارسل شبلا الى نهر الغربي فيأتي منه موازيا لظهر دار المهلبي فيخرج من ورائها عند نشوب القتال(٦٢) ، وكانت جماعة من الزنج قد هربوا الى فوهة نهر الغربي فأرسل الموفق ابنه ابا العباس اليهم فقاتلهم وهزمهم(٦٣) .

وكانت على نهر الغربي مزارع وخضر لاصحاب صاحب الزنج ، وقنطرتان يعبر منها الى تلك المزارع(٦٤) .

وفي أسفل نهر الغربي يقع الدباسين(٦٥) وبالقرب من هذا النهر يمتد نهر العميسيين ، الذي يبدو انه كان في جنوبي نهر الغربي ، اذ ان الموفق عندما أراد السيطرة على نهر الغربي « أمر رشيقا غلامه ان يقصد في جمع كثير من انجاد رجاله ومختاريهم للنهر المعروف بنهر العميسيين ليخرج في ظهورهم وهم غارون ، فيوقع بهم في هذه الارضين »(٦٦) .

وعلى بعد فرسخ جنوبي نهر الخصيب يقع نهر الامير(٦٧) وقد حفره المنصور ثم وهبه لابنه جعفر ، فكان يقال له نهر أمير المؤمنين ، ثم قيل نهر الامير ، ثم ابتاعه الرشيد واقطع منه وباع(٦٨) . ويبدو انه كان نهراً عريضا ، فقد دخله المد في سنة ١٥٠(٦٩) .

ذكر الطبري عددا من المواضع التي في مؤخر نهر الامير ، حيث ذكر ان صاحب الزنج اقام في مربعة دبا ، « ثم سار في اليوم الخامس وقد سرح السفن التي معه في النهر وأخذ هو على الظهر فيما بين نهر يقال له الداورداني ، والنهر المعروف بالحسيني والنهر المعروف بالصالحي ، فلم يبتعد حتى رأى خيلا مقبلة من نحو نهر الامير زهاء ستمائة فارس فأسرع أصحابه الى النهر الداورداني »(٧٠) .

---

(٦٢) ٢٠٨٦/٣ ـ ٧

(٦٣) ٢٠٨٣/٣

(٦٤) ٢٠٨٢/٣

(٦٥) ٢٠٥٩/٣

(٦٦) ٢٠٨٢/٣

(٦٧) سهراب ١٣٦

(٦٨) فتوح البلدان ٣٦١ ـ ٢

(٦٩) تاريخ خليفة ٤٥٢

(٧٠) ١٧٧٤/٣

وفي اليوم التالي تحرك من دبا « سار حتى دخل الارخنج المعـروف بالمطهري ، وهو ارخنج ينفذ الى نهر الامير المقابل للفياض من جانبيـه .. ومضى حتى انتهى الى قصر يعرف بالجوهري على السبخة المعروفة بالبرامكة فأقام فيه ليلته تلك ، ثم سار حيث أصبح حتى وافى السبخة التي تشرع على النهر المعروف بالديناري ومؤخرها يفضي الى النهر المعروف بالمحدث »[٧١] .

وفي الجانب الشرقي من دجلة ، بازاء نهر الامير تقع جويث بارويه[٧٢] وكان صاحب الزنج قد ارسل قوة الى الفرات لتأتي الموفق من ظهره ، فأحس الموفق بهم وطردهم فهربوا الى جويث بارويه[٧٣] .

وفي مؤخر نهر الامير كان يمتد النهر الاسحاقي[٧٤] وقد لجأ اليه بعض قواد صاحب الزنج[٧٥] وممن لجأ اليه المهلبي قائد صاحب الزنج[٧٦] وبالقرب من نهر الامير كان النهر المسيحي ، فقد قرر الزنج في أواخر ثورتهم سلوك نهر الامير الى القندل ، وسلوك المسيحي الى القندل ، والى الطرق المؤدية الى البر والبحر ، فأرسل الموفق رشـيقا ليعسـكر بجويث بارويه ويرسـل منهـا شذوات تدخل نهر الامير حتى تنتهي الى المعترض الذي كان الزنج يسلكونه الى دبا والقندل والنهر المعروف بالمسيحي[٧٧] .

اما سيحان فانه « كان للبرامكة ، وهم سموه سيحان »[٧٨] وقد اتخذ قائد الزنج يحيى بن محمد مقره عند سيحان[٧٩] ، ونزل عند نهر عتبة مالك قائد الزنج[٨٠] .

---

(٧١) ٣/١٧٧٥ ـ ٦
(٧٢) ٣/٢٠١٧
(٧٣) ٣/١١٩٤ ، وانظر ٢٠١٧
(٧٤) ٣/٢٠١٨
(٧٥) ٣/٢٠٩١ ، ٢٠٩٢
(٧٦) ٣/٢٠٩٣
(٧٧) ٣/٢٠١٧
(٧٨) فتوح البلدان ٣٦٢ ياقوت ٣/٢١٠ ويذكر الطبري نهر سيحان قرب نهر معقل (٣/٦٤) وهو غير هذا النهر
(٧٩) ٣/١٨٥٥
(٨٠) ٣/٢٠١٣

القنـــدل :

القندل من الانهار الآخذة من دجلة في غربيه ، وهو يبعد اربعة فراسخ جنوبي نهر الامير[٨١] ويذكر البلاذري ان سليمان بن علي سكره فعذب ماء البصرة[٨٢] ولعل المسكور نهر آخر بهذا الاسم قرب البصرة في أطراف البطيحة.

وفي زمن حركات صاحب الزنج كانت عند فوهته جزيرة لاصقة به[٨٣] وكانت عليه قرية للمعلى بن ايوب[٨٤] وبالقرب منه حسك عمران[٨٥] .

وعند القندل معترض يسلك منه الى نهر المسيحي الذي يؤدي الى الطرق المؤدية الى البحر والبر ، وقد سيطر الموفق على هذا المعترض فقطـع الامدادات عن الزنج[٨٦] .

وفي أواخر القندل يقع منذران[٨٧] .

وعند مؤخر القندل يقع النهر الحسني الذي ينفذ الى النهر الصافي ، والنهر الاخير يؤدي الى دبا ، وبالقرب من هـذين النهرين يجـري نهـر الداورداني[٨٨] .

وعندما ثار صاحب الزنج اتخذ له في أوائل حركته مقرا موقتـا عنـد القندل وقام منه بعدة حركات[٨٩] ، وكان بعض انصاره قد تجمعوا في القندل واعلنوا تأييدهم له[٩٠] .

وبالقرب من القندل ، وعلى الجانب الشرقي تقع ابرسان[٩١] التي اعلنت تأييدها لصاحب الزنج ، كما هرب اليها بعض انصاره عندما تفككت حركته[٩٢] وقد أرسل الموفق الى ابرسان قوة تسيطر عليها[٩٣] .

---

(٨١) سهراب ١٣٦ — (٨٢) انساب الاشراف ٣/٩٠

(٨٣) الطبري ٣/١٧٧٢ — (٨٤) ١٧٧٣

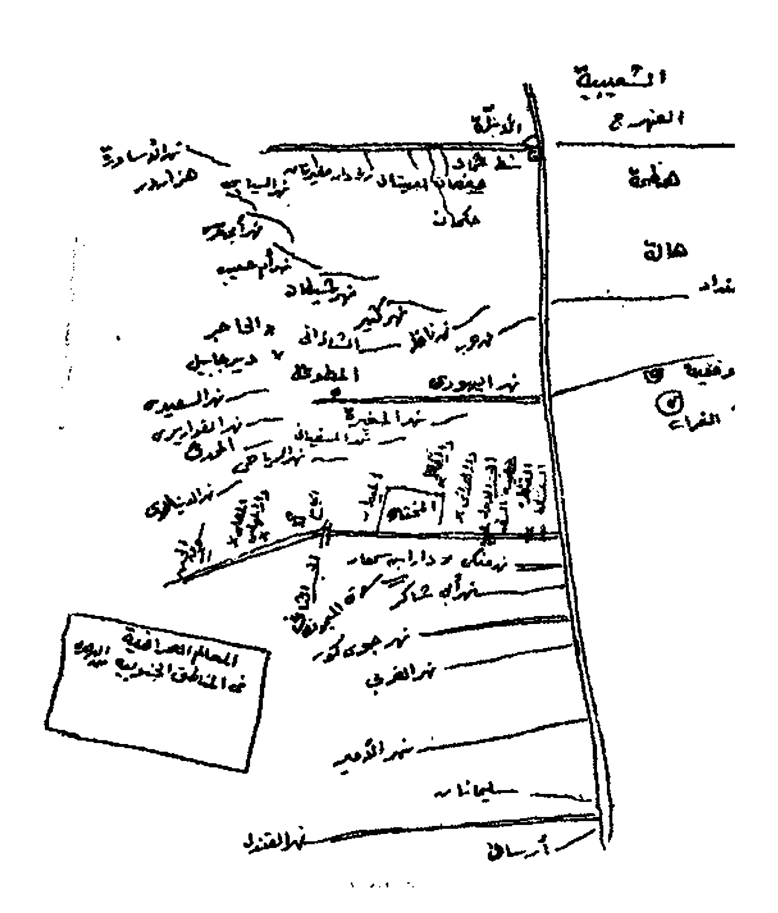
(٨٥) ٣/١٧٧٤ — (٨٦) ٣/٢٠١٧

(٨٧) ٣/١٧٧٣ — (٨٨) ٣/١٧٧٤ – ٥

(٨٩) ٣/١٧٥١ ، ١٧٦٧ – ٩ — (٩٠) ٣/١٧٥٦

(٩١) ٣/١٧٧٣ ، وانظر ١٩٩٠ ، ٢٠٠٥

(٩٢) ٣/٢٠٠٦/٢٠٢٤ — (٩٣) ٣/١٩٩٠


الشعيبة
المعالم العراقية
في المناطق الجنوبية

القسم الثالث

كــور دجـــلة

واطــراف دجــلة البصـــرة

الطساسيج : ميسان . دست ميسان . ابرقباذ . الفرات .

أرض البصرة

جباية أرض البصرة

التجــارة



الفصل السادس عشر

ارض الجانب الشرقي من دجلة

الأرض :

ان المنطقة الواقعة في الجانب الشرقي من دجلة لا تختلف كثيرا عن الاراضي الواقعة في غربيه اذ أن أرضها مستوية قليلة الانحدار ، تكونت من ترسبات طمى شط العرب ، وقد وصف الاصطخري أراضي هذه المنطقة فقال « وما كان الى دجلة أقرب فهو من جنس أرض البصرة في التسبخ ، وكذلك الصحة ونقاء البشرة في الناس فيما بعد عن دجلة[1] » وقال أيضا ان البصرة « لها نخيل متصلة من عبدسي الى عبادان نيف وخمسون فرسخا متصلا لا يكون الانسان فيه من مكان الا بحيث نهر ونخيل او يكون بحيث يراهما ، وهما في مستوى الاجبال فيه ولا بحيث يقع البصر على جبال[2] » .

ولما كانت أراضي هذه المنطقة تمتد على مجرى دجلة العوراء فلابد انها تأثرت بالتحول الكبير الذي حدث في مجرى دجلة الاسفل قبيل الهجرة . وقد وصف بعض الكتب العربية هذا التحول فقال المسعودي ان دجلة « كان مجراها في جوخي ، وتغريقها طسوج الثرثور من بلاد كسكر حتى صارت بطائح الى هذا الوقت مسيرة أيام ، وذلك بين واسط والبصرة ، واسمها في هذا الوقت في ديوان السلطان « اجام البريد واخراب جوخي » وكانت اعمر السواد[3] .

ويقول أيضا ان مياه دجلة والفرات وفروعهما « ينتهي جميع ذلك الى بطيحة البصرة وواسط التي ينتهي منها الى هذا البحر في دجلة العوراء التي

---

(١) المسالك ٩٠.
(٢) كذلك ٨٠.
(٣) التنبيه والاشراف ٣٦

تدعى بالفارسية بهمنشير ، وهي دجلة المفتح والابلة وعبادان »[٤] .

ويقول أيضا « وقد ذكرنا في كتاب الاستذكار سبب انخراق دجلة وخروجها عن عمودها وذلك في أيام كسرى ابرويز ملك فارس ، وكان مجراها في جوخي ؛ وتغريقها طسوج الشوشور من بلاد كسكر وغيره ، حتى صارت بطائح على ماقدمنا .

وآثار عمود دجلة الى وقتنا هذا بين فم الصلح وبهندف وبادرايا وباكسايا وفامية العراق الى بلاد باذبين ودربي وقرقوب والطيب وشابرزان والدرمكان الى نهر جور والى المذار »[٥] .

ويقول البلاذري « كانت دجلة تصب الى دجلة البصرة التي تدعى العوراء في أنهار متشعبة من عمود مجراها الذي كان باقي مائها يجري فيه ، وهو كبعض تلك الانهار ، فلما كان في زمان قباذ بن فيروز انبثق في أسافل كسكر بثق عظيم ، فأغفل حتى غلب ماؤه وغرق كثيرا من ارضين عامرة ، وكان قباذ واهنا قليل التفقد لامره ، فلما ولي انو شروان ابنه امر بذلك الماء فردم بالمسنيات حتى عاد بعض تلك الارضين الى عمارة .

ثم لما كانت سنة سبع من الهجرة ، ويقال سنة ست ؛ زاد الفرات ودجلة زيادة عظيمة لم ير مثلها قبلها ولا بعدها ، وانبثقت بثوق عظام ، فجهد ابرويز يسكرها فغلبه الماء ومال الى موضع البطائح فطغا على العمارات والزروع ، فغرق عدة طماسيج كانت هناك .. فلم يقدر للماء على حيلة .

ثم دخلت العرب أرض العراق وشغلت الاعاجم بالحروب ؛ وكانت البثوق تنفجر فلا يلتفت اليها ، ويعجز الدهاقين عن سد عظمها ، فاتسعت البطيحة وعرضت .. قالوا وكان لكسكر قبل حدوث البطائح نهر يقال له الجنب ، وكان طريق البريد الى ميسان ودستميسان والى الاحواز في شقه

---

(٤) التنبيه والاشراف ٤٧
(٥) التنبيه والاشراف ٤٨

القبلى ، فلما تبطحت البطائح سمى ما استأجم من بثق طريق البريد آجام البريد ، وسمي الشق الاخر آجام اغمربتي ، ومعنى ذلك الاجام الكبرى ، والنهر اليوم يظهر في الارضين الجامدة التي استخرجت حديثا »[٦] •

ويقول ابن رسته « دجلة العوراء كانت قبل الاسلام تستقيم من عند المذار ، وهي اليوم منقطعة من ثم تمر بعبدسي من كور دست ميسان ثم تخرج عند الخيزرانية فوق الصلح بحضرة واسط فتمر حتى تأتي المدائن » وكانت البطائح الاولى التي كان يجتمع فيها ماء دجلة قبل تحولها الى ناحية واسط جوخي فيما بين المذار وعبدسي ثم انها (دجلة) خرقت الارض حتى مرت بين يدى واسط قبل ان تكون واسط حتى صبت ماءها في هذه البطائح ، والبطائح يومئذ ارضون تزرع متصلة بأرض العرب ، جيرانها من العرب يشكر وباهلة وبنو عنبر ، متصلة بناحية ميسان بأرض ميسان ، فغلب الماء على ما كان من الارضين منخفضا ، وما كان منها مرتفعا صار تلالا ، فتلك المواضع معروفة اليوم فيالبطائح تسمى سرطفان وطستخان وعقر الصيد من المواضع التييكون فيها الزط ، وقد نرى آثارها في بطن البطائح تحت الماء وذلك لركود الماء وصفائه فيعلم انها كانت ارضين •

اما البطائح الاولى فانه لما تحولت دجلة انقطع الماء عنها وصارت صحارى ومفاوز يصيب المارة فيها في الصيف سموم شديد •

ثم ان دجلة هذه التي هي اليوم سكرت من عند الخيزرانية ليعود الماء الى دجلة العوراء وينفذ الى المذار فيصير الى بقية دجلة العوراء فخرقت ، وانفق عليها كسرى ابرويز مالا عظيما فأعياه ذلك ، وجرت دجلة في موضعها الذي هو اليوم بين يدى واسط فصارت البطائح هذه التي تكون اليوم ، فاعورت دجلة من ذلك الموضع المسكور الى المذار ، وبطلت تلك البطائح التي كانت بجوخي •

---

(٦) فتوح البلدان ٢٩١ ـ ٢

فبقى من دجلة دجلة العوراء من المذار الى بحر الهند ، وذلك في مقدار ثلاثين فرسخا ، وهي دجلة البصرة ، واليه ينتهي مد البحر ومنه يجزر اذا رجع الماء الى البحر .

ورام حين ذلك خالد بن عبدالله ان يسكرها وانفق الاموال فسفت دجلة ذلك البنيان ، وأصله اليوم يرى اذا قل الماء في دجلة ، بناه من آجر وصاروج ، وربما طفت به السفن المارة »[٧] .



(٧) الاعلاق النفسية ٩٥ ـ ٩٦

الفصل السابع عشر

كور دجلة

كونت المنطقة الواقعة على امتداد دجلة البصرة وحدة ادارية تتكون من أربعة طساسيج هي ميسان ، ودست ميسان وابرقباذ والفرات ، وكان الناس يسمونها « ميسان »[1] وهي تسمية قديمة ترجع الى الزمن السابق لمجيء الساسانيين حيث كانت في هذه المنطقة مركز دولة ميسان التي غلبها اردشير وضمها الى دولته ، ولكنه أبقى حكمها بيد ملوكها القدماء ولقبهم ميسان شاه[2] ؛ وقد ابدل الساسانيون اسمها فيما بعد واطلقوا عليها « استان شاذ بهمن » ؛ غير ان اكثر ما كان يسميها العرب « كور دجلة » ، ولابد انهم اطلقوا عليها هذا الاسم بعد الفتح حيث ظلت وحدة ادارية ، يتردد اسمها في الاخبار ، ولها ولاة ذكرت المصادر اسماء عدد غير قليل منهم .

وقد ظل تعبير « كور دجلة » يتردد في المصادر حتى القرن الرابع الهجري وكان يعتبر من سواد البصرة الذي يشمل أيضاً الاحواز وفارس[4] ثم بطل استعماله في زمن لا نستطيع تحديده ، ولعله حدث على أثر غلبة البويهيين على العراق واحلالهم الاقطاعات محل الجباية القديمة[5] .

وفي أواخر القرن الرابع الهجري يذكر المقدسي ان البصرة « من مدنها

---

(١) فتوح البلدان ٣٨٣ عن المدائني . وانظر عن منطقة كور دجلة القسم الاول من مقال « الحسن البصري » المنشور في مجلة Derlslam (بالالمانية) وكتاب « العراق بعد الفتح العربي » لموروني (بالانكليزية) .

(٢) ابن خرداذبه ١٧ .

(٣) ابن خرداذبه ٨ ، قدامة ٢٣٥ .

(٤) ياقوت ١٧٥/٣ (عن الاصمعي)

(٥) مسكويه ٩٦/٢

الابلة ، شق عثمان ، زبان ، بدران ، بيـان ، نهر الملك ، دبـا ، نهر الامير ، أبو الخصيب ، سليمانان ، عبادان ، المطوعة ، القندل ، المفتح[٦] ، ولم أجد في المصادر ذكراً لزبان ، وبدران ، ونهر الملك • أما بقية الاسماء فقد ذكرتها المصادر وأكدتها باعتبارها أنهاراً • وبعضها من شـمالي البصرة المفتـح ، وبعضها من جنوبها (الابلة ، شق عثمان ، بيان ، نهر الامير ، أبو الخصيب ، المطوعة ، القندل) ، وبعضها شرقي النهر (عبادان) •

وذكر ناصري خسرو « ان للبصرة عشرين ناحية في كل منها كثير من القرى والمزارع وهي جيشان ، شربه ، بلاس ، عقر ميسان ، المقيم ، نهر حرب ، شط العرب ، سعد ، سام ، الجعفرية ، المثان ، الصمة ، الجونة ، الجزيرة العظمى ، مروت ، السرير ، جزيرة العرش ، الحميدة ، سعوط ، الحويزة ، المنفردات[٧] • وكثير من هذه الاماكن لم يرد ذكرها في مصدر آخر •

كانت كور دجلة وحدة ادارية ذكرت المصادر بعض من وليها وأغلبهم ولوا معها ولايات اخرى ؛ فممن ذكرتهم المصادر :

استعمل زياد امية بن عبدالله على الابلة وكور دجلة[٨] •

واستعمل عبدالملك بن مروان المهلب بن أبي صفرة على الاحواز وكور دجـلة[٩] •

وعندما ثار يزيد بن المهلب كان « بيد ابن عمر ما بيده من كسـكر وميسان ودست ميسان وكور دجلة »[١٠] •

وفي زمن العباسيين ولّى أبو العباس السفاح عمّه سليمان بن علي على البصرة واعمالها وكور دجلة والبحرين[١١] •

---

(٦) احسن التقاسيم ١١٤ (٧) سفرنامه ١٢٥
(٨) انساب الاشراف ٤ ــ ٢/١٥٢ ، ١٥٤
(٩) تاريخ خليفة ٢٦٥ (١٠) الطبري ١٩١٤/٢
(١١) الطبري ٧٣/٣ ، انساب الاشراف ٨٩/٣

وقلد المنصور عمارة بن حمزة الخراج بكور دجلة والاهواز وفارس « وتوفي المنصور سنة ١٥٨ وعمارة يتقلد ذلك »[١٢] .

وولى المهدي صالح بن داوود « على كور دجلة والبحرين وعمان والفرض وكور الاهواز وفارس[١٣] .

وفي سنة ١٦٥ كان المعلى على كور دجلة وكسكر[١٤] .

وفي سنة ٢٠٥ كان عمرو بن زياد الدهقان على كور دجلة[١٥] .

وفي سنة ٢١٥ كان ابو الرازي يلي كور دجلة ، ثم نقل منها الى البصرة ، ونقل الى اليمامة والبحرين[١٦] .

وفي سنة ٢٥٦ نقل ابن أبي عون عن ولاية واسط الى ولاية الابلة وكور دجلة[١٧] .

وفي سنة ٢٥٧ عقد المعتمد لاخيه ابي احمد « على بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والاهواز وفارس ، وأمر ان يعقد ليارجوخ على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين مكان سعيد بن صالح ، فولى يارجوخ منصور بن جعفر بن دينار البصرة وكور دجلة الى مايلي الاهواز[١٨] .

ولما قتل منصور ، ولى يارجوخ « ما كان الى منصور من العمل اصغجون »[١٩] .

وفي سنة ٢٦١ ضم عمل المشرق الى احمد (ابن الموفق) ، فولى مسرورا البلخي الاهواز والبصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين[٢٠] .

---

(١٢) الجهشياري ١٣٤
(١٣) الطبري ٣/٤٠٥
(١٤) الطبري ٣/٥٠٥
(١٥) تاريخ القضاة لوكيع ٢/١٦٣
(١٦) تاريخ بغداد لطيفور ١٧٥
(١٧) الطبري ٣/١٧٥١
(١٨) الطبري ٣/١٨٤١
(١٩) الطبري ٣/١٨٦٦
(٢٠) الطبري ٣/١٨٨٩

وفي سنة ٢٥٨ وقع الوباء في الناس في كور دجلة[٢٢] .

وفي سنة ٢٧٠ ولى قضاء البصرة والابلة وكور دجلة وواسط محمد بن حماد[٢٣] .

وفي سنة ٢٨٦ كان احمد بن محمد بن يحيى الواثقي يتقلد معاون البصرة وكور دجلة[٢٤] .

وفي سنة ٢٩٨ كان علي بن عيسى على دست ميسان[٢٥] .

وفي سنة ٣٠٣ كان حامد بن العباس يتقلد أعمال الخراج والضياع بكسكر وكور دجلة[٢١] .

ان امتداد كور دجلة على الاطراف السفلى من نهر دجلة ، جعلها تتأثر من تحول مجرى دجلة نحو الفرع الغربي ، حيث ان هذا التحول أدى الى ان يصب دجلة في البطائح ، فبقى القسم الاسفل « مبتورا » وسمي « دجلة العوراء » ، ويستمد ماءه من فضول مياه البطائح ، أو مما تصبه انهار الاهواز فيه ، ونظرا لانخفاض مستوى الارض في هذه المنطقة ، فان جريان الماء فيه بطيئا ،كما ان مياهه مالحة ، ولذلك كان اهل البصرة يعتمدون على البطيحة في الحصول على الماء العذب .

ولابد ان انقطاع الاتصال بين دجلة العوراء والمجرى الاصلي لدجلة قد أدى الى تناقص المياه فيه ، مما يؤثر في انتاجية الاراضي المزروعة في هذه المنطقة . ولابد ان الجهود التي بذلها العرب في احياء الاراضي واعمارها في هذه المنطقة كان لها أثر كبير في ازدهار الزراعة ، غير ان المصادر العربية لم تذكر عن تطور الانتاج الزراعي ، سوى أرقام قليلة ذكرت عن جبايتها ، فقد ذكر اليعقوبي ان جباية كور دجلة في زمن معاوية كانت عشرة آلاف ألف

---

(٢١) تكملة الطبري لعريب ٥٥

(٢٢) الطبري ١٨٦٥/٣

(٢٣) الطبري ٢٠٩٧/٣

(٢٤) الطبري ٢١٨٨/٣

درهم[٢٥أ] وذكر أبو الوزير عمر بن المطرف في قائمة تقدير الجباية في أول خلافة الرشيد سنة ١٦٩ ان تقدير جباية كور دجلة عشرون ألف ألف وثمانمائة ألف درهم[٢٦] .

وذكر ابن خرداذبه ان جبايتها ثمانية ملايين وخمسمائة ألف درهم[٢٧] .

وذكر قدامة ان كور دجلة على عبرة سنة ٢٠١ هـ ألف كر من الحنطة وأربعة آلاف كر من الشعير واربعمائة وثلاثين ألف درهم[٢٨] .

ذكرنا ان كور دجلة استان مكون من اربع طساسيج هي ميسان ودستميسان وابرقباذ ، وبهمنشير . والواقع ان الكتب لا تكثر من ذكر تعبير « كور دجلة » وانما تكرر ذكر الطساسيج التي تتكون منها ويلاحظ ان ابرقباذ لا يكثر ترددها في الكتب العربية مما يدل على تناقص اهميتها ، أما بهمنشير فلا يتردد ذكرها في الكتب التي تكثر من ذكر الابلة والفرات وكانت في بعض مدنها مراكز اسمها على ما يسك فيها من النقود في زمن الامويين بعد التعريب . فقد وجدت دراهم مسكوكة في ميسان من سنة ٧٩ ـ ٩٧ ؛ وفي المذار سنة ٩٥ ، ٩٨ ، وفي ابرقباذ سنة ٨٣ ، ٩٦ وفي الفرات سنة ٧٩ ـ ٩٧ ، وفي بيان سنة ٨١[٢٩] .

ولما كانت « كور دجلة » وحدة ادارية (استان) ، فهي تتميز عن كسكر التي تقع في شماليها ، وعن كور الاحواز التي تقع في شرقيها ومن المحتمل انها كانت تشمل الاراضي التي شيدت البصرة فيها ، غير ان المصادر لاتسعفنا بمعلومات تمكننا من رسم حدودها العامة او حدود كل من طساسيجها .

---

(٢٥) نشوار المحاضرة ١١٦/٨ (٢٥أ) تاريخ اليعقوبي ٢٠٧/٢ .
(٢٦) الجهشياري ٢٨١ (٢٧) ابن خرداذبه ٧ .
(٢٨) قدامة ٢٣٩ .
(٢٩) انظر الجدول الملحق بكتاب زامباور عن النقود الاسلامية وكتاب ولكنز « كتالوج النقود العربية » .

ولما كانت التقسيمات الادارية تتحكم فيها الانهار التي تروي الاراضي، فالراجح انها تشمل الاراضي التي كانت تروى بالانهار الآخذة من دجلة العوراء التي تسمى أيضا « دجلة البصرة »[٣٠] ولا ريب في ان معلوماتنا وافية عن امتداد هذه الانهار في الجانب الغربي ، وهي لا تتجاوز الاربعة أميال عن مجرى دجلة ، غير ان معلوماتنا عن مجاري الانهار الآخذة من شرقي دجلة نزرة وغير واضحة ، ولكن طبيعة الارض المستوية وضعف اندفاع الماء في دجلة يرجحان ان هذه الانهار لم تكن طويلة ، وبذلك تكون كور دجلة شريطا من الاراضي التي تمتد على « دجلة البصرة » بعرض قد لا يزيد على اربعة اميال من كل جانب .

أتم العرب فتح كور دجلة في زمن مبكر ، فيذكر البلاذري ان خالد بن الوليد عندما قدم الى منطقة البصرة ، قاتل أهل الابلة و « اتى النهر الذي يعرف بنهر المرأة فصالح أهله ، وانه قاتل جمعا بالمذار »[٣١] .

ويذكر البلاذري أيضا في كلامه عن قدوم جرير بن عبدالله البجلي العراق « وقوم يزعمون انه مر على طريق البصرة وواقع مرزبان المذار وهزمه[٣٢] . ان هذه الحركات الحربية العربية الاولى كانت مجرد غزوات ، اما الفتح المثبت للحكم العربي فقد تم منذ قدوم عتبة بن غزوان الى هذه المنطقة . غير ان الروايات تختلف في تحديد ما قام به كل قائد عربي فيذكر البلاذري عن جرير بن حازم « فتح عتبة بن غزوان الابلة والفرات وابرقباذ ودست ميسان » ويروى عن اسحق بن عتبة « أتى المذار فخرج اليه مرزبانها فقاتله ، فهزمه الله ، وسار عتبة الى دست ميسان » وقتل دهاقينهم وانصرف عنه من فوره الى ابرقباذ ففتحها الله عليه »[٣٣] ويشبه هذه الرواية قول

---

(٣٠) انظر مثلا فتوح البلدان

(٣١) فتوح البلدان ٢٤١ ؛ ويقول الطبري أن خالد بن الوليد هاجم الابلة ، وانه كان في نهر المرأة حصن ١/٢٥-٢٠٢ .

(٣٢) فتوح البلدان ٢٥٢ وانظر الطبري ١/٢٠٢٧ .

(٣٣) فتوح البلدان ٢٤٠ ، وانظر ياقوت ٤/٤٦٨

خليفة ان عتبة « افتتح الابلة والفرات وابرقباذ ، وسبى من ميسان سبيا منهم يسار أبو الحسن البصري »[٣٤] .

غير ان روايات تذكر ان الذي فتح الفرات هو مجاشع بن مسعود السلمي[٣٥] ويذكر البلاذري « غزا المغيرة (بن شعبة) ميسان ففتحها عنوة بعد قتال شديد وغلب على مدنها ، ثم ان اهل ابرقباذ غدروا ففتحها المغيرة عنوة » ويدل سياق الرواية ان مصدر هذه الرواية هو ابن اسحاق ، يؤيدها جرير بن حازم الذي يقول « فتح المغيرة ميسان وغدر أهل ابرقباذ ففتحها المغيرة »[٣٦] ويروى خليفة « ويقال افتتح ميسان ودست وابرقباذ وشطي دجلة المغيرة بن شعبة بولاية عتبة بن غزوان »[٣٧] .

ويبدو من هذه الروايات ان عتبة فتح الابلة والفرات وثبت حكم الدولة فيها ، وانه هاجم ابرقباذ ، أما المغيرة فثبت حكم الدولة في ابرقباذ وميسان .

وتذكر الروايات ان المسلمين حصلوا على سبى من ميسان ، ومن هذا السبي يسار ابو الحسن البصري ، وارطبان جد عبدالله بن عون[٣٨] .

يذكر البلاذري انه عند تقدم العرب الى هذه المناطق كان في المذار مرزبان[٣٩] ، أي ان المذار كانت المركز العسكري في المنطقة .

لم تكن القوات العسكرية العربية التي قامت بفتوح كور دجلة كبيرة العدد ، كما ان القوات الفارسية كانت فيما يظهر غير كبيرة ، فلم يلق العرب مقاومة عنيفة ؛ ويظهر ان القوات الساسانية كانت متمركزة في المذار اذ ذكر

---

(٣٤) تاريخ خليفة ٩٠ .
(٣٥) فتوح البلدان ٣٤٠ ، تاريخ خليفة ٩٦
(٣٦) فتوح البلدان ٣٤٠ . (٣٧) تاريخ خليفة ٩٦ ، ٩٧
(٣٨) تاريخ خليفة ٩٦ ، ٩٧ ويقول شويس العدوي انه كانت له جارية من سبي ميسان (ابن سعد ٧ ــ ١/٩٢ ؛ المصنف لابن ابي شيبة ١٣/٣٤ .
(٣٩) فتوح البلدان ٢٥٢ ، ٣٤٠ .

البلاذري « مرزبان المذار »[٤٠] ، كما ذكر ان الخريبة « كانت مسلحة للعجم »[٤١] .

ومن مظاهر ضعف المقاومة الساسانية في هذه المنطقة ما ذكرته المصادر العربية عن استسلام بعض المناطق للعرب دون حرب ، فيذكر البلاذري ان خالد بن الوليد « أتى النهر الذي يعرف بنهر المرأة ، فصالحه أهلها »[٤٢] ويروي خليفة عن أبي عمرو الشيباني « صالحت طساهيج بنت كسرى اخت شيرويه عتبة بن غزوان على ميسان ، ويقولون بعثت صاحبة نهر المرأة بأم ازدان فصالح عتبة بن غزوان على ما وراء نهرها الى موضع الجسر الاكبر »[٤٣] ويروى الوليد بن هشام القحذمي انه في سنة ١٥ « فتحت نهر تيرى ودست ميسان وقراها ، وان المغيرة صالحهم على الف ألف ومائة ألف درهم[٤٤] .

طساسيج كور دجلة

ميســـان :

لاريب في ان ميسان أخذت اسمها من دولة ميسان التي ظهرت في جنوب العراق في أواسط القرن الثاني قبل الميلاد ، واستطاعت السيطرة على أراضي واسعة تمتد الى الخليج العربي جنوبا ، والى أواسط العراق شمالا ، ثم قضى عليها الساسانيون عندما تقدموا الى العراق في زمن أردشير(*) . وفي العهود الاسلامية الاولى كانت ميسان أحد طساسيج كور دجلة ، وهي التي تمتد على دجلة العوراء .

غير ان بعض المصادر وصفت ميسان بأوصاف متباينة . فيقول المدائني

---

(٤٠) فتوح البلدان ٢٥٢ ، ٣٤٠ .
(٤١) فتوح البلدان ٢١
(٤٢) فتوح البلدان ٢٤١
(٤٣) تاريخ خليفة ٩٧
(٤٤) تاريخ خليفة ١٠١
(*) كتبت عن تاريخ دولة ميسان القديمة عدة أبحاث من اهمها :

« كان الناس يسمون ميسان ودستميسان والفرات وابرقباذ ، ميسان »[1] وهذا القول يجعل ميسان مرادفة لتعبير « كور دجلة » • ويقول ياقوت ان « ميسان اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان »[2] ولاريب في ان الامتداد الذي ذكره للكورة ينطبق على ما ذكره المدائني ، علما بأن كتب الادارة التي فصلت في أسماء كور وطساسيج العراق لم تذكر كورة باسم ميسان •

يقول البلاذري ان ميسان كان فيها عند الفتح الاسلامي دهقان[3] ويقول الطبري ان المثنى بن حارثة الشيباني ارسل اليها جريرا البجلي فغزاها[4] وان سعد بن ابي وقاص ارسل عاصم بن عمرو الى اسفل الفرات ، فوصل ميسان[5] ، وذكر أيضا ان الهرمزان كان يغير عليها من مناذر ونهر تيري[6] ، وقد تم فتح ميسان على يد المغيرة بن شعبة ابان ولايته على البصرة وبعد قتال »[7] •

تذكر بعض المصادر ان اردشير بنى في ميسان مدينة اختلفوا في تسميتها، فيذكر حمزة الاصفهاني ان اردشير « بنى مدينة اسمها انشا اردشير على شاطىء نهر الدجيل ، وتسمى أيضا كرخ ميسان[8] • ويذكر الطبري انه بنى

(أ) « بحوث عن تاريخ وجغرافية ميسان » لسان مارتن ١٨٣٨ (بالفرنسية) .

(ب) « مذكرة عن بداية ونهاية مملكة ميسان » لرينو ١٩٠٤ (بالفرنسية).

(ج) « تاريخ اولي لخارسين » لنيدمان ١٩٦٨ (بالانكليزية) . وانظر دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الجديدة) مادة « ميسان » وعن اخبار ميسان وكور دجلة ومطارنتها في المصادر السريانية خاصة انظر البحث المفصل الذي كتبه جان فايي في كتابه « بابل النصرانية » ص ٢٦٣ ـ ٢٨٣ وانظر أيضا ما كتبه موروني عن المنطقة في كتابه « العراق بعد الفتح الاسلامي » ص ١٥٩ ـ ١٦٤ .

(١) فتوح البلدان ٣٢٧ .

(٢) ياقوت ٧١٤/٤ .

(٣) فتوح البلدان ٣٤٣ .

(٤) الطبري ٢٢٠٢/١

(٥) كذلك ٢٢٣٤/١

(٦) كذلك ٢٥٣٤/١

(٧) فتوح البلدان ٣٤٣ وانظر أيضا الاشتقاق ٣٠٦

(٨) تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ٤٧

بميسان شاذ شابور وهي التي تسمى بالنبطية ديما(٩) غير انه يقول في مكان آخر انه بنى بميسان استاباذ اردشير وهي كرخ ميسان(١٠) • ويقول ابن الفقيه ان هذه المدينة هي من كور دجلة(١١) • ولعل هذه المدينة هي التي ذكرها الطبري في حوادث تقدم صاحب الزنج من الجعفرية الى المذار واقتصر على تسميتها « الكرخ »(١٢) •

يذكر ياقوت ان ميسان فيها نهر سمرة « وهو قرية بها قبر العزير النبي والعامة تقول نهر سمرة(١٣) ويذكر أيضا ان « قبر عزير مشهور معمور يقوم بخدمته اليهود ، ولهم عليه وقوف وتأتيه النذور ، وأنا رأيته »(١٤) •

وفي ميسان تقع الحويزة ، وبالقرب منها حلة بني اسد التي حازها دبيس ابن عفيف الاسدي(١٥) كما تقع بقربها حلة بني قيلة بشارع ميسان بين واسط والبصرة(١٦) •

لم تكن ميسان مكانا محمودا ، وفي بعض الروايات ان ابليس هبط بميسان(١٧) ، كما انها كانت هي ودست ميسان من أقحط الاماكن ، وهي تشين من يسكنها(١٨) ، وقد ولى الحكم من الساسانيين(١٩) اثنان ممن كانا يقيمان بها ، وهما فيروز بن جراجشنس(٢٠) وشهربراز(٢١) •

ذكر ياقوت نهر ميسان من الانهار الخمسة التي تتفرع عن دجلة بعد واسط(٢٢) وكانت تقع على هذا النهر البزاز التي يصفها ياقوت بأنها بليدة(٢٣) •

---

(٩) الطبري ١/٨٣٠
(١٠) كذلك ١/٨١٨ ، ٨٢٠
(١١) البلدان
(١٢) الطبري ٣/
(١٣) ياقوت ٤/٨٤٠
(١٤) ياقوت ٤/٧١٤
(١٥) ياقوت ٢/٣٢٢ ، مراصد ٤١٩
(١٦) ياقوت ٢/٣٢٢
(١٧) الطبري ١/٢٢١ ، ابن الفقيه ٢٦٨
(١٨) الطبري ١/٢١١٧
(١٩) ابن الفقيه ٢١٠
(٢٠) الطبري ١/١٠٦٦
(٢١) الطبري ١/٢١١٧
(٢٢) ياقوت ٢/٥٥٢
(٢٣) ياقوت ١/٦٠٣ ، مراصد ١٩٢

وكانت ارض ميسان ودستميسان خراجية ، فاعترض اهلها على زياد وقالوا « البصرة من ارضنا فحط عنا من خراجنا بقدر ما في ايدي العرب » ولكن زيادا رفض طلبهم[٢٤] .

اشتهرت ميسان بصنع الانماط والوسائد[٢٥] ، والمطارح[٢٦] ، ويقول ابن الفقيه « ولاهل كور دجلة والسواد وميسان ودست ميسان من عمل الستور وعمل الميساني والحرير والدرمك والدورنك وغير ذلك من أنواع البسط والفرش ماليس لآخر »[٢٧] .

دست ميسان :

دست ميسان من كور دجلة ، وتذكر عادة بعد ميسان مباشرة مما يدل على انها قريبة من ميسان وانها فصلت عنها وجعلت وحدة ادارية في زمن تالٍ ، ويلاحظ ان كلمة « دست » تعني « قاعدة » ، وقد تكون دشت ميسان وتعني « بادية » أو « سهل » .

يذكر ياقوت ان دستميسان « الى الاهواز أقرب ، قصبتها بسامى »[٢٨] ويقول ابن رسته ان « عبدسي من كورة دستميسان »[٢٩] .

يذكر الطبري ان المثنى بن حارثة الشيباني ارسل اليها قوة غزتها بقيادة هلال بن علفة[٣٠] وكان عليها مرزبان[٣١] وقد استعدوا لقتال العرب بعد فتح الابلة[٣٢] كما يذكر ان الهرمزان كان يغير على ميسان ودستميسان[٣٣].

يقول ابن رسته ان عبدسي من كورة دستميسان[٣٣أ] ؛ وعبدسي يتردد

---

(٢٤) انساب الاشراف ٤ ــ ١٧١/١
(٢٥) التبصر بالتجار ٣٤٦
(٢٦) لطائف المعارف ١٨٢ ، ٢٣٦ ، ثمار القلوب ٢٣٨
(٢٧) ابن الفقيه ٢٥٣
(٢٨) ياقوت ٥٧٤/٢
(٢٩) الاعلاق النفسية ٩٢
(٣٠) الطبري ٢٢٠٢/١
(٣١) كذلك ٢٥٨٥/١ ، ٢٥٨٦ .
(٣٢) كذلك ٢٣٨٥/١
(٣٣) كذلك ٢٥٣٤/١
(٣٣أ) الاعلاق النفسية ٩٥ .

ذكرها في الاخبار ، وهي عن يسار الطريق بين نهر أبي الاسد والبصرة[٣٣ب] ، ويمر بها طريق ينفذ الى دير العمال[٣٣ج] وكانت تقع على طريق البريد[٣٣د] ، وتجبى اليها أموال من الاهواز[٣٣هـ] ، ويربطها ببر مساور نهر يمر برواطا[٣٣و] وممن كان ينزلها عائذ بن عمرو[٣٣ز] .

وذكر من ولاة العرب على دستميسان جزء بن معاوية[٣٣ح] وعبيدالله ابن الحر[٣٤] وكذلك علي بن عيسى الذي كان على أعمالها في سنة ٢٩٨هـ[٣٥].

تردد ذكر ابرقباذ في الفتوح الاولى فقد ذكر البلاذري انه بعد ان أتم عتبة بن غزوان فتح المذار تقدم الى ابرقباذ ففتحها[٣٦] ، وان أهل ابرقباذ كفروا فاعاد المغيرة فتحها[٣٧] .

وذكر ياقوت ان ابرقباذ من طساسيج المذار بين البصرة وواسط[٣٨] وذكر الطبري انه كان عليها الفيلكان وهو عظيم من عظمائها ، وكان يغير على المسلمين[٣٩] ويقول اليعقوبي « ومما يلي المذار كورة ابرقباذ ، والمدينة يقال لها افس »[٤٠] ولعلها هي التي ذكرها الطبري باسم اقشي[٤١] .

وتقع في ابرقباذ مسكن التي جرت فيها معركة بين الحجاج وعبدالرحمن ابن الاشعث وكان معسكر ابن الاشعث على نهر خداش مؤخر نهر تيري ، اما الحجاج فكان على نهر افريد ، والعسكران جميعا بين دجلة والسيب والكرخ وقد انكشف الحجاج حتى عبر السيب[٤٢] .

(٣٣ب) سهراب ١٣٥ .
(٣٣ج) الطبري ١٩٥٧/٣ .
(٣٣د) الطبري ٦٨٦/٣ .
(٣٣هـ) الطبري ٩٨٥/٣ .
(٣٣و) الطبري ٩٥٨/٣ .
(٣٣ز) الاشتقاق ١٨١ .
(٣٣ح) فتوح البلدان ١٢٩ .
الطالبيين ١٢٥) .
(٣٤) انساب الاشراف ٤ ـ ١٧١/١
(٣٥) نشوار المحاضرة ١١٦/٨
(٣٦) فتوح البلدان ٣٤١
(٣٧) فتوح البلدان ٣٤
(٣٨) ياقوت ٩٠/١، مراصد ٥١٠
(٣٩) الطبري ٢٣٨٦/١
(٤٠) البلدان ٣٢٣
(٤١) الطبري ٣/
(٤٢) الطبري ١١٢٣/٢

المــذار :

المذار بلدة تردد ذكرها في المصادر العربية حيث انها تقع في أعلى دجلة العوراء التي انقطعت عن مجرى دجلة القديم ؛ وهي تقع في الاطراف الشرقية من مصب نهر ابي الاسد بدجلة ، اذ يذكر سهراب « واذا خرج الخارج من نهر أبي الاسد فان دجلة العوراء تستقبله معترضة له ، فالطريق الى البصرة على يمين الخارج ؛ ويسرته الى عبدسي والمذار ، وليس لها هناك مصب ولا مخرج ، بل هي نهاية يلحقها المد والجزر ، فاذا عطف الخارج من نهر أبي الاسد منه مرّ ماداً الى الدسكرة والمفتح وعبادان وسليمانان ويصب في البحر أسفل عبادان[٤٣] .

وقد اكسبها موقعها أهمية في المواصلات ، فذكر ابن خرداذبه في كلامه عن سكك البريد انه « من عبدسي الى سكة المذار ثماني سكك ؛ ومن المذار الى البصرة ، وكانت فيها دواب البريد ؛ ثلاث سكك » وسياق النص يشير الى ان دواب البريد كانت في المذار وهي متصلة بالاحواز التي تمر حدودها من وراء المفتح والمذار ، وتقع بيروذ بينها وبين بصنا[٤٤] .

لم يرد في المصادر ذكر لوحدة ادارية باسم المذار ؛ وانما ذكرت المصادر انها مدينة ، فيقول اليعقوبي « المذار وهي مدينة ميسان ؛ ومدينة المذار على دجلة أيضا »[٤٥] ويقول ياقوت ان المذار « هي قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام ، وبها مشهد عامر كبير جليل عظيم قد انفق على عمارته الاموال الجليلة وعليه الوقوف ، وتساق اليه النذور ، وهو قبر عبيدالله بن علي بن أبي طالب ، وأهلها كلهم شيعة غلاة[٤٦] ، ويذكر ابن عتبة « مشهد المذار هو مشهد عبيدالله بن علي بن ابي طالب »[٤٧] .

---

(٤٣) سهراب ١٠٣
(٤٤) المسالك ٢٢٤
(٤٥) البلدان ٣٦٢
(٤٦) ياقوت ٤/٤٦٧
(٤٧) عمدة الطالب ١٧٥ ويذكر الاصفهاني ان عبيد الله قتل في المذار (مقاتل الطالبيين ١٢٥) .

يعتبر الاصطخري والمقدسي والدبيثي المذار من أعمال البصرة[٤٨] .

يذكر ياقوت « هاطرى قرية مقابل المذار من أرض ميسان وهي قرية طيبة نزهة كثيرة النخل والشجر والمياه والدجاج وقد رأيتها »[٤٩] وبين المذار والبصرة تقع مطارا[٥٠] التي يقع بينها وبين المذار ومطارا نهر أبي الاسد[٥١] .

يذكر الطبري عن سيف بن عمران خالد بن الوليد عندما تقدم من منطقة البصرة اشتبك مع قوة فارسية يقودها الهرمزان ودحرها ، وتجمعت القوات الساسانية في المذار فاشتبك معهم خالد في معركة حامية ، انتصر فيها وقتل ثلاثة من كبار قوادهم [٥١أ] .

يذكر المدائني ان عتبة بن غزوان بعد ان فتح الفرات « أتى المذار فخرج اليه مرزبانها فقاتله ، فهزمه الله وغرق عامة من معه وأخذ المرزبان سلماً فضرب عنقه[٥٢] ، وقد أشار الى مرزبان المذار عند الفتح الاسلامي كل من ابن سعد واليعقوبي[٥٣] .

وعندما انشق بنو ناجية عن علي ارسل قوة طاردتهم الى المذار[٥٤] .

وعندما ارسل المختار قوة لانتزاع البصرة ، اشتبك معهم مصعب بن الزبير في المذار ودحرهم[٥٥] وفي حركات الزنج كان الجبائي قائد الزنج يوقع بالقرى التي في نواحي المذار ويعود الى نهر المرأة[٥٦] ولما اندحر الشعراني في طهيثا انهزم جيشه الى المذار[٥٧] .

---

(٤٨) الاصطخري ٨٨ ، المقدسي ٥٣ ، ابن الدبيثي ١٦١/٢

(٤٩) ياقوت ٩٤٧/٤ (٥٠) ياقوت ٥٥٣/٢ ، ٥٦١/٤

(٥١أ) الطبري ٢٠٢٦/١ – ٢٩ .

(٥٢) فتوح البلدان ٢٤١ (عن ابن اسحاق ، ياقوت ٤٦٨/٤ ، وانظر ايضا فتوح البلدان ٢٥٢

(٥٣) ابن سعد ٧ – ٣/١ ، اليعقوبي ١٦١/٢ .

(٥٤) الطبري ٣٤٢٥/١ - ٣٤٢٨ ، وانظر ايضا التنبيه والاشراف ٢٠٤ ، اليعقوبي ١٦١/٢

(٥٥) الطبري ٧٢١/٢ ، انساب الاشراف ٢٥٢/٥

(٥٦) الطبري ١٨٩٩/٣ (٥٧) الطبري ١٩٦٥/٣

وفي الاطراف الجنوبية الشرقية من المذار كان يقع نهر السيب ، وبين هذا النهر والمذار كانت قرية اليهود ، وبامداد ، وجبل الشياطين ، فيذكر الطبري ان صاحب الزنج لما تحرك من السيب قاصدا المذار صار الى قرية اليهود وهي شارعة على دجلة ، ثم سار يريد المذار ، وعبر نهر بامداد الى ان وصل بستانا وتلا يعرف بجبل الشياطين ثم عاد بعد ذلك الى السيب[٥٨] .

والسيب من الانهار التي تردد ذكرها في أخبار حركات صاحب الزنج الذي اتخذ مقره في الجعفرية الواقعة على هذا النهر . وقد ذكر ياقوت ان السيب نهر بالبصرة فيه قرية كبيرة »[٥٩] .

وعند السيب كانت تقع مسكن ونهر افريد ونهر خداش ، فقد ذكر الطبري انه عندما انكسر عبدالرحمن بن الاشعث في معركة دير الجماجم ، طارده الحجاج والتقى به « بين دجلة والسيب والكرخ ، وكان معسكر ابن الاشعث على نهر خداش مؤخر نهر تيري ؛ أما عسكر الحجاج فقد قام على نهر افريد[٦٠] ، ولاريب من ان نهر افريد هو نفس نهر فريد الذي كان بالقرب من السيب الذي ورد ذكره في أخبار تقدم صاحب الزنج بعد انتصاره على القائد العباسي رميس وعبوره الى شرقي السيب فقد ذكر الطبري ان صاحب الزنج « سار حتى أتى نهر فريد ، فانتهى الى نهر يعرف بالحسن بن محمد القاضي ، وعليه مسناة تعترض الجعفرية ورستاق القفص ، وكانت عليه قرية أهلها من بني عجل »[٦١] .

ومن ابرز المعالم على نهر السيب هي الجعفرية التي كانت تقع على السيب واتخذ فيها صاحب الزنج مقره[٦٢] ، وكان في سوقها دار جعفر بن سليمان الذي أقام فيه صاحب الزنج برهة من الزمن[٦٣] ، وقد مر بها أبو

---

(٥٨) الطبري ١٧٥٥/٣
(٥٩) ياقوت ٢٠٩/٣
(٦٠) الطبري ١١٢٤/٢
(٦١) الطبري ١٧٥٨/٣
(٦٢) الطبري ١٧٥٢/٣
(٦٣) الطبري ١٧٥٢/٣

احمد الموفق في طريقه من الاهواز الى منطقة البصرة ، وحفر فيها عددا من الابار لانه وجد ان هذه القرية لم يكن فيها ماء الا من الابار .

وبين الجعفرية ونهر المبارك يقع البشير[٦٤] .

وفي شرقي الجعفرية يقع العباسي العتيق الذي مر منه صاحب الزنج عند عودته من مقره على نهر الميمون الى الجعفرية[٦٥] ، كما مر به الموفق في طريقه من سوق الاهواز[٦٦] . وتقع على قورج العباس قنطرة في موضع تشتد فيه جرية الماء[٦٧] وهذا القورج يقع على نهر العباسي الذي أراد البحراني قائد الزنج الخروج منه ليسبق الى نهر ابي الاسد[٦٨] . ويجري في شرقي القورج نهر موسى[٦٩] .

تمتد من القورج عدة طرق أحدها طريق الزيدان (الديان ؟) الذي يسلك فيه الى البصرة[٧٠] ، والثاني طريق يسلك الى نهر معقل[٧١] ، وطريق ثالث يؤدي الى بطيحة الصحناة ، وهو غير الطريق النهج[٧٢] .

وفي الجبهة الشرقية من القورج ، وعبْر الدجيل تقع جبى ، وكانت السفن تسير منها الى بيان[٧٣] .

وبالقرب من جبّى تقع الخيزرانية ، فعندما تقدم علي بن ابان قائد صاحب الزنج لحرب منصور بن جعفر الوالي العباسي على الاحواز ، جاء الى جبّى وعسكر بالخيزرانية ، فلما انكسر في المعركة انسحب من ذنابة نهر جبّى الى الخيزرانية ثم تقهقر منها الى نهر عمران[٧٤] .

---

(٦٤) الطبري ٣/١٩٧٨
(٦٥) الطبري ٣/١٧٥٣
(٦٦) الطبري ٣/١٩٧٨
(٦٧) الطبري ٣/١٨٦٨
(٦٨) الطبري ٣/١٨٦٦
(٦٩) الطبري ٣/١٨٤٧
(٧٠) الطبري ٣/١٨٨٦
(٧١) الطبري ٣/١٨٦٢ ، ١٨٦٦
(٧٢) الطبري ٣/١٨٨٦
(٧٣) الطبري ٣/١٧٧٢
(٧٤) الطبري ٣/١٨٦١

وفي شرق جبى تقع الكرخ ، فقد ذكر الطبري ان صاحب الزنج سار من نهر ميمون الى الكرخ فجبى حيث عبر الدجيل في طريقه الى العباسي العتيق فالسيب[٧٥] ، وعندما كان العباسيون مقيمين على قنطرة ميمون عبر صاحب الزنج الدجيل وأخذ في مؤخرة الكرخ حتى وافى نهر ميمون[٧٦] .

وبالقرب من الكرخ كانت تقع باقثا التي تشرع على دجيل[٧٧] .

يذكر ياقوت في ترجمة القاسم بن علي الكرخي انهم « سموا الكرخيين لان أهلها من ناحية الرستاق الاعلى بالبصرة في عراض المفتح باقية الى الآن ، الا انها كالخراب لشدة اختلالها » ويذكر أهلها من الغلاة[٨٧] .

ويذكر الطبري ان اردشير بنى كرخ ميسان[٧٩] اما ابن الفقيه فيقول ان اردشير بنى « استراباذ وهي كرخ ميسان ، وهي من كورة دجلة[٨٠] فاذا اعتبرنا كرخ ميسان التي ذكرها الطبري وابن الفقيه هي نفس الكرخ التي ذكرها الطبري ، فان هذا يدل على ان المفتح وكور دجلة كانت تمتد الى هذه النقطة .

وفي شرقي الدجيل يقع نهر الميمون الذي اتخذ عليه صاحب الزنج مركزه في حركاته الاولى في هذه المنطقة[٨١] ، وكان عليه سوق ومسجد يشرعان على النهر ، وقد اتخذ صاحب الزنج مقرّه في هذه السوق[٨٢] والراجح ان هذا المقرّ والسوق كان في بلدة المحمدية التي تقع عليه[٨٣] .

وبالقرب من نهر الميمون كان يجري نهر بور[٨٤] ونهر طين[٨٥] ويبدو

---

(٧٥) كذلك ٣/١٧٥٣
(٧٦) كذلك ٣/١٧٦١
(٧٧) كذلك ٣/١٧٥٩
(٧٨) ياقوت ٤/٤٥٣
(٧٩) الطبري ١/٨١٨
(٨٠) البلدان ١٩٨
(٨١) الطبري ٣/١٧٥٠ ، ١٧٦٠
(٨٢) كذلك ٣/١٧٥٠
(٨٣) كذلك ٣/١٧٥٢ وانظر ١٧٦١
(٨٤) كذلك ٣/١٧٥١
(٨٥) كذلك ٣/١٧٥١

إن نهر الميمون لا يبعد كثيرا عن الرزيقية التي تقع في مؤخر نهر الباذاورد[٨٦].

وبالقرب من نهر الميمون تقع القادسية التي يقربها الشيفيا . وسبخة الشيفيا تقع عند برد الخيار ، وبازاء هذا النهر تقع اقشى[٨٧] .

ذكرنا ان نهر الدجيل يمر بين الكرخ ونهر الميمون ، وقد تردد ذكره في الاخبار بسبب سعته وأهميته ، وكان عليه عدد من المعالم ومنها الوديان التي تقع على شاطىء دجيل[٨٨] . ويقع عليه أيضا قصر المأمون الذي عبر عنده الموفق نهر الدجيل في طريقه من سوق الاهواز الى الجعفرية[٨٩] وكانت تشرع عليه باقثا[٩٠] .

وعلى الدجيل تقع اقشى ، وبقربها نهر برد الخيار الذي كانت على فوهته سبخة[٩١] والراجح ان اقشى كانت مقابل نهر الدير أو قريبة من ذلك ، حيث ان القائد العباسي رميس لما انكسر في برد الخيار انحاز مع من كان معه الى نهر الدير على طريق اقشى[٩٢] ، وقد ذكرنا انها قد تكون « امسى » التي ذكر اليعقوبي انها مدينة دست ميسان .

وفي الشمال من برد الخيار تقع قرية المهلبي المقابل لقياران ، ثم يأتي بعدها قرية تنغت والمهلبية ، ثم نهر الماديان[٩٣] .

يقع نهر الماديان بالقرب من برمساور والنهر العتيق ، فقد لقى فيه الجبائي قائد صاحب الزنج رميسا القائد العباسي وهزمه الى النهر العتيق وبرمساور[٩٤] وعندما رتب قائد صاحب الزنج سليمان بن جامع قواته وقسمها ثلاث فرق : احداها في نهر ابان ، والثانية في برتمرتا ، والثالثة في

---

(٨٦) الطبري ٣/١٧٥٠ .
(٨٧) كذلك ٣/١٧٦١ – ٢
(٨٨) انساب الاشراف ٢ – ١/٦٤
(٨٩) الطبري ٣/١٩٧٨
(٩٠) الطبري ٣/١٧٥٩
(٩١) كذلك ٣/١٧٦١
(٩٢) كذلك ٣/١٧٦٣
(٩٣) كذلك ٣/١٧٦٤
(٩٤) الطبري ٣/١٩٠١

بردودا ، قابلها الموفق وهزمها فارتدت الى سوق الخميس والماديان ، وأخذ قوم منهم في برتموتا وآخرون في طريق الماديان ، وانهزم الذين سلكوا الماديان في معركة نشبت بالقرب من قرية الرمل ، وقد طاردهم الموفق حتى وصل برمساور[٩٥] ويقول خليفة ان الماديان هي مناذر[٩٦] .

المفتح :

يقول الاصطخري[٩٧] والمقدسي[٩٨] ان المفتح من مدن البصرة ، ويقول المسعودي انها من اعمال البصرة[٩٩] ، ويقول المقدسي ان « حدود خوزستان تعطف من وراء المفتح والمذار »[١٠٠] وكانت تقع على دجلة العوراء « التي تدعى بالفارسية بهمنشير ، وهي دجلة المفتح والابلة وعبادان »[١٠١] وكانت على الجهة الشرقية من النهر « فاذا عطف الخارج من نهر أبي الاسد مرّ ماداً الى الدسكرة والمفتح وعبادان وسليمانان »[١٠٢] وقد أورد صاحب حدود العالم ما يحدد موقعها فقال « المفتح رستاق أهل شرقي دجلة ، يبدأ من نهر معقل[١٠٣] وقال أيضا « يفصل عن دجلة قرب المفتح نهر يدعى نور معقل يذهب الى البصرة »[١٠٤] ووصفها ياقوت بأنها « قرية بين البصرة وواسط وهي من أعمال البصرة ، ومفتح دجيل ناحية من دجيل الاهواز »[١٠٥] .

وقد عسكر في المفتح ابن الماحوز الخارجي ، فلما تقدم اليه المهلب انسحب فعسكر دون الاهواز بثمانية فراسخ[١٠٦] .

يذكر سهراب ان الانهار التي على الجانب الايسر من دجلة هي نهر

---

(٩٥) كذلك ١٩٥٠/٣

(٩٦) تاريخ خليفة ٤٠٨

(٩٧) المسالك ٨١

(٩٨) احسن التقاسيم ٥٣ ، ١١٤

(٩٩) التنبيه والاشراف ٣١٩ وانظر أيضا ياقوت ٥٨٦/٤

(١٠٠) احسن التقاسيم ٨٨

(١٠١) التنبيه والاشراف ٤٧

(١٠٢) سهراب ١٣٥

(١٠٣) حدود العالم ١٣٨

(١٠٤) كذلك ١٧٦

(١٠٥) ياقوت ٥٨٦/٤

(١٠٦) الطبري ٥٩١/٢

المبارك الذي يقابل نهر ابي الاسد ، ثم نهر الريان الذي يبعد ١٣ فرسخا جنوبي المبارك ، وهذه المسافة تجعل الريان يقابل نهر معقل ، أي قرب المفتح ، ويضيف سهراب ان الريان كان طريقا الى الاهواز فسكر »[١٠٧] ولكنه لايذكر زمن سكره . وعلى أي حال فلم اجد له اشارة في حوادث الزنج مما يدل على فقدانه الاهمية آنذاك .

وعند المفتح تقع برنخل[١٠٨] وقد اتخذ صاحب الزنج برنخل مقرا له في أوائل قيامه بحركته وبعد احرازه بعض النجاح[١٠٩] ، وقد أورد الطبري تفاصيل عن حركات صاحب الزنج بعد استقراره في برنخل ، وذكر في ثناياها أسماء عدد من المعالم الواقعة في منطقة برنخل ، فقد ذكر ان صاحب الزنج نزل في برنخل بقصر يدعى قصر القرشي ، على نهر عمود ابن المنجم الذي كان بنو موسى بن المنجم احتفروه[١١٠] ثم انتقل الى مؤخر القصر الذي كان عنده موضع يعمل فيه عمال السنائي الذين يعملون في نهر المكاثر ، ثم تحرك الى موضع السرافي ، فموضع ابن عطاء ، وتابع سيره حتى وصل الدجيل[١١١] .

يذكر الطبري ان صاحب الزنج بعد ان تحرك من برنخل غربا عبر الدجيل ثم وصل نهر ميمون[١١٢] وعاد منه الى الكرخ ، فجبّى ، فدجيل ، فالعباسي العتيق فالسيب وهو نهر قرية الجعفرية[١١٣] .

ويلاحظ ان الموفق عندما تقدم من سوق الاهواز الى البصرة عبر دجيل عند قصر المأمون ثم تقدم الى قورج العباس ، فالجعفرية ، فالبشير ، فالمبارك[١١٤] .

---

(١٠٧) سهراب ١٣٦
(١٠٨) التنبيه والاشراف ٣١٩ ، عيون الاخبار ١/٢٤
(١٠٩) الطبري ٣/١٧٤٧ ، التنبيه والاشراف ٣٩١ ، العيون والحدائق ١/٤٧.
(١١٠) الطبري ٣/١٧٤٧
(١١١) الطبري ٣/١٧٤٩ ـ ١٧٥٠
(١١٢) كذلك ٣/١٧٥٣
(١١٣) كذلك ٣/١٩٧٨
(١١٤) كذلك ١٧٥٠

فأما نهر الميمون فانه كان يقع قرب الدجيل ، وكان يشرع عليه السوق والمسجد(١١٥) وقد أقام عنده صاحب الزنج ، ولعل هذا السوق هو سوق المحمدية(١١٦) .

وبالقرب من الميمون كان يقع نهر بور ، وكذلك نهر طين(١١٧) ويبدو انه لا يبعد كثيرا عن الزيقية التي تقع مؤخر الباذ اورد(١١٨) .

كان عسكر أبي جعفر حيال نهر معقل(١١٩) وهو عند جسر البصرة(١٢٠) وهو على بعد فرسخ من الابلة(١٢١) وكان سعيد الحاجب القائد العباسي قد أقام به بعد ان أوقع بالزنج في نهر معقل(١٢٢) .

يقول المقدسي ان عسكر أبي جعفر بازاء الابلة(١٢٣) وانه « تأخذ من نهر العباس » الى عسكر أبي جعفر على دجلة ، ثم تعبر الى الابلة وهو طريق »(١٢٤) .

في وصف الطبري تحركات الموفق للقضاء على حركة صاحب الزنج ما يشير الى موقعها فهو يذكر ان الموفق تقدم من نهر المبارك الى نهر جطى وقام منه بحركات استطلاعية « وسار حتى وافى الفرات ووازى عسكر الفاسق(١٢٥) وفي اليوم التالي « رحل أبو احمد عن نهر جطى الى معسكر قد كان تقدم في اصلاحه ، وعقد القناطر على انهاره ، وقطع النهر ليوسعه بفرات البصرة واوطن هذا المعسكر » ويقول ان مقر أبي احمد كان حيال الموضع المعروف بدير جابيل(١٢٦) ويدل هذا على ان الفرات كانت جنوبي نهر جطي ومقابل دير جابيل .

---

(١١٥) كذلك ١٧٥٢/٣
(١١٦) كذلك ١٧٥١/٣
(١١٧) كذلك ١٧٥١/٣
(١١٨) كذلك ١٧٥١/٣
(١١٩) الصولي : اخبار الراضي ٩٩
(١٢٠) تاريخ خليفة ٤٤٧ ، اخبار القضاة لوكيع ١٧٦/٢ ؛ ١٣٢
(١٢١) المقدسي ١٣٧
(١٢٢) الطبري ١٨٤٢/٣
(١٢٣) المقدسي ١١٣
(١٢٤) كذلك ٤١٩
(١٢٥) الطبري ١٩٨٦/٣
(١٢٦) كذلك ١٩٨٨/٣ ؛ ٢٠٩٤

والراجح ان في هذه المنطقة يقع نهر الفهرج الذي يذكر خليفة ان صاحبة نهر المرأة « صالحت من رأس الفهرج الى نهر المرأة »[١٢٧] ويروي المدائني عن أشياخه « ان ما بين الفهرج الى الفرات صلح ، وسائر الابلة عنوة »[١٢٨] ويذكر الطبري ان نهر الفهرج وهي بين البصرة في شرقي دجلة ، فأقام هنالك بموضع وعر كثير النخل والدغل والاجام متصلة بالبطيحة »[١٢٩] .

وفي هذه المنطقة تقع الشعيبية التي ينقل البلاذري عن بعض أهل العلم بضياع البصرة « كان أهل الشعيبية من الفرات جعلوها لعلي بن أمير المؤمنين الرشيد ، في خلافة الرشيد ، على ان يكونوا مزارعين له ويخفف مقاسمتهم ، فتكلم فيها فجعلت عشرية من الصدقة ، وقاسم اهلها على ما رضوا به ، وقام له بأمرها شعيب بن زياد الواسطي الذي لبعض ولده دار بواسط على دجلة ، فنسبت اليه »[١٣٠] .

يدل النص الذي أوردناه أعلاه عن توزيع قوات الموفق قبيل هجومه الاخير على مواقع الزنج على ان نهر جطى كان في الطرف الشمالي الاقصى ، فقد أقام فيه الموفق عندما تحرك من مقامه من عسكر أبي جعفر[١٣١] ، ولما وزع قواته استعدادا لمقاتلة صاحب الزنج القضاء على معاقله في أبي الخصيب ، جعل ساقته تقيم في نهر جطى[١٣٢] ويذكر الطبري ان نهر جطى حيال النهر اليهودي[١٣٣] وهذا ان صح يفترض ان نهر اليهودي يقع شمالي دير جابيل .

اما نهر هالة فلم أجد له ذكرا في غير هذا الخبر .

اما هطمة فقد اتخذها سعيد الحاجب قاعدة لحركاته ضد الزنج[١٣٤] وقد وصفها الطبري بأنها « من أرض الفرات »[١٣٥] .

---

(١٢٧) كذلك ١٩٨٦/٣

(١٢٨) كذلك ١٨٤٢/٣ ، ١٨٤٣

(١٢٩) كذلك ١٨٤٢/٣

(١٣٠) ١٧٦٩/٣

(١٣١) الطبري ١٩٨٦/٣ .

(١٣٢) كذلك ١٩٨٨/٣ ، ٢٠٩٤ .

(١٣٣) كذلك ١٩٨٦/٣ .

(١٣٤) كذلك ١٨٤٢/٣ ، ١٨٤٣ .

(١٣٥) كذلك ١٨٤٢/٣ .

اما سنداداں بيان ، فان اسمه يدل على انه من فروع نهر بيان وقريب منه وعندما تحرك صاحب الزنج من سوق الريان ونزل قرية عمرو بن مسعدة تقدم لمقاتلته الجيش العباسي من الابلة ، فسار على سنداذان بيان حتى وصلوا أرض أبي العلاء البلخي وهي عطفة على دبيران ، فقاتلهم فيها صاحب الزنج وهزمهم[١٣٦] .

وبالقرب من سنداذان بيان تقع ترسى وبرسونا[١٣٧] ، كما ان بالقرب منه وفي جنوبيه يقع نهر شريكان الذي تحرك اليه صاحب الزنج في طريقه الى فوهة القندل[١٣٨] .



(١٣٦) ١٧٦٩/٣

(١٣٧) ١٧٦٣/٣ .

(١٣٨) كذلك ١٧٧١/٣ .

الفــرات :

يقول حمزة ان بهمن اسفنديار « بنى بأرض ميسان مدينة وسماها باسمه بهمن اردشير »[1] ، ويقول أيضا ان « بهمنشير اسم لمدينة على شاطئ دجلة العوراء بأرض ميسان ، والبصريون يسمونها باسمين احدهما بهمنشير والاخر فرات البصرة »[2] .

فتحت الفرات على يد عتبة بن غزوان فيروى شويس العدوى « خرجنا مع أمير الابلة فظفرنا بها ثم عبرنا الفرات ، فخرج الينا أهل الفرات بمساحيهم فظفرنا بهم وفتحنا الفرات » ويروي المدائني عن جهم بن حسان « فتح عتبة الابلة ووجه مجاشع بن مسعود على الفرات وامر المغـيرة بالصـلاة » وان « ما بين الفهرج الى الفرات صلح ، وسائر الابلة عنوة »[3] ويقول ان عتبة أتى الفرات وعلى مقدمته مجاشع بن مسعود السلمي ففتحه عنوة .

ويروي ابن الكلبي ان عتبة قاتل أهل مدينة الفرات .. ففتح الله على المسلمين تلك المدينة وأصابوا غنائم كثيرة ، ولم يكن فيهم أحد يكتب ويحسب الا زياد ، فولى قسم ذلك المغنم[4] .

وكانت الفرات مركزا لسك النقود بعد التعريب ، ووجدت دراهـم مسكوكة فيها في السنوات ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧[5] .

وفي سنة ١٤٣ هـ ثار بعض الزنج بقيادة رباح شار زنجي ، فغلب على الفرات[6] وكان معه أربعون « فأجلوا أهل الفرات عن منازلهم وقتلوا من

---

(١) تاريخ حمزة ٣٧ . (٢) كذلك ٤٣ .
(٣) فتوح البلدان ٣٤١ ، ياقوت ٣/٨٦٢
(٤) فتوح البلدان ٣٤٢ ، ياقوت ١/٦٤
(٥) ولكر ٢/١٦٨
(٦) انساب الاشراف ٣٠٣ طبعة اهلورت ، الجاحظ فخر السودان (رسائل الجاحظ ١/١٩٢) .

أهل الابلة مقتلة عظيمة[٧] ويقول وكيع ان الزنج ثاروا قبل ذلك في زمن الحجاج بباب دوما من الفرات[٨] .

وعند فرات البصرة نهر يقال له فيل بانان ، وموضع آخر يقال له فيلان[٩] ولعله الذي ذكره البلاذري وقال انه منسوب الى فيل مولى زياد ، دون ان يحدد موقعه[١٠] .

بالنظر لقرب الفرات من أراضي البصرة ، فقد تأثرت أحوال أراضيها بالاوضاع الناجمة عن استقرار العرب في البصرة وقيامهم باحياء الاراضي فيروي البلاذري « وبالفرات ارضون أسلم اهلها عليها حين دخلها المسلمون ، وارضون خرجت من ايدى اهلها الى قوم مسلمين بهبات وغير ذلك من اسباب الملك ، فصيرت عشرية وكانت خراجية ، فردها الحجاج الى الخراج .

ثم ردّها عمر بن هبيرة الى الخراج .

فلما ولي هشام بن عبدالملك ردّ بعضها الى الصدقة .

ثم ان المهدي أمير المؤمنين جعلها كلها من أراضي الصدقة »[١١] .

وقد كان لاهل الفرات دور في بعض الحوادث السياسية ، فلما ثار يزيد ابن المهلب على الخلافة الاموية عارضه الحسن البصري في ثورته وأخذ يؤلب عليه « سقاط الابلة وعلوج فرات البصرة »[١٢] ، وقد اعتمد صاحب الزنج في الأدوار الاولى من فرات البصرة »[١٣] وانضم اليه كثير من أهل الفرات[١٤] . « وميز الزنج من الفراتية »[١٥] ثم انه جمع « الفراتية والقرماطيين والنوبة وغيرهم ممن يفصح بلسان العرب » وحلف لهم بأنه لن يخونهم[١٦] ويتبين

(٧) فجر السودان ١/١٩٥ .
(٨) اخبار القضاة ٢/٥٧ .
(٩) الحيوان للجاحظ ٧/٨٢ .
(١٠) فتوح البلدان ٣٦٣ .
(١١) فتوح البلدان ٣٦٧ .
(١٢) الطبري ٢/١٤١٠ .
(١٣) كذلك ٣/١٧٤٣ .
(١٤) كذلك ٣/١٧٦٠ .
(١٥) كذلك ٣/١٧٥٦ .
(١٦) كذلك ٣/١٧٥٧ .

من هذا ان الفراتية كانوا مجموعة كبيرة تتكلم العربية ، والراجح انهم قدماء الفلاحين في المنطقة .

كانت الفرات تتبعها أراضي يصعب تحديدها ؛ وقد ذكر منها الطبري « هطمة من أرض الفرات »[١٧] و « نهر المبارك من فرات البصرة »[١٨] .

تقرن بعض المصادر فرات البصرة ببهمنشير ، وتعتبر الاسمين لمسمى واحد ؛ فيذكر ابن الفقيه ان بهمن اردشير هي فرات البصرة ، وان اردشير هو الذي بناها ، وانها من كور دجلة[١٩] ويقول حمزة الاصفهاني ان بهمنشير التي بناها اردشير « اسم مدينة على شاطيء دجلة العوراء بأرض ميسان ، والبصريون يسمونها باسمين : احدهما بهمنشير والاخر فرات ميسان[٢٠] ونقل ياقوت عن حمزة ان بهمنشير « كانت مدينة في عبر دجلة العوراء في شرقيها تجاه الابلة خربت ودرس أثرها[٢١] ويقول في مكان آخر « بهمن اردشير تسمى فرات البصرة[٢٢] . ان هذه النصوص تظهر ان مدينة الفرات هي نفس بهمنشير وهو الاسم الذي اطلق عليها في زمن اردشير الذي ينسب اليه بناء المدينة . غير ان الطبري يذكر ان بهمن اردشير التي بناها اردشير هي الابلة وانها بكور دجلة[٢٣] . والراجح ان تعبير الطبري غير دقيق والاصح هو ان بهمنشير هي الفرات .

يذكر ابن خرداذبه وقدامة ان بهمنشير هو اسم احد الطساسيج الاربعة التي تتكون منها كور دجلة[٢٤] . أما ياقوت فيذكر ان بهمنشير كورة واسعة بين واسط والبصرة منها ميسان والمذار ، وتسمى فرات البصرة ؛ والبصرة

---

(١٧) الطبري ٣/١٨٤٢ .
(١٨) كذلك ٣/١٩٧٨ وانظر العيون والحدائق ١/٩٦ .
(١٩) البلدان ١٩٨ .
(٢٠) تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ٤٣ .
(٢١) ياقوت ١/٧٧٠ .
(٢٢) ياقوت ٢/٨١٦ .
(٢٣) الطبري ١/٦٨٧ .
(٢٤) ابن خرداذبة ٧ ؛ قدامة ٢٣٥ .

منها[٢٥]، ويذكر أيضاً ان جزيرة عبادان من كورة بهمنشير[٢٦] . وقد يدل هذا على ان الساسانيين كانوا يطلقون على « الفرات » بهمنشير، وانها كانت طسوجاً، أو ربما كانت كور دجلة تسمى في زمنهم بذلك الاسم ثم بدله العرب وسموه « كور دجلة » وان كانت التسمية الفارسية ظلت تذكر في بعض الكتب العربية .

الموفقية :

وعندما تقدم الموفق للقضاء على صاحب الزنج اختار قاعدة له منطقة بالقرب من الفرات، ومهد لها باصلاح الموقع وعقد القناطر على انهاره، وقطع النهر ليوسعه بفرات البصرة . وكان هذا المعسكر مقابل دير جابيل، فانشأ فيه مدينة سماها الموفقية، ونزلها في منتصف شعبان سنة ٢٦٧ هـ « وأمر باتفاذ الرسل في حمل المير من البر والبحر الى معسكره بالمدينة التي سماها الموفقية، وكتب الى عماله في النواحي في حمل الاموال الى بيت ماله في هذه المدينة .. وأمر بالكتاب الى عماله في النواحي باتفاذ كل من يصلح للاثبات في الديوان ويرغب في ذلك، وأقام ينتظر شهراً أو نحوه، فوردت المير متتابعة يتلو بعضها بعضاً، وجهز التجار صنوف التجارات والامتعة وحملوها الى المدينة الموفقية، واتخذت بها الاسواق، وكثر بها التجار والمتجهزون من كل بلد، ووردتها مراكب البحر وقد كانت انقطعت لقطع الفاسق واصحابه سبلها قبل ذلك بأكثر من عشر سنين، وبنى أبو احمد (الموفق) مسجد الجامع، وأمر الناس بالصلاة فيه، واتخذ دور ضرب فضرب فيها الدنانير والدراهم، فجمعت مدينة أبي احمد جميع المرافق، وسيق اليها صنوف المنافع، حتى كان ساكنوها لا يفقدون بها شيئاً مما يوجد في الامصار العظيمة القديمة وحملت الاموال، وأدرّ للناس العطاء في أوقاته، فاتسعوا وحسنت أحوالهم، ورغب الناس جميعاً في المصير الى المدينة الموفقية والمقام فيها »[٢٧] .

---

(٢٥) ياقوت ١/٧٧٠ .

(٢٦) ياقوت ٣/١٧٥ .

(٢٧) الطبري ٣/١٩٨٩ .

ولاريب في ان اقامة الجيش الكثير العدد في الموفقية والموارد التي كانت تصرف عليه ساعد على ازدهارها ، وعلى تقاطر التجار والراغبين في الربح ، بالاضافة الى من يحتاجهم الجيش في تجهيزاته • ويظهر من كلام الطبري ان الموفقية أصبحت مرفأ للسفن البحرية ، واستطاع الموفق ان يؤمن حمايتها من غارات صاحب الزنج •

غير ان الموفقية لم تحافظ على الحياة المزدهرة فيها ، فلما رحل الموفق وجيشه عنها بعد قضائه على حركة صاحب الزنج ، تدهورت أحوالها ، وطمست آخبارها ، كما طمست أخبار « الفرات » ، وعادت الحياة الى الابلة والبصرة •

عبادان :

تقع عبادان في أقصى الجنوب من منطقة البصرة ، وعلى مشارف البحر التي يقول الاصطخري انها « حد العراق » ، وان دجلة « تنتهي عمودها الى البحر بعبادان »[١] وانها « على شط البحر ومجمع ماء دجلة[٢] ، وان البصرة « لها نخيل متصلة من عبدسي الى عبادان نيف وخمسون فرسخا »[٣] •

يصف الاصطخري عبادان بقوله انها « حصن صغير عامر على شط البحر ومجمع ماء دجلة وهو رباط كان فيه محارس من القطرية وغيرهم من متلصصة البحر ، وبها على دوام الايام مرابطون ، ثم تقطع عرض دجلة فتصير على ساحل هذا البحر الى مهروبان[٤] » •

ويقول « للبصرة مدن : فأما عبادان والابلة والمفتح والمذار فعلى شط دجلة وهي مدن صغار متقاربة في الكبر عامرة الا الابلة فانها اكبرها »[٥]•
ويقول مؤلف حدود العالم ان « عبادان رستاق آهل عامر على ساحل

(١) المسالك ١٣ ــ ١٤
(٢) كذلك ٣٣
(٣) كذلك ٨٠
(٤) الاصطخري ٣٣
(٥) كذلك ٨١

البحر تأتي منه الحصر العباداتية والسامانية ويأتي منه الملح الى البصرة وواسط »[٦] .

ويقول المقدسي عن عبادان انها « فيها رباطات وعباد وصالحون وأكثرهم صنّاع الحصر من الحلفاء غير ان الماء فيها ضيق والبحر عليها مطبق »[٧] .

ويقول ناصري خسرو « تقع عبادان على شاطيء البحر ، وهي الجزيرة ؛ اذ ان النهر ينقسم هناك الى قسمين مما يجعل بلوغها متعذرا من أي ناحية بغير عبور الماء ويقع المحيط جنوب عبادان ، ولذا فان الماء يبلغ سورها وقت المد ، كما انه يبتعد عنها أقل من فرسخين أثناء الجزر »[٨] .

ويقول ياقوت ان عبادان « فيها مشاهد ورباطات وهي موضع ردي سبخ لاخير فيه ماؤه ملح فيه قوم منقطعون عليهم وقف في تلك الجزيرة يعطون بعضه ، وأكثر مواردهم من النذور وفيه مشهد لعلي بن أبي طالب وغير ذلك ، وأكثر أكلهم السمك الذي يصطادونه من البحر ؛ ويقصدهم المجاورون في المواسم للزيارة »[٩] .

ويقول صاحب حدود العالم انه « قرب مفتح ينفصل عن دجلة نهر يدعى نهر معقل يذهب الى البصرة .. وينفصل عن دجلة نهر آخر عند الابلة فيسير غربا الى حدود البصرة حيث يتصل بمعقل ويمر بالبصرة فيسمى نهر دبيس ، ثم يتصل بدجلة قرب عبادان[١٠] رستاق « على ساحل البحر »[١١] .

يذكر المقدسي ان « عبادان مدينة في جزيرة بين دجلة العراق ونهر خوزستان ليس وراءها بلد ولا قرية الا البحر .. والبحر عليها مطبق »[١٢] .

ويذكر المسعودي عند كلامه عن حدود العراق « ومن جهة المشرق

---

(٦) حدود العالم ١٣٩

(٧) احسن التقاسيم ١١٨ وعن استيطان العباد فيها انظر الصابي : الوزراء ٨٤

(٨) رحلة ناصري خسرو ٩٨ — ١٠٠ (٩) ياقوت ٥٩٨/٣

(١٠) حدود العالم ٧٦ (١١) كذلك ١٣٥

(١٢) احسن التقاسيم ١١٨

الجزيرة المتصلة بالبحر الفارسي المعروفة بميان روذان من كورة بهمن اردشير وراء البصرة مما يلي البحر »[١٣] ويلاحظ ان المقدسي في النص السابق لا يذكر اسم الجزيرة ، بينما يذكر المسعودي اسم الجزيرة ولا يشير الى وقوع عبادان عليها ، ولكننا نرجح ان النصين متكاملان ، وان الجزيرة التي أشار اليها المقدسي هي ميان روذان ، وهي التي تقع فيها عبادان .

ويذكر ياقوت « جزيرة عبادان وكانت تعرف بميان روذان معناه بين الانهر وهي من كورة بهمن اردشير »[١٤] ويقول أيضاً ان « ميان روذان وهي جزيرة تحت البصرة فيها عبادان يحيطها دجلة من جانبها وتصب في البحر الاعظم في موضعين أحدهما يركب فيها الراكب القاصد الى البحرين وبر العرب ، والاخر يركب منه القاصد الى كيش وفارس فهذه الجزيرة مثلثة الشكل من جانبيها دجلة والجانب الثالث البحر الاعظم ، وفيها نخل وعمارة وقرى من جملتها المحرزي التي هي مرفأ سفن البحر اليوم »[١٥] .

ويقول أيضا « فان دجلة اذا قاربت البحر انفرقت فرقتين عند قرية تسمى المحرزي ، ففرقة يركب فيها الى ناحية البحرين نحو بر العرب وهي اليمنى فأما اليسرى يركب فيها الى سيراف وجنّابة فارس ، فهي مثلثة الشكل وعبادان في هذه الجزيرة التي بين النهرين .. والعجم يسمونها ميان روذان لما ذكرنا من انها بين نهرين ومعنى ميان وسط وروذان النهر »[١٦] .

ويذكر في مكان آخر عندكلامه عن الخليجالعربي « وأولسواحله منجهة البصرة وعبادان انك تنحدر من دجلة من البصرة الى بليدة تسمى المحرزة في طرف جزيرة عبادان تتفرق دجلة عنده فرقتين ، احداهما تأخذ ذات اليمين فتصب في هذا البحر عند سواحل أرض البحرين وفيه تسافر المراكب الى البحر وبر العرب .. وتأخذ الفرقة الاخرى ذات الشمال وتصب في البحر من

---

(١٣) التنبيه والاشراف ٢٥
(١٤) ياقوت ٣/١٧٤
(١٥) ياقوت ٤/٧٠٨
(١٦) كذلك ٣ : ٥٩٨

جهة بر فارس ، وتصير عبادان لانصباب هاتين الشــعبتين في البحر جزيرة بينهما[١٧] .

ويتبين من هذه النصوص الثلاثة :

١ ـ ان المحرزي تقع على دجلة ، وهي في الطرف الشمالي من الجزيرة التي تبدأ بها .

٢ ـ ان عبادان تقع في الجزيرة .

٣ ـ ان الجزيرة المثلثة التي يحيطها فرعا دجلة والبحر تدعى ميان روذان[١٨].

٤ ـ ان المحرزي كانت في زمن ياقوت مرفأ السفن .



(١٧) كذلك ١/٥٠٢ (١٨) ياقوت ٥٩٨/٣

الفصل الثامن عشر

جباية البصرة وأرضها

ارض البصرة وحكمها :

كانت البصرة « مصراً » أسسها العرب وسكنتها المقاتلة ، واتخذها الولاة مركزاً لادارة سكانها والاقاليم التابعة لها ، وبهذا تعتبر أرضها مما تسري عليه الاحكام الخاصة بالامصار العربية ، ومنها ان ارضها التي تشيد عليها الدور والبيوت تعتبر املاكاً خاصة لاهلها ، ويوضع على المنتوجات الزراعية فيها العشر .

اما الاراضي التي في منطقتها فكانت تسمى احياناً في بعض المصادر « أرض البصرة » ، غير أنها من الناحية الادارية كانت لها أحكام تختلف عما يسري على الرقعة المسكونة في البصرة ، وكانت هذه الاراضي خاضعة لحكم الساسانيين وتسري عليها النظم التي وضعوها ، فلما تقدمت الجيوش العربية لضمها الى دولتهم ، أبدى بعض أهلها مقاومة تم القضاء عليها ،وأبقاها العرب بيد أهلها الذين كانوا يعملون بها ويزرعونها على ان يدفعوا عنها الخراج شأن كافة الاقاليم الاخرى التي ضمتها الدولة الاسلامية . وقد حدثت تطورات غير قليلة على مقدار الخراج وتقديره وطريقة جبايته ، غير انه من حيث العموم كان يقوم على أساس المساحة ، أي انه يقدر تبعاً لمساحة الارض المزروعة ، ومقداره يختلف تبعاً لما يزرع ، ونسبته من حيث العموم تقرب من نصف ثمن المحصول ، وتتم الجباية بالنقود [1] .

---

(١) اعددنا دراسة مستوعبة عن نظام الخراج في العراق نرجو ان ننشره قريباً.

غير ان استقرار الدولة رافقته تطورات واسعة من ابرزها في هذا الميدان استصلاح كثير من الاراضي الموات واعمـار كثير من الخراب واقطاع كثير من الاراضي لاصاحب لها ، وامتلاك كثير من العرب اراضي للزراعـة ، مما فصلناه في بحثنا عن انهار البصرة ومنطقتها .

وكان حكم هذه الاراضي ان تكون عشرية ، اى يدفـع عنها العشر لانها من حيث المبدأ لا يدفع عن منتوجها الخراج ، وانما يدفع العشـر ، غير انـه في الواقع كانت نسبة مايدفـع تتوقف على اساليب رى الارض وما يبذل فيها من جهد ، فكان ما يسقى بالماء أو سيحاً يؤخذ عليه العشر ، أما ما يسقى بالنواضح فيؤخذ عليه نصف العشر ، غير ان هذا لم يخلق مشكلة كبيرة في البصرة لان كافة أراضيها الزراعية كانت تسقى من مياه الانهـار .

ويتوقف مقدار ما يجبى على نوع المنتوج الذي تزرعه الارض ، غـير انه لما كان المنتوج الرئيس في منطقة البصرة هو النخيل والحنطة والشعير ، وان انواع المنتوج « التجارى » من النخيل محدود ، فأن هذا لم يولـد مشكلة كبيرة في البصرة ، علما ان الخضر كانت معفاة من العشر .

وقد تداخلت الاراضي العشرية مع الاراضي الخراجية في البصرة اكثر من تداخلها في المناطق الاخرى ، وسـبـّب هذا التداخل تعقيدات اداريـة كبيرة ومشاكل اشار اليها بعض الفقهاء .

فيروى وكيع ان الخليفة المهدى سأل عبيد الله بن الحسن العنبرى قاضي البصرة عن ماء دجـلة وماء الخـراج فأجابـه « يا أمير المؤمنـين خليج من البحر شرقيه عجمي وغربيه عربي ومجلس امير المؤمنين على منابت العكرش » [٢] ويروى الاصمعي ان المهدى كتب الى عبيد الله بن الحسن ان ينظر الانهار التي كانت أيام عمر وعثمان فيأخذ الصـدقة ، ويأخـذ من

---

(٢) اخبار القضاة ٢/٩١ ـ ٩٢ .

الانهار التي احدثت بعد ذلك الخراج ؛ فلم ينفذ كتابه ، فتوعده ، فلما بلغ الخبر عبيدالله بن الحسن جمع أشراف أهل البصرة وأهل العلم بالقضاء فاشهدهم انه قضى لأهل الانهار كلها التي في جزيرة العرب بالصدقة فلم يرد شيئاً من القضاء »[٣] ان هذه النصوص تظهر ان المهدي كان يعتزم جعل أراضي البصرة خراجية ، وانه أدرك ما قد يؤدي تنفيذه ذلك من معارضة ؛ فأراد الاستناد الى تبريرات من الفقهاء ، فوجه بالكتب الى قاضي البصرة ، ثم ناقش القاضي الذي أصر على رأيه بابقاء العشر على أراضي الجانب الغربي من دجلة خلافاً لما جرى عليه الامر ، ويظهر ان المهدي أذعن لحكم الفقهاء

ويقول ابو يوسف في كتابه « الخراج » الذي كتبه استجابة لطلب الخليفة هارون الرشيد . « وأما أرض البصرة وخراسان فانها عندي بمنزلة السواد ، وأما ما فتح من ذلك عنوة فهو أرض خراج ، وما صولح عليه اهله فعلى ماصولحوا عليه ولا يزاد عليهم ، وما اسلم عليه اهله فهو عشر ، ولست افرق بين السواد وبين هذه من شيء ؛ ولكن قد جرت عليها سنة وامضى ذلك من كان من الخلفاء فرأيت ان تقرها على حالها ؛ وذلك الامر وعليه العمل [٤] .

وقال يحيى بن آدم « وقد قال بعض اصحابنا في ارض البصرة : قال ارضها ارض عشر لانها استخرجت من انهار الخراج ، لان البطائح تقطع ما بينها وبين دجلة ، وشربها من البطائح ومن البحر ، والبطائح والبحر ليسا من انهار الخراج [٥] .

ويقول ابن الفقيه « البصرة وما خصت به أرض الصدقة التي لا يسوغ للسلطان الاعظم تبديلها ولا للعمال تغييرها [٦] .

ان ابا يوسف في كلامه الذي اوردناه اعلاه يؤكد حقيقة ان احوال

---

(٣) اخبار القضاة ٢/٩٧ .
(٤) الخراج لابي يوسف ٥٩ .
(٥) الخراج ليحيى بن ادم ٢٩ .
(٦) مختصر كتاب البلدان ١١٩ .

منطقة البصرة لاتختلف عن احوال بقية ارجــاء العراق ، ولكنه يشير الى تطورات آلت الى أن يقر الخلفاء عليها حكماً خاصاً • فهو يرى السير على ما استقرت عليه الامور ولا يغيرها • غير ان أبا يوسف لم يحدد أرض البصرة ، وبهذا يكون العنبري أوضح في تحديده أرض العشر وحصرها على الاراضي التي في غربي دجلة •

وذكرت المصادر معلومات متفرقة عن تطور الاحكام التي وضعها العرب على الاراضي في منطقة البصرة ، أي كور دجلة ، ويتبين منها ان العرب كانوا عندأخذهم كل بلدأومنطقة يفرضون عليها مبلغاً اجمالياً من المال يتوقف مقداره على غنى المنطقة وموقف أهلها من الجيش الاسلامي عند تقدمه •

وذكرت المصادر ما فرضه ولاة البصرة وقوادها على بعض المنــاطق والمدن عند دخولهم اياها • فيروى خليفة ان اهل نهر المرأة صالحوا خالــد ابن الوليد على اثنى عشر ألف درهم[٧] ، وان عتبــة بن غزوان « صــالح صاحبة نهر المرأة على ما وراء نهرهــا الى الجسر الاكبر[٨] ويذكر أيضاً ان المغيرة بن شــعبة صالح أهل نهر تيرى ودست ميسان وقراها على ألف ألف درهم ومائة الف درهم ، ثم كفروا ذافتتحها ابو موسى بعد[٩] •

ويذكر البلاذرى ان الابلة والفرات كانت فتحاً[١٠] وكذلك ميسان ومناذر كانتا عنوة[١١] ، ويذكر أيضاً « ما بين الفهرج الى الفرات صلحــا وسائر الابلة عنوة »[١٢] •

أما كور الاهواز فان خليفة بن خياط يذكر ان أبا موسى الاشــعري

---

(٧) تاريخ خليفة ٨٥ ؛ ويروى البلاذري ان خالد بن الوليد صالح اهل نهر المرأة (فتوح ٣٣٩) •

(٨) تاريخ خليفة ٩٧ •

(٩) تاريخ خليفة ١٠٠ •

(١٠) فتوح ٣٤٠ •

(١١) فتوح ٣٤٣ •

(١٢) فتوح ٣٤٠ عن المدائني ، وانظر ياقوت ٣/٢٦٢ •

وظف علي الاهواز عند فتحها عشرة الاف الف واربعمائة الف [١٣] ، وانه افتتح رامهرمز وسرّق صلحا ، وجنديسابور والسوس صلحا ؛ وانه وظف على رامهرمز اشياء بلغت جملتها ثماني مائة الف في كل عام ، وبلغ خراج سرّق مثل ذلك[١٤] .

ويقول البلاذري غزا المغيرة سوق الاهواز فصالحه دهقانها على مال ، ثم انه نكث فغزاها ابو موسى الاشعرى حين ولاه عمر بن الخطاب البصرة بعد المغيرة فافتتح سوق الاهواز عنوة وفتح نهر تيرى عنوة وولي ذلك بنفسه سنة ١٧ ؛ ويذكر ان أبا موسى فتح جميعها الا السوس وتستر ومناذر ورامهرمز ، وان عمر كتب الى العرب ، الا طاقة لكم بعمارة الارض فخلوا ما في أيديكم من السبي واجعلوا عليهم الخراج[١٥] .

ويذكر البلاذري ايضا ان مناذر فتحت عنوة [١٦] ، وان رامهرمز صالحهم أبو مريم الحنفي على ثمانمائة ألف أو تسعمائة ألف ؛ ثم انهم غدروا ففتحت عنوة ، وان سرق صولحت على مثل صلح رامهرمز ثم انهم غدروا ففتحها عبدالله بن عامر ، وأن تستر فتحت صلحا فكفرت[١٧] ؛ وان الكلبانية فتحت عنوة وجنديسابور صلحا [١٨] .

واتبعت مثل هذه الاجراءات في كور اقليم فارس الذى كانت فتوحه الاولى على يد الجيوش التي أنفذت من البحرين ، ثم رابطت في زمن خلافة عثمان بن عفان بالبصرة ، فيروي المدائني ان ايشهر صولحت وان عثمان بن أبي العاص صالح « سابور على ثلاثة الاف الف وثلاثمائة الف وزن سبعة ، وادخلوا في صلحهم كازرون وقلعة الرهبان » ، وانهم صالحوا اهل ارجان

---

(١٣) تاريخ خليفة ١٠٦ .　　(١٤) كذلك ١١١ .
(١٥) فتوح ٣٧٦ ، وانظر ياقوت ١/٤١٢ .
(١٦) فتوح ٣٧٧ .　　(١٧) فتوح ٣٧٨ .
(١٨) فتوح ٣٨ .

في سنة ٢٧ على ألفي ألف ومائتي ألف وأهل دارابجرد على ألفي ألف ومائتي ألف[١٩] وصولحت زرنج على ألف وصيف مع كل وصيف جام ذهب[٢٠] .

واتبع هذا في كور اقليم خراسان فقد صولحت سرخس على ١٥٠ الفا ، وابرشهر على ألف ألف ومائة ألف ، ومرو على ألفي ألف ومائتي ألف ، وبلخ على اربعمائة الف[٢١] .

ويذكر البلاذري في حكم كور اقليم فارس ان حزة من سابور كانت صلحا على أداء الجزية والخراج ، وان ارجان كانت صلحا ، وان دارابجرد « صالحه الهربذ على مال اعطاه اياه وعلى ان اهل دار ابجرد كلهم اسوة من فتحت بلاده من اهل فارس » وان « فسا صالحه عظيمها على مثل صلح دارابجرد ، ويقال الهربذ صالحه[٢٢] وان سابور صولحت » ثم نقضوا ففتحها أبو موسى عنوة ، وان دارابجرد انتقضت ثم فتحت[٢٣] كما فتحت عنوة كرمان وحيرفت والقفص[٢٤] .

العشر والخراج :

ان الاحكام التي ذكرناها اعلاه اقتضتها الظروف والاحوال التي رافقت الفتح ، فهي وقتية ، وكان لابد من اعادة النظر فيها بعد استقرار الحكم الاسلامي ، والواقع انه منذ اواخر زمن خلافة عمر جرى تعديلها لتطبق عليها اسس جديدة ، فقام أبو موسى الاشعري « استقرى كور دجلة فوجد أهلها مذعنين بالطاعة ، فأمر بمساحتها ووضع الخراج على قدر احتمالها »[٢٥] . والراجح انه قام بمثل هذا العمل في كور الاحواز بعد استقرار الحكم

---

(١٩) تاريخ خليفة ١٣٣ ــ ٣٤ ويروى خليفة عن الوليد بن هشام انهم صالحوا الهربذ على دارابجرد على ان يؤدي منها خمسة آلاف ألف ومائتي الف .
(٢٠) تاريخ خليفة ١٣٤ وعن زرنج انظر فتوح ٣٩٣ .
(٢١) تاريخ خليفة ١٤١ .
(٢٢) فتوح ٧٨٧ .
(٢٣) فتوح ٣٨٩
(٢٤) فتوح ٣٩٠ .
(٢٥) فتوح البلدان ٣٢٤ .
(٢٦) الاموال ١٣٩ .

الاسلامي ،ويروي أبو عبيد ابن المهلب بن أبي صفرة حاصر مناذر فأصابوا سبيا فكتبوا الى عمر ، فكتب عمر ان مناذر قريــة من قرى السواد فردوا اليهم ما اصبتم[٣٦] ويروى عن أبي الرقاد ان عمر كتب اليهم ان يخلوا ما في ايديهم من سبي ميسان [٢٧] .

قام التنظيم الاسلامي بعد استقرار الفتوح على اساس تقديــر الضرائب تبعا لموقفها من الفتوح ، فأراضي الاقاليم المفتوحة عنوة يوضع عليها الخراج ، الاسلام ، وتقلب اوضاعها ، وامتلاك العرب الاراضي اقطاعا او شراء : ادى الى كثير من الارباك .

وحدث مثل هذا في الاحواز فيروي أبو مجــلز رد عمر الاهواز الى الجزية بعدما قسموا بين المسلمين وغشى نساؤهم[٢٨] .

فيروى البلاذري ان الابلة والفرات فتحت عنوة ، وميسان ومناذر [٢٩] ،

ويروى ان أرض ميسان ودستميسان كانت خراجية فاعترض أهلها على زياد وقالوا « البصرة من أرضنا فحطّ عنا من خراجنا بقدر ما في أيــدي العرب » ، ولكن زيادا لــم يستجب لطلبهم [٣١] .

ويذكر البلاذري أيضاً « كان أهل الشعيبية من الفرات جعلوها لعلي بن أمير المؤمنين الرشيد في خلافة الرشيد على أن يكونوا مزارعين له ويخفف مقاسمتهم فتكلم فيها فجعلت عشرية من الصدقة وقاسم أهلها على ما رضوا به وقام له بأمرها شعيب بن زياد الواسطي الذي لبعض ولده دار بواسط على دجلة فنسبت اليه[٣٢] .

---

(٢٧) ابن سعد ٧ ــ ١/٩٢ . (٢٨) تاريخ خليفة ١٠٧
(٢٩) فتوح البلدان ٣٤٣ .
(٣١) انساب الاشراف ٤ ــ ١/١٧١ . (٣٢) فتوح البلدان ٣٧٠ .

وبالفرات أرضون أسلم أهلها حين دخلها المسلمون ، وأرضون انتقلت من أيدي أهلها الى قوم مسلمين بهبات وغير ذلك من أسباب الملك فصيرت عشرية وكانت خراجية فردّها الحجاج الى الخراج ، ثم ردها عمر بن عبدالعزيز الى الصدقة ، ثم ردها عمر بن هبيرة الى الخراج ، فلما ولي هشام بن عبدالملك رد بعضها الى الصدقة ، ثم ان المهدي أمير المؤمنين جعلها من أراضي الصدقة[٣٣] . ويذكر ان نهر جعفر كان لجعفر مولى سلم بن زياد وكان خراجيا[٣٤] .

ومثل هذا حدث في الاحواز أيضاً حيث كان بعض أراضيها صلحاً (عشرية) وبعضها خراجية وكانت معقدة ومربكة فيروي الوليد بن هشام عن مسلمة عن قحذم جهد زياد في سلطانه ان يخلص الصلح من العنوة فما قدر[٣٥] .

ويروي البلاذري « أقطع الرشيد أمير المؤمنين عبيدالله بن المهدي مزارعة ارض الاهواز فدخل فيها شبهة ، فرفع ذلك قوم الى المأمون فامر بالنظر فيها والوقوف عليها فما لم تكن فيه شبهة انفذ ، وما شك فيه سمي المشكوك فيه ، وذلك معروف بالاهواز »[٣٦] .

ويلاحظ ان العرب عندما فتحوا اقليم الاحواز لم يعينوا واليا عليه وانما عينوا واليا على كل كورة من كورها ، فكان جزء بن معاوية على سرّق ، ويشر بن المحتفز على جنديسابور ، وعاصم بن قيس السلمي على مناذر ، وسمرة بن جندب على سوق الاهواز ، وأبو مريم الحنفي على رامهرمز ، وقد اصاب كل منهم من ولايته اموالا ذكرها ابن الصعق في قصيدة مشهورة له ، وشاطرهم عمر اموالهم[٣٧] .

---

(٣٣) فتوح البلدان ٣٦٧ .
(٣٤) فتوح البلدان ٣٦٦ .
(٣٥) تاريخ خليفة ١٠٧ .
(٣٦) فتوح البلدان ٣٨٥ .
(٣٧) فتوح البلدان ٣٨٤ .

مقـدار الجبـاية :

ذكرت عدة مصادر انه في زمن خلافة عمر بن الخطاب تم مسح السواد ، وتولى ذلك رجلان هما عثمان بن حنيف الـذي مسح مسقى الفرات ، اى المناطق الغربية من العراق التي تسقى اراضيها بمياه الفرات والانهار الاخذة منه ، وحذيفة بـن اليمان الذى مسح سقى دجلة اى المناطق التي في شرقي دجلة والتي تروى بمياه هذا النهر والانهار الآخذة منه[1] ولا تحدد المصادر الاراضي التي مسحها كل منها ، فاكثر الروايات تذكر انهما مسحا العراق من حلوان الى عبادان ، وبعضها تذكر ان حذيفة مسح أراضي جوخى ، غير انه لايوجد مايؤيـد ان مسحهما شمل اراضي منطقة البصرة وكور دجلة ، علماً بان الغرض من المسح هـو تثبيت مقدار مايفرض على الاراضي المزروعـة لتأمين مقدار كلي عام للجباية على اساس من العدالة وما يؤمن سد نفقات الدولـــة .

ذكرت عدة مصادر أرقاماً عن مقدار جباية العراق في صدر الاسـلام ، فاما عن مقدارها في زمن خلافة عمر بـن الخطاب فان عدداً من المصادر ذكرت ان جباية السواد بلغت في خلافته مائة الف الف درهم [2] وذكرت مصادر اخرى انها بلغت مائة ألف ألف وثمانية وعشرين ألف ألف درهم[3] ، وذكر الماوردى انها بلغت مائة وعشرين الف الف درهم [4] .

امـا في خلافة عثمان فان الصولي يذكر ان الجبايـة بلغت مائة الف الف درهم [5] .

---

(١) الخراج لأبي يوسف ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٨ ، الخراج ليحيى بن ادم ٧٦ ، الاموال لابي عبيد ٥٠ ، مصنف عبدالرزاق ١٠٣/٦ ، الاحكام السلطانية للماوردي ١٧٤ ، فتوح البلدان ١٦٩ ، ادب الكاتب للصولي ٢١٩ .

(٢) ابو يوسف ٢٦ ، ١١١ ، ادب الكاتب للصولي عن محمد بن كعب القرظي ٢١٩ .

(٣) ابن خراذذبه ١٤ ، ابن رسته ١٠٥ ، ياقوت ١٧٨/٣ البدء والتاريخ ٧٤/٤

(٤) الاحكام السلطانية ١٦٧ .

(٥) ادب الكاتب ٢١٩ .

وفي زمن الامويين ذكر الواقدي ان جباية في زمن خلافة معاوية بلغت مائة ألف ألف ، اعتبر معاوية نصفها صوافي فاقتطعها لنفسه[٦] . غير ان هذا القول لاتؤيده المصادر الاخرى ، ولا ينسجم مع الوضع المالي العام آنذاك ؛ والواقع ان المصادر ذكرت أرقاماً اخرى لجباية العراق في زمنه ، فذكر ، الماوردي ان الجباية بلغت في زمن ولاية عبيدالله بن زياد مائة وخمسة وثلاثين ألف ألف درهم[٧] ، وذكر ابن الفقيه ان الجباية بلغت أيام ولاية زياد مائة وخمسة وعشرين ألف ألف درهم ، ثم زادت عشرين ألف ألف في زمن ولاية عبيدالله بن زياد ، أي انها بلغت مائة وخمسة وأربعين ألف ألف درهم[٨] .

وعن الجباية في زمن عبد الله بن الزبير يذكر الواقدي انها بلغت ثمانين الف الف ، منها عشرون الف الف للصوافي [٩] .

أما عن زمن ولاية الحجاج ، فان ابن خرداذبه يذكر ان الجباية بلغت ثمانية عشر الف الف [١٠] ونقل البلاذري انها بلغت اربعين الف ألف[١١] ، وذكر الصولي أيضاً انها بلغت أربعين ألف ألف ، ثم انخفضت الى خمسة وعشرين ألف ألف عند وفاته[١٢] ، ويذكر الماوردي ان الجباية بلغت مائة وثمانية عشر ألف ألف درهم[١٣] . ان هذا التباين قد يرجع الى تذبذب مقدار الجباية وخاصة ابان الثورات العارمة التي حدثت في زمنه ، أو بسبب تعمد الرواة تشويه حكمه ، وان استقرار الامور في السنوات الاخيرة من حكمه يرجح رواية الماوردي .

---

(٦) ادب الكاتب ٢١٩ . (٧) الاحكام السلطانية ١٦٧ .
(٨) ابن الفقيه : البلدان ١٥ أ مخطوطة مشهد .
(٩) ادب الكاتب ٢٢٠ .
(١٠) ابن خرداذبه ١٤ ، ابن رسته ١٠٥ ، البدء والتاريخ ٧٤/٤ .
(١١) فتوح البلدان ١٦٩ . (١٢) ادب الكاتب ٢٢٠ .
(١٣) الاحكام السلطانية ١٦٧ .

ويذكر الماوردى ان الجباية في زمن عمر بن عبد العزيز بلغت مائة وعشرين الفاً [١٤] ، اما ابن خرداذبة فيقول انها بلغت مائة واربعة وعشرين ألف ألف[١٥] .

ويذكر الماوردي ان الجباية بلغت في زمن ابن هبيرة مائة ألف ألف سوى طعام الجند وأرزاق المقاتلة[١٦] .

ان الارقام التي اوردناها اعلاه هي كل ما استطعت جمعه ، ويلاحظ انها :

١ ــ اقتصرت على بعض الخلفاء والولاة وليس كلهم .

٢ ــ لم تحدد السنة التي تمت فيها الجباية التى ذكروها .

٣ ــ لم تذكر هل ان الرقم هو المعدل والعبرة لعدة سنوات وكم عدد السنوات التي جبى فيها هذا المقدار .

٤ ــ لم تحدد بدقة ابواب الجباية ومصادرها ، وهل اقتصرت على الخراج وحده أم شملت أيضاً ما يجبى من أراضي العشر ، والجزية ، والتجارات والمكوس ، والهدايا ، وغيرها ، وهل شملت ما ترسله الاقاليم الاخرى .

٥ ــ لم تحدد بدقة الاقاليم او المناطق التي جبيت منها هذه المبالغ وهل شملت الكور القريبة من البصرة .

ان أكثر المصادر التي ذكرت أرقام الجبايات أشارت الى انها « جباية السواد » ، ولم تحدد هل كان السواد الذي جبيت منه يشمل العراق كله ، أم انه يقتصر على ما يتبع الكوفة فحسب .

ان الاحوال السائدة في زمن الخلفاء الراشدين والامويين كانت تقضي ان تصرف موارد الجباية على مقاتلة الكوفة والبصرة بعد ارسال خمسها الى

---

(١٤) الاحكام السلطانية ١٦٧ . (١٥) ابن خرداذبة ١٤ .

(١٦) الاحكام السلطانية ١٦٧ ، ابن الفقيه مخطوطة مشهد ١٥ أ ؛ وانظر ص ٢٣٨ فيما يلي .

الحجاز ، وهذا يتطلب التمييز بين ما يجبى للكوفة وما يجبى للبصرة .

لقد أشارت بعض المصادر الى وجود سوادين متمايزين هما سواد الكوفة وسواد البصرة ، كما أشارت الى العراقين ، والى ولاة خراج على كل من البصرة والكوفة ، فذكر ابو يوسف ان المبلغ الذى ذكره عن الجباية في زمن خلافة عمر بن الخطاب هو « جباية سواد الكوفة[١٧] ، وذكر الاصطخري « سواد الكوفة وسواد البصرة » [١٨] ، وذكر الاصمعي ان « سواد البصرة دست ميسان والاهواز وفارس ، وسواد الكوفة كسكر الى الزاب وحلوان الى القادسية » [١٩] ، وواضح من هذا التعريف ان سواد البصرة يشمل المناطق الواقعة في جنوبي البطائح ، وهي التي تسمى كور دجلة ، وكذلك الاحواز وفارس .

اما العراقين فقد ذكر في عدة مواضع ، فذكر الجهشياري عن صالح بن عبدالرحمن « كان كتاب العراقين كلهم غلمانه »[٢٠] ، وذكر كتاب المحاسن والاضداد ان يوسف بن عمر كان يتولى العراقين لهشام بن عبد الملك [٢١] ، وذكر الطبرى ان محمد بن جميل كان يتولى خراج العراقين للخليفة موسى الهادي[٢٢] ، وذكر الجهشياري ان ثابت بن موسى كان يتولى خراج العراقين للرشيد[٢٣] ، ومن الواضح ان المقصود بالعراقين البصرة والكوفة وانهما كانتا متمايزتين .

وذكر ولاة خراج على كل من البصرة والكوفة منفصلين ، فكان على ديوان الكوفة عند تأسيسها أبو جبير بن الضحاك الانصاري الذي ظل في عمله الى ان توفي في زمن ولاية عبيد الله بن زياد فتلاه عليه حبيب بن سعيد ابن قيس[٢٤] .

---

(١٧) الخراج لابي يوسف ٣٨ . (١٨) المسالك ٧٦ .
(١٩) ياقوت ١٧٥/٣ ، وانظر ايضا البدء والتاريخ ٧٥/٤ .
(٢٠) الوزراء والكتاب ١٩٢ . (٢١) المحاسن والاضداد ٦٦ .
(٢٢) الطبري ٥٤٨/٣ (٢٣) الوزراء والكتاب ١٧٧ .
(٢٤) الجهشياري ١٦ .

اما ديوان البصرة فكان عليه في زمن أبي موسى زياد[٢٥] ، الذي ظل الى اوائل خلافة علي [٢٦] .

وذكرت المصادر ولاة للخراج في زمن ولاة جمعت لهم الكوفة والبصرة ، ولم تحدد المصادر ما اذا كان نطاق عمل كل من ولاة الخراج يشمل كل العراق بما فيه الكوفة والبصرة وواسط ، أم كان على احدى هذه المدن ، وفي الحالة الاخيرة من كان يقوم بالخراج على كل مدينة فيه .

وممن ذكر من ولاة الخراج في زمن الامويين عبدالله بن دراج الذي كان على الخراج بالعراق[٢٧] وزاداتفروج الذي كان يكتب على الخراج لزياد ولابنه عبيدالله[٢٨] .

وكان سارزاد صاحب باذبين على الخراج لمصعب بن الزبير[٢٩] ، وصالح بن عبدالرحمن الذي خلف زادا نفروج وقام بتعريب الدواوين[٣٠] ، ويبدو انه تلاه يزيد بن أبي مسلم الذي كان على خراج العراق عند وفاة الحجاج [٣١] ، ثم عزله سليمان بن عبد الملك واعاد تولية صالح بن عبد الرحمن [٣٢] .

اما في زمن عمر بن عبدالعزيز فيروي المدائني عن مسلمة « كتب عمر بن عبدالعزيز الى عدي في عزل من كان من العمال من أهل الذمة وان لا يستعين بهم ، فعزل ابن راس البصل ، وابن زادانفروخ بن بيري ، واقدزادمرد بن الهريذ فعزلهم »[٣٢أ] والراجح انهم كانوا عمالا على الخراج ، ولكنه لم يذكر منطقة عملهم أو من حل محلهم .

---

(٢٥) الجهشياري ١٧ .
(٢٦) الجهشياري ٢٣ .
(٢٧) الجهشياري ٣٦ .
(٢٨) الجهشياري ٣٦ .
(٢٩) الجهشياري ٤٤ .
(٣٠) الجهشياري ٣٨ .
(٣١) الجهشياري ٤٣ .
(٣٢) الجهشياري ٤٩
(٣٢أ) أسباب الاشراف ٢/٧٤ب مخطوطة استامبول ٣/١٠١ مخطوطة المغرب .

وكان قحذم بن سليم وشيبة بن امية يكتبان ليوسف بن عمر ، وسعيد ابن عطية يكتب لعمر بن هبيرة ، ومروان بن اياس لخالد القسري[٣٣] ، وكتب المغيرة بن أبي فروة ليزيد ابن المهلب[٣٤] ، وكتب ماجشنس بن بهـرام بن مردانشاه بن زادانفروج لسليمان بن حبيب[٣٥] .

وعيَّن بعض الخلفاء العباسيين الاوائل ولاة على ديـوان الخراج في الحضرة ببغداد ، وولاة على خراج الكوفة ، وعلى خراج البصرة ؛ فاما على خراج الكوفة فان المنصور ولى عمر بن كيغلغ[٣٦] ثـم ثابت بن موسى[٣٧] الذي استخلف محمد بن جميل[٣٨] ، ويلاحظ ان المنصور ولى عمارة بـن حمزة على البصرة وكور دجلة وفارس والاهواز [٣٩] ، وظل عمارة في عمله الى زمن خلافة محمد المهدي [٤٠] .

ثم جمع الخراج في الكوفة لوال واحد ، فكان محمد بن جميل على خراج العراقين في زمن موسى الهادي [٤١] ، وثابت بن موسى على خراج العراقين في زمن هارون الرشيد [٤٢] ، ولم اجد ذكراً لولاة خراج على كل من الكوفة والبصرة ، اما ديوان الخراج ببغداد فقد ذكرت المصادر اسماء ولاتـه طوال العهود العباسية الاولى .

وقد نصت بعض الكتب على التمييز بين جباية البصرة وجباية الكوفة ، فنقل الصولي عن عبد الحميد بن جعفر ان خـراج سواد الكوفة على عهد عمر بن الخطاب كان سبعين ألف ألف درهم ، وذكر ان خراج العراق مائة ألف

---

(٣٣) الجهشياري ٦٤ .
(٣٤) الجهشياري ٤٩ .
(٣٥) الجهشياري ٩٩ .
(٣٦) تاريخ خليفة ٤٦٦ .
(٣٧) الجهشياري ١٢٤ .
(٣٨) تاريخ خليفة ٤٦٦ .
(٣٩) الجهشياري ١٢٤ ، تاريخ خليفة ٤٦٦ .
(٤٠) الجهشياري ١٤٩ ، الطبري ٢٥٩/٣ .
(٤١) الجهشياري ١٤٧ ، الطبري ٥٤٨/٣ .
(٤٢) الجهشياري ١٧٣ .

ألف واثنا عشر ألف ألف ، وخراج البصرة من ذلك ستون ألف ألف ؛ وخراج الكوفة خمسون الف الف [٤٣] .

ويروي المدائني عن مسلمة بن محارب ان « زياداً كان يجبي من كور البصرة ستين ألف ألف فيعطي المقاتلة من ذلك ستة وثلاثين ألف ألف ، ويعطي الذرية ستة عشر الف الف ، وينفق نفقات السلطان الفي الف ، ويجعل في بيت المال للبوائق والنوائب ألف ألف ، ويحمل الى معاويــة ثلثي الاربعــة آلاف ألف ، وكان يجبي من الكوفة أربعين ألف ألف ، ويحمل الى معاوية ثلثي الاربعة الاف الف ، لان جباية الكوفة ثلثا جباية البصرة ، وحمل عبيد الله ابن زياد الى معاوية ستة آلاف ألف ، فقال اللهم ارض عن ابن اخي»[٤٤]، مع ان هذا النص لم يذكر ابواب نفقات جباية الكوفة ، الا ان مجموع الجبايتين فيه يبلغ مائة وعشرة آلاف ألف درهم وهو قريب لما ذكر عن جباية السواد في زمنــه .

ويذكر ابن الفقيه كانت جباية البصرة خمسة وسبعين الف الف درهم ، وأرض الكوفة خمسة وعشرين ألف ألف درهم[٤٥] ، غير انه لم يذكر زمن ذلك ، علماً بان مجموع الجبايتين يبلغ مائة الف الف .

ويذكر المــاوردي « كان يوسف بن عمر الثقفي يحمل من الخــراج في العراق ما بين ستين ألف ألف وسبعين ألف ألف ، ويحتسب بعطاء من قبله الشام بستة عشر ألف ألف ، وفي نفقة البريد أربعة آلاف ألف ، وفي الطراز الف الف ، ويبقى في بيت المــال للاحداث والبوايق عشرة الاف الف » [٤٦] .

وذكر الجاحظ ان احد رجال البصرة افتخر بان اهل البصرة اكثر ساجاً

---

(٤٣) أدب الكاتب للصولي ٢١٩ .
(٤٤) انساب الاشراف ٤ ــ ١/١٨٩ .
(٤٥) البلدان ٨٥ ب مخطوطة مشهد .
(٤٦) الاحكام السلطانية ١٦٧ ، وانظر البلدان ٨٥ أ .

وخراجاً ، لان خراج العراق مائة ألف ألف واثنا عشر ألف ألف ، وخراج البصرة من ذلك ستون ألف ألف ، وخراج الكوفة خمسون ألف ألف »[٤٧] ، غير ان الجاحظ لم يحدد تاريخ مقدار هذه الجباية .

وصلتنا من زمن الخليفة هارون الرشيد اول قائمة مفصلة بمقدار جبايات الاقاليم ، وهي التقدير الذى اعده ابو الوزير عمر بن المطرف في سنة ١٧٢ هـ ، وافرد فيه قائمة السواد وفصلها عن كسكر وكور دجلة ، فذكر كلا منهم مستقلا ، ثم اتبعهم بتقدير جباية الاهواز ففارس فكرمان ومكران والسند وخراسان ، ومن الطبيعي ان ترتيبه للكور والاقاليم كان المعمول به عند اعداد القائمة ، والراجح ان هذا العمل يتابع ماكان قائما في زمن الامويين ، وربما الراشدين من حيث ان جباية كل من كسكر وكور دجلة كانت منفصلة عن جباية السواد ، ولابد ان سبب ذلك ان جباية السواد كانت مخصصة لمقاتلة الكوفة وجباية كسكر لمقاتلة واسط ، وجباية كور دجلة لمقاتلة البصرة .

جاءت في قائمة ابى الوزير التقديرات التالية [٤٨] .

اثمان غلات السواد	٨٠/٧٨٠/٠٠٠ درهم [٤٩] .
ابواب المال بالسواد	١٤/٨٠٠/٠٠٠ درهم (مع عينيات)
كسكر	١١/٦٠٠/٠٠٠ درهم
كور دجلة	٢٠/٨٠٠٠/٠٠٠ درهم
حلوان	٤/٨٠٠/٠٠٠ درهم
الاهواز	٢٥/٠٠٠/٠٠٠ درهم (مع عينيات)

---

(٤٧) كتاب البلدان ٥٠٥ .

(٤٨) الوزراء والكتاب ٢٧١ ــ ٢٨٣ ، وانظر الارقام التي وردت في ملحق تاريخ خليفة وقد نشرتها في مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق .

(٤٩) في رواية خليفة ٨٧/٨٦٠/٠٠٠ درهم .

فـــارس	٢٧/٠٠٠/٠٠٠ درهم (مع عينيات)
كرمان	٤/٠٠٠/٠٠٠ درهم
سجستان	٤/٠٠٠/٠٠٠ درهم

لم تفرد القائمة بابا لصدقات البصرة وعشورها ، ولعلها كانت داخلة في جباية كور دجلة .

ان افراد كسكر في القائمة قد يكون راجعا الى زمن الحجاج لجعل جبايتها تخصص لواسط التي شيدها سنة ٨٢ هـ ، أما قبل ذلك فربما كانت مضمومة الى سواد الكوفـة .

ان الاقاليم الستة الاخيرة كانت تعتبر من فتوح البصرة ، والمجموع الاجمالي لجبايتها هو ٨٢/٢٠٠/٠٠٠ درهم ، وهو يقرب من ماذكره بعض الرواة عن جباية البصرة في زمن الامويين .

وقد نقل ابن حمدون هذه القائمة وذكر بعد ايرداه جباية الاقاليـم المذكورة اعلاه هذه اشارة الى مافتحه اهـل البصرة في اول الاسلام ومن جملتها همذان وأعمال كثيرة .

يتبين من هذه النصوص ان جباية البصرة وموارد بيت مالها كانت مستقلة عن جباية وموارد بيت مال الكوفة ، غير ان المصادر لم تحدد المناطق والاقاليم التي كانت تجبى منها موارد كل من المصرين غير ما ذكره الاصمعي ان سواد البصرة يشمل دست ميسان والاهواز وفارس ، غير انه يلاحظ ان جبايتي الاحواز وفارس كان مقدارها قرابة ثمانين مليونا ،و هما اقليمـان مستقلان ومن فتوح أهل البصرة ، أما أقاليم فتوح أهل الكوفة فتشمل البلاد التي تقع في الاطراف الغربية من هضبة ايران ، ومقدارها كبير يزيد على المائة مليون ، فالراجح ان ما ذكر من جباية يتعلق باقليم العراق ومن المؤكد ان جباية البصرة كانت تعتمد على مايجبى من كور دجلة وعشور البصرة ، غير انه لايوجد دليل على ان جباياتها كانت تعادل ماذكر عن مقدار جبايـة

سواد البصرة كما انها أقل مما لو اضيفت اليها جبايات الاحواز وفارس .

فأما كور دجلة فان ابن الفقيه يذكر « كانت ميسان ودست ميسان في ديوان حلوان من تعديل قباذ تؤدي أربعة آلاف ألف، وتؤدي ابرقباذ تسعة الاف الف ، كما يؤخذ من البر والشعير والارز الخمس ، ولايؤخذ من سائر الحبوب شيئا ، وكان يؤخذ من كل أربع وعشرين نخلة درهم ، ومن كل سبعة عشر فارسي (نخل) درهم »[٥٠] .

ان اول رقم وصلنا عن جباية كور دجلة هو الذى ذكر اليعقوبي حيث قال ان جبايتها بلغت في زمن خلافة معاوية عشرة الاف الف درهم [٥٠أ] ، ويتلوه التقدير الذي أعده أبو الوزير عمر بن المطرف للخليفة هارون الرشيد سنة ١٧٢ والذي ذكر فيه ان « كور دجلة مع الصدقات عشرون ألف ألف درهم، وعشرون الف دينار » [٥١] ولابد انه قصد بالصدقات جباية عشور ارض البصرة ، ولعله ادخل فيها ايضا الجباية من التجارات التي تمثلها الجباية بالدنانير .

وذكر ابن خرداذبه الجباية على عبرة سنة ٢٠٤ « خراج دجلة ثمانية الاف الف وخمسمائة الف درهم » [٥٢] ومن الواضح ان تعبير « دجلة » غلطة من الناسخ ، وان المقصود بها « كور دجلة » ، ويلاحظ ان ابن خرداذبه لم يذكر جباية صدقات البصرة .

وذكر قدامة ان ارتفاع كور دجلة على عبرة سنة ٢٦٠ أي في أوائل ثورة صاحب الزنج ، ومقدارها ٩٠٠ كر حنطة و٤٠٠٠ كر شعير ، وثلاثة واربعين الف درهم ، وهو يذكر ان الكرين المقرونين من الحنطة والشعير

---

(٥٠) البلدان ١٥ .
(٥٠أ) تاريخ اليعقوبي ٢٧٢/٢ .
(٥١) الوزراء والكتاب ٢٨٢ طبعة مصطفى السقا .
(٥٢) المسالك والممالك ٧ .

ستون دينارا ، والدينار خمسة عشر درهما ، فتكون جبايتها ٢/٩٧٠/٠٠٠ درهم ، اما صدقات البصرة فيذكر انها كانت ترتفع في السنة ستة الاف الف درهم[٥٣] ، وبهذا فصل صدقات البصرة عن جباية كور دجلة .

وذكر الصابي ان ابا الحسن علي بن احمد بن يحيى بن ابي البغل كتب الى الوزير العباس بن الحسن انه عندما كان يتولى اعمال البصرة عقد صدقات أرض العرب بالبصرة لسنة ٢٩٣ بمائة ألف وعشرة آلاف دينار ، وكانت في سنة ٢٩٢ ستة وتسعين ألف دينار ، ثم تبين من السجلات ان مال الصدقات كان لعشرة أشهر من سنة ٢٩٢ كانت تبلغ نيفا وثمانين ألف دينار ، وانها بذلك تبلغ نيفا وتسعين ألفا . وذكر ان أبا الحسن بن الفرات دقق في السجلات فتبين منها ان الخلاف بين تقديرى سنة ٢٩٢ ، وسنة ٢٩٣ ناجم عن ان ابن ابى البغل أضاف ارتفاع الشعيبي والولدي الذي يبلغ ستة آلاف دينار[٥٤] .

وفي تقدير الارتفاع الذي وضعه علي بن عيسى سنة ٣٠٦ صدقات اراضي العرب بالبصرة والمراكب بها وسائر ما ينتسب اليها ويجرى معها ١/٨٤٧/٧٣٤ دينارا[٥٥] .

وفي سنة ٣١٩ قلد ابو يوسف يعقوب بن محمد البريدى اعمال البصرة من الخراج والضياع والمراكب وسائر وجوه الجبايات ، وضمن له ذلك بمقدار نفقات البصرة وفضل له بعده ثلاثون الف دينار وقع بتسبيبها من مال الاهواز . وقد اعطى للبريدي طعمة بالقيام بجميع ما يجب للاولياء وان يثبت لحفظ السور ألف رجل زيادة على رسم من يحفظه ومن ينضم اليه وسائر النفقات الراتبة ، ويحمل اليه بعد ذلك ستين الف دينار الى بيت المال بالحضرة[٥٦] .

---

(٥٣) الخراج ٢٣٩ (طبعة دي غويه) .
(٥٤) تحفة الوزراء ١٨٥ . (٥٥) ابن حمدون (المخطوط) .
(٥٦) تجارب الامم ١/٢٢٣ — ٤ .

غير ان البريدى قطع حمل مال ضمانه عبر واسط والبصرة واحتج باجتماع الجيش عنده وحاجته الى صرف المال اليهم (٥٧) . وكان ضمانه الاهواز والبصرة ثمانية عشر الف الف درهم خراجية (٥٨) ثم غضب الخليفة على البريدي ، ورضي عنه بعد ذلك وطلب منه الخليفة ان يجتهد في فتح الاهواز ، وان يضمن حمل ثلاثين الف دينار (٥٩) . ولم يذكر مقدار جباية البصرة منها .

ويذكر ابن حوقل انه حضر سنة ٣٥٨ [٣] ارتفاع البصرة من وجوه اموالها كلها وجباياتها من اعشارها وجماجمها وضمان البحر بلوازم المراكب فانه زاد وكثر وغلا وغزر .. فكان ذلك في يد أبي الفضل الشيرازي ستة الاف الف درهم (٦٠) .

ثم تنقطع اخبار جباية البصرة الى سنة ٤٤٤ حيث عول على علي بن صاعد الصاعدي وهو من المتصرفين البصريين العارفين بجباية الاموال ، وعقدت عليه معاملات البصرة ثلاث سنين السنة الاولى بمائة وخمسين الف دينار ، والثانية بمائة وستين الف دينار ، والثالثة بمائة وثمانين الف دينار ، ولقب عماد الملك (٦١) .

وفي بداية سنة ٤٤٨ عقد عميد الملك أبو نصر الكندري وزير طغرلبك على هزاراسب بن بكير بن عاض الكردي ضمان البصرة وواسط والاحواز واعمال ذلك لهذه السنة بثلاثمائة الف دينار سلطانية واطلقت يده (٦٢) . غير انه لم يحدد مقدار ضمان البصرة .

ويذكر ابن حمدون انه في سنة ٤٥٥ « قبض على الاغرابي سعد وكان

---

(٥٧) تجارب الامم ١/٣٣٢ . (٥٨) تجارب الامم ١/٣٨١ .
(٥٩) تجارب الامم ١/٣٨٤ . (٦٠) صورة الارض ٣١٤ .
(٦١) تلخيص معجم الالقاب نقلا عن تاريخ الصابي ٤ — ٢/٧٨٢ .
(٦٢) المنتظم ٨/١٦٩ .

ضمان البصرة باربعمائة الف دينار ، وعقدت واسط على ابي جابر بمائتي الف دينار » ، وقد يفهم من هذا النص ان ضمان البصرة كان أربعمائة ألف دينار ، وهو يزيد على مقدار ضمان هزاراسب .

ويذكر ابن الجوزي انه في سنة ٤٥٩ « عقدت البصرة وواسط على هزاراسب بثلاثمائة ألف دينار »[٦٣] .

ويذكر ابن حمدون في سنة ٤٦٢ « مات هزاراسب بن تنكر فعقدت خوزستان على هرهد سكارتكين ، وواسط على دبيس بن علي ، والبصرة على منصور بن علي الاسدي كلهم ضمانا » ، ويتبين من هذا النص ان ضمان البصرة فصل عن غيره وان لم يذكر النص مقدار ضمانها .

وفي زمن خلافة الناصر لدين الله ضمن عمادالدين أبو اليمن طغرل بن عبد الله الناصرى ، البصرة بمائة وخمسة وعشرين الف دينار[٦٤] .

لاريب في ان شكل الملكية من اهم الاسس في تقرير مقدار الضريبة والجباية على الاراضي ، غير انها لم تكن العامل الوحيد في مقدار جباية البصرة ، فقد تأثرت بالاحوال الامنية التي تطورت بدورها ، ومن المعلوم ان منطقة البصرة مرت بها أحداث بعضها عنيفة ، ولابد انها أثرت في الجبايات ، ومن هذه الاحداث ثورة ابراهيم بن عبدالله ، والاضطراب الذي رافق النزاع بين الامين والمأمون ، ثم الاضطراب الذي ولد تمرد الزط وأهل البطيحة في زمن المأمون واستمراره الى زمن المعتصم ، ثم الاضطراب الذي حدث على اثر ثورة صاحب الزنج ، وأخيرا الاضطرابات التي حدثت في منطقة البصرة والاحواز في زمن المقتدر .

لم تذكر المصادر تفاصيل آثار هذه الاحداث على جباية البصرة سوى

---

(٦٣) المنتظم ٢٤٧/٨ .
(٦٤) تلخيص معجم الالقاب ٤ – ٧٨٢/٢ .

ماذكره مسكويه عن التدهور الذي حدث في زمن سيطرة البريدي ، وما قام به معز الدولة البهويهي لمعالجة الوضع ، فقد ذكر مسكويه : وقد كان معز الدولة لما فتح البصرة ودخلها تظلم اليه الرعية من سوء معاملات البريديين فعرف اكثرها وذلك ان ابا يوسف البريدي خاصة تفرد بالنظر في اعمال البصرة وجباية اموالها فرسم لابي الحسن بن اسد الكاتب ان يطالب ملاك الارضين التي يؤخذ منها حق العشر وتعرف بصدقات الأسعار بالبصرة وان الكر المعدل من الحنطة بلغ بها مائتي دينار ، ولم يستعمل ذلك الا على تدريج ، فلما قتل أبو عبدالله البريدي أخاه أبا يوسف أقرّ ابن أسد على العمل وأجرى الناس على ذلك الرسم وكانت العمارة تنقص في كل سنة لاجل جور البريديين وعمالهم وهم يطالبون بالعبرة فنقص مال العبرة عن جريان العمارة ، فزاد ذلك مايلزم كل جريب في السنة على مايلزمه في السنة التي قبلها . وكان قد قحط أهل البصرة بالمحاصرات التي لحقتهم فالزموا أن يزرعوا تحت النخل حنطة وشعيراً ، فلما فعلوا الزموا عن كل جريب أربعين درهما فقصروا في العمارة ، فجعل ما كان يرتفع عبرة عليهم ، واستوفي من ملاك أرض العشر ، فتهارب الناس فزاد ذلك على من بقي . فلما تقلد أبو محمد المهلبي وزارة معز الدولة دخل البصرة وتظلم اليه أهل البصرة من العبرة التي جعلت عليهم في أرض الحنطة والشعير ، فوعدهم بكل ما أنسوا به .

ثم قرر أمرهم على أن يردوا الى رسمهم القديم في أخذ العشر حبا بعينه من غير تربيع ولا تعشير ، ونظر فيما بين ذلك وبين مايؤخذ منهم على تقريب ، فأشار على أرباب العشر أن يبتاعوا فضل ما بين المعاملة على الظلم والمعاملة على الانصاف بثمن يرغب فيه معز الدولة عاجلا ؛ فيسهل عليهم ما ينحط من الارتفاع ما يتعجل له من المال ثم يضاف الى ذلك ما يثمره العدل وموقعه من قلوب الناس مع الرجاء في المستقبل لزيادة الارتفاع فاستجابوا وتقرر الامر بينهم على الفي الف درهم ومائتي الف درهم ، وكتب لهم بذلك وثيقة ، ثم حط من الجمع على الضعفى مائتي ألف درهم ، وكتب الى

معز الدولة بان في ذلك حظاً عاجلا وصلاحا ووفورا في ارتفاع الناحية في المستقبل ، فحسن موقع فعله من معز الدولة فامضاه . وحضر البصريون فاشهدوا على المطيع لله بالبيع وسجلوا الابتياع ونسب المبتاع الى فضل ما بين المعاملتين في العبرة ، فسرّ الناس وتضاعف الارتفاع للسلطان وزال عن البصرة تلك الرسوم وصار يرتفع عن المراكب ما يعدل ألفي ألف درهم ، فكان هذا من الآثار الجميلة لابي محمد المهلبي [٦٥] .

التجـــارة :

كانت جباية أراضي البصرة والاقاليم تكون الباب الرئيسي لمدخولاتها المالية ، وكانت حصيلته عند تأسيسها وخلال زمن الخلفاء الراشدين والامويين ، توزع على المقاتلة العرب الذين استوطنوا فيها مما ضمن لكل منهم مدخولا سنويا من المال يؤمن لهم المعيشة اللائقة ، ويسّر رفع مستواها ، وزاد من نشاط الحياة الاقتصادية وحركة السوق لتأمين حاجاتهم الاساسية في المأكل والملبس والمسكن ، بالاضافة الى حاجتهم للاسلحة وغيرها مما تتطلبه الحياة . وقد أمن توزيع العطاء على العدد الكبير من اهلها الى تزايد الحاجة الى متطلبات « العامة » « والجماهير » من السلع ؛ كما ان ازدياد ثروات عدد غير قليل من الاغنياء وتطور الحياة وسع الحاجة الى السلع « الكمالية » ايضاً [١] .

ولا ريب في ان ازدياد النقود وتنامي الاستيطان وارتفاع مستوى المعيشة ، جذب عدداً غير قليل من أصحاب العمل والصناعات للهجرة الى البصرة والاستقرار فيها للعمل في السوق أو في الصناعات[٢] غير انهم لم

---

(٦٥) مسكويه ٢/١٢٧ ـ ٩ .

(١) انظر عن العطاء وتنظيم توزيعه في البصرة كتابنا « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة » .
وعن تنظيمه في الحجاز مقالنا « العطاء في الحجاز » المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي .

(٢) انظر التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة .

يكونوا ليسدوا كل حاجات اهل البصرة من المواد والسلع التى يحتاجونها ؛ ولذلك كان لابد لهم من استيراد كثير من حاجاتهم من المناطق المجاورة او البعيدة ؛ وكانت موارد جزيرة العرب تصلها من الغرب بالطريق البرى الذى يبدو انه ينتهي عند المربد الذي كان سوق المنتوجات الصحراوية من الابل والماشية ومنتوجاتها من الصوف والوبر والدهن والجلود[٣] .

غير ان هذه الواردات كانت محدودة وغير منتظمة وأكثر مورديها من البدو العرب المسلمين ، ولذلك لم توضع لها ترتيبات للجباية منها ، وانما تركت حرة مفتوحة .

وكان مقدار كبير من السلع التي تحتاجها البصرة يرد من المناطق الشرقية التى اصبحت كلها ضمن الدولة الاسلامية ، ومن هذه السلع المنسوجات والمواد الغذائية والاخشاب ، وتتصل هذه المناطق بالبصرة بالطرق البرية وبالانهار التي كان اوسعها نهر دجلة ونهر معقل ، ولذلك كان الكلاء الذي يقع على نهر معقل[٤] مركزاً رئيسياً للتجارات القادمة من المناطق الشرقية .

ولموقع البصرة اهمية كبيرة للتجارات التي تمر بها ، ويرجع بعضها الى ازمنة موغلة في القدم ، وبعضها الي التطورات التي حدثت على أثر توسع الدولة الاسلامية .

فأما الاحوال التي ترجع الي أزمنة موغلة في القدم والتي ازداد أثرها بعد تكون الدولة الاسلامية فانها ترجع الى ان منطقة البصرة كانت تقع على رأس الخليج العربي الذي تمر به أقصر الطرق البحرية الى المحيط الهندي ، وتتميز سواحله ، وخاصة الغربية منها ، بأنها خالية من الصخور التي تهدد الملاحة ، وتقل فيه العواصف العاتية التي تهدد السفن الشراعية ، فضلا عن ان أكثر المياه في سواحله ضحلة ، والاراضي الممتدة على طولها مستوية تتيسر

---

(٣) انظر ص ١١٠ فما بعد .　　(٤) انظر ص ١٥١ .

فيها اقامة الموانىء ، والواقع ان السفن كانت تسير في هذا الخليج فتنقل السلع بين العراق وملوخا وماجان اللتين تقعان في الاطراف الجنوبية من سواحله عند عمان او السند منذ الالف الثاني قبل الميلاد ، على الاقل ، وظلت هذه الاهمية قائمة نظراً لان البلاد الواقعة على اطراف المحيط الهندي كانت تنتج سلعاً كالاخشاب الصلبة والتوابل وبعض المنتوجات الزراعية والجواهر والاحجار الكريمة مما تحتاجه البلاد الواقعة في المناطق المعتـدلة على أطراف البحر المتوسـط .

وكانت التجارات المارة بالخليج العربي تضمر وتتعرقل عندما يحدث ركود اقتصادي أو تستعر حروب واضطرابات في البلاد الواقعة في الاطراف الشمالية من الخليج وخاصة بين الدول التي كانت تحكم العراق والتي تحكم الاقاليم التي حول البحر المتوسط ، وكانت هذه الحروب متكررة قبل الاسلام بين الفرث ثم الساسانيين من جهة ، والروم من جهة اخرى ، فأدت الى تحول كثير من التجارات الى عدن والبلاد الواقعة في غرب شبه جزيرة العرب وفي البحر الاحمر[٦] . غير ان هذا الضمور لم يصل حد الانعدام ، فقد ظلت موانىء البحرين تزخر بالحياة ؛ وكانت منطقة البصرة تسـمى « فرج الهنـد » أو « أرض الهند »[٧] وهو صدى لعلاقتها التجارية الوثيقة مع الهند وأقاليم المحيط الهندي .

---

(٥) انظر البحث الذي كتبته عنهما روميلا ثابار والمنشور في مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق سنة ١٩٧٧ .

(٦) ان الكتب التي تبحث في تجارة الهند والشرق الاقصى مع بلاد الشـرق الاوسط ومسالكها كثيرة نكتفي بالاشارة الى أهمها وهي التجـارة في العصور الوسطى لهايد (بالفرنسية) ؛ « مدن القوافل » لروستوفزيف ؛ « جزيرة العرب والشرق الاقصى » لسليمان حزيّن . « الملاحة في المحيط الهندي » لجورج حوراني . وكل هذه الكتب بالانكليزية ؛ وترجم الاخير الى العربية . واحدث كتاب له اهمية خاصة هو « المعادن في العـالم القديم » للومبارد .

(٧) الطبري ١/٢٠١٦ ، ٢٣٧٨ ، ٢٣٨٢ ؛ ابن سعد ٧ — ١/٢ .

ثم قامت الدولة الاسلامية وضمت كافة الاقاليم الواسعة من أواسط آسيا الى المحيط الاطلسي فوحدتها في ظل دولة واحدة ثبتت السلم والامن والاستقرار ، وأباحت حرية العمل والتنقل ؛ فنشطت الحياة الاقتصادية وارتفع مستوى المعيشة وازداد الطلب على منتوجات بلاد المحيط الهندي ؛ وكان الطريق الذي يسلك الى الخليج العربي مفضلا لقصره ، وأدى هذا الى تزايد أهمية البصرة كمركز رئيس لهذه التجارة .

ثم رافق توسع الدولة الاسلامية توسع النشاط الاقتصادي في الحجاز حيث ازدادت الثروات وارتفع مستوى المعيشة وزاد الطلب فيها على السلع التي كانت تنتجها الاقاليم والمدن الواقعة في الاحواز وفارس وخراسان ؛ وكانت هذه السلع وخاصة المنسوجات القطنية والحريرية والصوفية [٨] تمر بالدرجة الاولى بالبصرة فتضيف الى نشاطها التجاري قوة .

ولابد ان العرب أسهموا بقسط كبير من هذه التجارات واستغلوا الاحوال الجديدة لممارسة خبراتهم القديمة في التجارة والملاحة ، غير ان الحرية الواسعة التي يسرتها الدولة اتاحت لغير المسلمين من الذميين والاجانب في ممارسة نشاطهم التجاري ؛ وتتفق كتب الفقه على ان اقصى ما كان يفرض على التجارات هو العشر ، ويروى عن أنس بن سيرين الذي كان عشّاراً في البصرة انه قال انه كان يأخذ من المسلمين من كل أربعين درهما ، ومن اهل الذمة من كل عشرين درهما ، وممن لاذمة له (اى الاجانب عن الدولة الاسلامية) عشرة دراهم [٩] . ويذكر أبو عبيد انهم « كانوا يأخذون من تجار

---

(٨) انظر عن هذه المنسوجات ومراكزها : « المنسوجات الاسلامية » لسارجنت وهي مقالات نشرت في مجلة Ars Islamica ، ثم طبعت مجموعة في كتاب (بالانكليزية) ؛ و « المنسوجات في العالم الاسلامي » للومبارد (بالفرنسية) ومقالي « الانسجة في العهود الاسلامية الاولى » المنشور في مجلة الابحاث في الجامعة الامريكية ببيروت .

(٩) الخراج لابي يوسف ١٥١ ؛ الاموال لابي عبيد ٥٣٢ .

الحرب كما كانوا يعشروننا اذا آتيناهم »[١٠] .

لم تذكر المصادر تفاصيل عن نوع السلع التي تعشّر أو تنظم جبايتها ، سوى ماذكره ابو عبيد من ان عمر بن عبد العزيز كتب الى عدى بن ارطاة (والي البصرة) أن يأخذ العشور ثم يكتب مما يأخذ منهم البراءة ، ولا يأخذ منهم من ذلك المال ولا من ربحه الا زكاة سنة واحدة ، ويأخذ من غير ذلك المال ان وجـد[١١] . غير ان تأكيد الفقهاء عـلى ان عشور التجارات كانت تجبى في زمن العمرين وهما المرضية احكامهما عند الفقهاء ، يدل على انها كانت مقبولة عند الناس .

ذكرنا من قبل ان التجارة مع جزيرة العرب والمناطق الغربية كان مركزها المربد ؛ اما التجارة مع اقاليم المشرق فكانت في الكلاء الذى يقع على نهر معقل الذي كان واســعا وكان الشريان الرئيسي للمواصلات المائيــة مع الاقاليـم الشرقية . اما التجارة البحرية فقد ظل مركزها الابلة . وعند نهر معقل والابلة اقيمت مراكز الجباية ، وهي تســمى الحبــل ؛ والعشــور . فأما الحبــل فقد عرفه ابو عبيد بانه كان حبلا يعترض به النهر يمنع السفن من المضى حتى تؤخذ منهم الصدقة [١٢] وكان الحبل على نهر معقل في منطقته الجنوبية عند اتصاله بنهر دبيس [١٣] ومن الواضح ان هذا الموضع تثبت بعد حفر نهر معقل في زمن ولاية زياد ، ووجوده مظهر لتزايد النشاط التجاري السالك

---

(١٠) الاموال ٥٢٨ ، ٥٣١ ويذكر زيــاد بن حدير « انا اول عاشر عشــر في الاسلام ، ما كنا نعشر مسلماً ولا معاهداً ، كنا نعشــر نصارى تغلب » (الاموال ٥٢٨) . ويلاحظ ان زياداً كان عشاراً في الكوفة التي لم تــكن لهانفس مكانة البصرة في التجارة العالمية .

(١١) الاموال ٥٣٨ .

(١٢) الاموال ٥٣٠ ، وانظر عن الحبل ؛ الخراج لابي يوسف ١٣٦ وكان يسمى في الكوفة السلسلة (ابو يوسف ١٣٧ ، الاموال ٩٢٩) ويسمى ايضــا الماصر (ابو يوسف ٢١٣٧ ، وانظر عن الماصر ؛ ميخائيل عواد . « الماصر في الاسلام » .

(١٣) فتوح البلدان ٣٨٤ .

في ذلك النهر والذى يقوم علــى التجارات القادمة من المناطق الواقعــة في الجهات الشمالية والشرقية من البصرة ، اى من كور دجلة والاحواز واهم سلعها المنتوجات الزراعية ، وخاصة الحنطة والارز والسكر والمنسوجات .

أما الابلة التي كانت مركزاً تجارياً قديماً وظلت محتفظة بأهميتها بعــد الاسلام ، وكان مركز الجباية فيه يطلق عليه العشــور . وقد ولي عشــور الابلة في زمن خلافة عمر بن الخطاب أبو بكرة[١٤] ، ثم عين في زمن ابن الزبير انس بن سيرين [١٥] . وذكرت المصادر مسجد العشار في الابلة [١٦] .

وفي الكتب اشارات كثيرة الى المكس ، وهى ضريبة قال ابن منظور انها دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الاسواق في الجاهلية ، والمكس العشار ، ويقال للعشار صاحب مكس [١٧] ، وكانت هذه الضريبة مكروهة عند المسلمين ، ورويت في ذمها أحاديث منسوبة للرسول منها ان صاحب المكس في النار [١٨] و « لايدخل الجنة صاحب مكس » [١٩] . ويروى ان عمر بــن عبدالعزيز كتب الى عدي بن ارطاة واليه على البصرة « ضع عن الناس المكس ، وليس بالمكس ولكنه البخس .. فمن جاءك بصدقة فاقبلها منه ، ومن لــم يأتك فالله حسبه .. »[٢٠] ويروي أبو الزبير ان عمر بن عبدالعزيز قال ان هذه المآصر والقناطر سحت لا يحل أخذها ، وانه بعث عمالا الى اليمن ونهاهم أن يأخذوا من مآصره أو قنطرة أو طريق شيئا ، فقدموا فاستقل المال . فقالوا نهيتنا ، فقال خذوا كما كنتم تأخذون[٢١] . ويروى ان عمر بن عبدالعزيز كتب

---

(١٤) فتوح البلدان ٣٥١ ، وانظر تاريخ خليفة ١٤٢ .
(١٥) الخراج لابي يوسف ١٣٧ ، ١٣٩ ، الاموال ٥٣٢ ، ابن سعد ٧ ــ ١٥١/١ الاثار للشيباني ٤٨ . (١٦) انظر ص ١٦٤ .
(١٧) لسان العرب ١٠٥/٨ ، وانظر المحيط للفيروزابادي ٢٥٢/٢ .
(١٨) مسند ابن حنبل ١٠٩/٤ .
(١٩) ابن حنبل ١٤٣/٤ ، ١٥٠ ؛ سنن أبي داوود : امارة ٧ ؛ الدارمي : زكاة ٢٨
(٢٠) الاموال لابي عبيد ٥٢٧ ؛ ابن سعد ٢٨٣/٥ .
(٢١) الخراج لابي يوسف ١٣٧ .

الى زريق بن حيان ، وكان على مكس مصر ، أن يأخذ مما ظهر من أموالهم من العين ومما ظهر من التجارات[٢٢] .

ان هذه النصوص تظهر ان المكس كان موجوداً في صدر الاسلام ، وان ذمه راجع الى سوء تطبيقه ، وانه متميز عن عشور التجارات ، ولعله كان يجبى من المبيعات في اسواق المدن ، ومن بعض الصناعات ، وربما كان يجبيه صاحب السوق الذى ذكر من ولاته في البصرة في زمن زياد جرير بن بيهس[٢٣] .

لم تذكر المصادر مقدار ماكان يجبى من عشور التجارات والمراكب في البصرة في العهود الاسلامية الاولى ، ولابد ان جباياتها كانت مندمجة مع صدقات البصرة التي ذكرنا تطور مقدارها الاجمالي .

وأول ذكر يخص جباية المراكب ورد في التقدير الذي وضعه الوزير علي ابن عيسى في سنة ٣٠٦ ، وكان فيه مقدار جباية المراكب بالبصرة ٢١/٨٧٥ ديناراً ، وهي تساوى ٧٨٦/٨٧٥ درهما باعتبار سعر الصرف انذاك خمسة عشر درهما للدينار[٢٤] .

وذكر مسكويه انه تقرر على البريدي في زمن معز الدولة مقدار ما يرتفع من المراكب ما يعدل ألفي ألف درهم[٢٥] .

وذكر ابن حوقل في كلامه عن ارتفاع البصرة جباياتها من اعشارها وجماجمها وضمان البحر بلوازم المراكب فانه زاد أكثر وغلا وغزر وحضرته سنة ٥٨ [٣] فكان في يد أبي الفضل الشيرازي ستة آلاف ألف درهم[٢٦] .

---

(٢٢) الخراج لابي يوسف ١٣٦ . (٢٣) البخلاء ١٢٠ طبعة طه الحاجري .
(٢٤) انظر : تاريخ العراق الاقتصادي للدكتور عبدالعزيز الدوري ٢١٢ .
(٢٥) تجارب الامم ٢/١٢٩ . (٢٦) صورة الارض ٢١٤ .

ضميمـــة

معالم عمرانية في البصرة ذكرتها المصادر ولم يتيسر تحديد موقعها

١ ــ المساجد :

ــ بني سليمان بن علي مساجد كثيرة فقال الشاعر :

كم من يتيم ومسكين وأرملة جبرته بعد فقر يا سليمان
ومسجد خرب لله تعمره فيه كهول وأشياخ وشبان[١]

ــ مسجد بني كليب[٢] .

ــ مسجد بني قتيبة[٣] .

ــ مسجد داوود بن أبي هند امامه سلمة بن علقمة[٤] .

ــ مسجد ابن عون في داره ليس له محراب[٥] .

ــ مسجد عاصم نسب الى عاصم أحد بني ربيعة بن كلاب[٦] .

ــ مسجد بني عباد نسب الى بني عباد بن رضاء بن الاشعر التميمي[٧] .

ــ مسجد الحامرة نسب الى قوم قدموا من اليمامة عجم من عمان ثم صاروا منها الى البصرة على حمير فأقاموا بها بحضرة هذا المسجد ، وقال بعضهم بنوه ثم جدد بعد[٨] .. بحضرته خطتان لابي مريم الحنفي[٩] .

---

(١) انساب الاشراف ٣/٩٠ .
(٢) انساب الاشراف ٤ ــ ٢/١٦٠ .
(٣) أنساب الاشراف ٤ ــ ٢/٩١ .
(٤) ابن سعد ٧ ــ ٢/١٤١ .
(٥) ابن سعد ٧ ــ ٢/٢٨ .
(٦) فتوح البلدان ٣٥١ .
(٧) فتوح البلدان ٣٥٥ .
(٨) فتوح البلدان ٣٧١ .
(٩) أخبار القضاة لوكيع ١/٢٧٣ .

- مسجد خليص الشاعر[١٠] .
- مسجد حميد الطويل في قبلته دار عبدالله بن زيد بن قيس بن الهيثم[١١] .
- مسجد بني حمّان ، امامه جابر بن نوح[١٢] .
- مسجد أيوب السختياني امامه حاتم بن وردان السعدي[١٣] .
- مسجد البرتي مؤذنه الحارث بن عبيد الايادي[١٤] .

٢ ـ القصور والدور والمحلات :

- خالدان القصر وخالدان هباء كانا لخالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد[١٥] .
- قصر عطية نسب الى عطية الانصاري[١٦] .
- قصر النواهق هو قصر زياد سماه الشطار بذلك[١٧] .
- قصر النعمان ، كان للنعمان بن صهبان الراسبي الذي حكّم بين مضر وربيعة أيام مات يزيد بن معاوية ، وزار عبيدالله بن زياد النعمان في قصره هذا فقال بئس المال هذا يا أبا حاتم اذا كثر الماء غرقت وان قل عطشت ، فكان كما قال : قل الماء فمات كل من ثم[١٨] .
- « كتب عثمان بن عفان الى عبدالله بن عامر ان اتخذ داراً ينزلها من قدم البصرة من أهل المدينة ، وينزلها من قدم من موالينا فاتخذ القصر الذي يقال له قصر ابن عفان وقصر رملة ؛ وجعل بينهما فضاءاً كان لدوابهم »[١٩] .

---

(١٠) الاشتقاق لابن دريد ٥٥٩ .
(١١) اخبار القضاة لوكيع ٢/٤١ .
(١٢) تهذيب الكمال ٥/٢٥٨ .
(١٣) تهذيب الكمال ٥/١٥٧ .
(١٤) تهذيب الكمال ٥/٢٥٨ .
(١٥) فتوح البلدان ٣٦٨ .
(١٦) فتوح البلدان ٣٢٢ .
(١٧) فتوح البلدان ٣٥٤ .
(١٨) فتوح البلدان ٣٥٤ .
(١٩) ياقوت ٤/١٠٧ .

- دار ابن تبّع نسبت الى عبدالرحمن بن تبع الحميري وكان على قطائع زياد[٢٠] .

- دار أبي نافع نسبت الى أبي نافع مولى عبدالرحمن بن أبي بكرة[٢١] .

- دار أبي يعقوب الخطابي ، وهي لسحامة بن عبدالرحمن الاصم الغنوي مؤذن الحجاج . وهي الى جانب دار المغيرة بن شعبة[٢٢] .

- دار خالد بن طليق الخزاعي القاضى كانت لابي الجراح القاص صاحب سجن ابن الزبير ، ثم اشتراها القاسم بن زياد لانه هرب من سجن الزبير[٢٣] .

- دار ابن الاصبهاني « نسبت الى عبدالله الاصبهاني وكان له اربعمائة مملوك ، لقي المختار مع مصعب وهو على ميمنته »[٢٤] .

- دار عبدالاعلى بن عبدالله ، وكانت قرب الفيض[٢٥] .

- دار العباس بن ربيعة بن الحارث اقطعه اياها عثمان بن عفان[٢٦] .

- دار عبدالله بن خازم السلمي كانت لعمته دجاجة أم عبدالله بن عامر ، فأقطعته اياها[٢٧] .

- دار عثمان بن أبي العاص[٢٨] .

- دار موسى بن أبي المختار مولى ثقيف ، « كانت لرجل من بني دارم فأراد فيروز حصين ابتياعها منه بعشرة آلاف فقال ما كنت لابيع جوارك بمائة ألف ، فأعطاه عشرة آلاف وأقر الدار بيده »[٢٩] .

---

(٢٠) فتوح البلدان ٣٥٢ .
(٢١) فتوح البلدان ٣٥١ .
(٢٢) فتوح البلدان ٣٥١ .
(٢٣) فتوح البلدان ٣٥١ .
(٢٤) فتوح البلدان ٣٦٥ .
(٢٥) فتوح البلدان ٣٦٧ .
(٢٦) فتوح البلدان ٢٥٩ .
(٢٧) فتوح البلدان ٣٥٥ .
(٢٨) فتوح البلدان ٣٥١ .
(٢٩) فتوح البلدان ٣٥٢ .

ـ بذق خطاب قطيعة للحتات[٣١] •

ـ الحتّ محلة من محال البصرة خارجة من سورها سميت بقبيل من اليمن نزلوها[٣٢] •

ـ بنو جرير من محال البصرة نسبت الى قبيلة نزلتها[٣٣] •

٣ ـ انهار البصرة وقطائعها ومن نسبت اليهم ، ذكرها البلاذري ولم يمكن تحديد مواقعها(١) في المصادر الاخرى :

فتوح البلدان :

٣ نهر ابن أبي برذعة بن عبيدالله بن أبي بكر* •

٣٥٨ نهر ابن عمير ، هو عبدالله بن عمرة بن مالك الليثي •

٣٦٠ نهر أبي بكرة بن زياد •

٣٦٨ نهر أبي شداد مولى زياد •

٣٦١ نهر الارحاء •

٣٦١ نهر ازرقان منسوب الى الأزرق بن مسلم مولى بني حنيفة •

٣٦٢ نهر اسلمان لاسلم بن زرعة الكلابي* ، أقطعه اياه معاوية •

٣٦٥ أرض الاصبهانيين شراءاً من العرب ، قوم أسلموا وهاجروا الى البصرة ، ويقال كانوا من الاساورة •

---

(٣٠) فتوح البلدان ٣٥٢ . (٣١) الاشتقاق لابن دريد ٢٤٢ .

(٣٢) ياقوت ٢/٢٠٣ عن الحازمي . (٣٣) ياقوت ٢/٦٨ .

(١) العلامة * تشير الى ان ياقوت ذكرها في معجمه ١/٦٤٥ ـ ٦٥٣ العلامة ** تشير الى ذكرها في ياقوت ٤/٨٣٠ ـ ٨٤٦ ، اما المعلومات التي في الهامش مأخوذة من مصادر اخرى .

٣٦٠ نهر أنسان نسبة الى أنس بن مالك قطيعة من زياد ٠
٣٦٥ بثق سيار لفيل مولى زياد ولكن القيم عليه كان سيار مولى بني عقيل فغلب عليه ٠
٣٦٢ البنات : بنات زياد اقطع كل بنت ستين جريباً وكذلك كان يقطع العامة* ٠
٣٦٤ جيران لآل كلثوم بن جبر* ٠
٣٦٥ جبيران لجبير بن أبي زيد من بني عبذار* ٠
٣٥٩ جبيران لجبير بن حية ٠
٣٦٧ جعفران لام جعفر بنت مجزأة بن ثور الفقعسي امرأة أسلم صاحب اسلمان ٠
٣٦٥ جندلان لعبيدالله بن جندل الهلالي ٠
٣٦٨ الحاتمية لحاتم بن قبيصة بن المهلب ٠
٣٦٦ الحباب بن يزيد المجاشعي ٠
٣٦٠ حبيب بن شهاب الشامي التاجر ، قطيعة من زياد ويقال من عثمان[1]** ٠
٣٥٨ حرب بن سلم بن زياد** ٠
٣٦٦ حربانان : حرب بن عبدالرحمن بن الحكم بن أبي العاص ٠
٣٦٠ الحزيزي ٠
٣٦٢ حصينان لحصين بن أبي الحر العنبري* ٠
٣٥٨ حميدة امرأة عبدالعزيز بن عبدالله بن عامر** ٠
٣٦٣ الخالدان : خالد بن عبدالله بن خالد بن اسيد ٠
٣٨٤ الخالدان الاجمة لآل خالد بن اسيد وآل أبي بكرة ٠
٣٦٨ الخالدية لخالد بن صفوان بن الاهتم كانت للقاسم بن سليمان ٠

---

(١) في نسب قريش لمصعب الزبيري ٤٤٠ ، اقطعه عبدالله بن عامر .

٣٦٢ الخشخشان لآل الخشخاش العنبري •
٣٥٨ خلفان لعبدالله بن خلف الخزاعي •
٣٥٨ خيرتان لخيرة بنت ضمرة القشيرية امرأة المهلب* •
٣٦٠ دركاه جنك من اموال ثقيف •
٣٦٠ ذراع النمري من ربيعة •
٣٦١ الراء : صيدت فيه سمكة تسمى الراء فسمي به وعليه أرض حمران الذي أقطعه اياها معاوية •
٣٦١ ربا للرشيد ، نسب الى سورجي •
٣٦٤ الرباحي : رباح مولى آل جدعان •
٣٦٨ الريحية •
٣٦٣ سعيدان لآل سعيد بن عبدالرحمن بن عباد بن اسيد*/** •
٣٥٩ سلم بن زياد بن أبي سفيان •
٣٦٤سلم بن عبدالله بن أبي بكرة** •
٣٦٦ الشرقي •
٣٦٣ صعصعة
٣٦٥ صلتان : الصلت بن حريث الحنفي •
٣٥٩ طلحتان لطلحة بن نافع مولى طلحة بن عبيدالله* •
٣٥٩ طليقان لآل عمران بن حصين الخزاعي من ولد خالد بن طليق بن محمد •
٣٦٨ عباسان •
٣٦٢ عبدالرحمانان كان لابي بكرة بن زياد فاشتراه أبو عبدالرحمن مولى هشـــام* •
٣٦٢ عبيداللان لعبدالله بن أبي بكرة* •
٣٥٥ عبدالله بن خالد •
٣٦٢ عبيدان لعبيد بن كعب النميري* •

٣٦٠ العلاء بن شريك الهذلي اهدى الى عبدالملك شيئاً أعجبه فأقطعه مائـة جريب[٢]** .
٣٥٧ عمرو بن عتبة بن أبي سفيان .
٣٦٢ عميران .
٣٦٠ فيروز حصين ، ويقال الى باشكار كان له يقال له فيروز ، وقال القحذمي نسب الى فيروز مولى ربيعة بن كلدة الثقفي[٣]** .
٣٦٣ فيلان لفيل مولى زياد* .
٣٦٥ قاسمان للقاسم بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب ورثـه اياه أخوه عون .
٣٦٨ القاسمية .
٣٦٢ قتبان .
٣٦٢ القرشي كان عبيدالله بن عبدالاعلى الكريزي وعبيدالله بن عمر بن الحكم الثقفي اختصما فيه ثم اصطلحا على ان أخذ كل واحد منهما نصفه .
٣٦٢ كثير بن عبدالله السلمي من نهر أبي عتبة الى الخستل فنسب له[٤] .
٣٦٤ كثيران لكثير بن سيار[٥]*/** .
٣٦٦ كوسجان لعبدالله بن عمرو الثقفي كان لابي بكرة فخاصمه أخوه نافع ثم صارت له .
٣٦٥ ماسوران كان فيه رجل شرير يسعى بالناس ويبحث عليهم فنسب النهر اليـــه .

---

(٢) في الاشتقاق لابن دريد ١٧٨ « نهر العلاء اخو معقل » .
(٣) في الاشتقاق ٢٥ « نهر فيروز حصين » .
(٤) كان موقعه في الاطراف الشرقية اذ انه لما دخل القرامطة من المربد واجتازوا بسكة بن سمرة انتهوا الى شط البصرة المعروف بنهر ام كثير عريب ٧١ .
(٥) يضيف ياقوت « عامل يوسف بن عمر على البصرة لانه اخذه » .

٣٦٣ المالكية لمالك بن المنذر بن الجارود •

٣٦١ محمدان محمد بن علي بن عثمان الحنفي* •

٣٦٣ المسمارية** •

٣٦٨ مكحول بن عبيدالله الاحمسي قطيعة من عبدالملك بن مروان** •

٣٦٢ منقذان لمنقذ بن علاج السلمي* •

٣٥٩ مهلبان لخيرة بنت ضمرة القشيرية امرأة المهلب للتصرف بقطيعة عمرو ابن المهلب لهم* •

٣٦٤ هميان بن عدي السدوسي •

٣٦٤/٣٦٩ يزيد بن المهلب من قطيعة لعبيدالله بن أبي بكرة •

٣٥٨ يزيدان ليزيد بن عمر الاسيدي صاحب شرطة عدي بن ارطاة* •



فهرست الاعــلام

١ ـ فهرست الاعلام :

اسماء الاشخاص والجماعات والعشائر وخططها وقطائعها

(لم تدخل فيها الاسماء المذكورة في الهوامش)

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

- ح -

- خ -

— د —

— ذ —

— ر —

— ز —

ـ ض ـ

ـ ط ـ

ـ ظ ـ

ـ ع ـ

— ن —

— هـ —

- و -

- ي -

(٢) فهرس الاعلام الجغرافية :

(ن)

(ادخلت القطائع في الانهار)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الخرائط

قائمة المحتويات

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٧٦٦ لسنة ١٩٨٦
كمية الطبع ٣٠٠٠ نسخة
تاريخ انتهاء الطبع ١٩٨٦/٦/٣٠